رحلة الخلود

حسن أيوب

الناشر
دار الندوة الجديدة
بيروت - لبنان
ص . ب : ٥١٧٤ - ١٤

رِحْلَةُ الخُلُودِ

كتاب رحلة الخلود

المحتويات

	الصفحة
ز- حكم الصلاة على الغائب	٦٠
ح- فضل الصلاة على الميت وكثرة المصلين	٦٠
ط- حكم الصلاة على الميت في المسجد	٦١
٦- دفن الميت ومواراة جثته بطريقة تضمن صيانتها	٦١
- حكم حمل الجنازة والسير بها	٦٢
- حكم القيام للجنازة	٦٤
- كيف يدفن الميت	٦٥
- حكم تسنيم القبر ورشه بالماء وتعليمه ليعرف	٦٦
- الدعاء للميت بعد دفنه	٦٩
حكم التعزية ووقتها	٧٠
آداب من تبع الجنازه	٧٢
الاسراع في سداد دين الميت	٧٣
صنع الطعام لأهل الميت رحمة بهم	٧٤
حكم نعي الميت	٧٥
حكم نقل الميت ونبش القبر	٧٦
وصول ثواب القرب المهداة إلى الموتى	٧٧
حكم زيارة القبور للرجال والنساء	٨١
أحكام الاحداد على الميت	٨٤
أهل الميت الضعاف أمانة عند	٩٢
مجتمع الإسلامي الأحداث الخطيرة في رحلة الخلود	٩٣
رحلة السعادة	٩٧
رحلة الأشقياء	١٠٤
تفصيل الأحداث	١٠٨

	الصفحة
ساعة الموت والحقائق المذهلة	١١٢
من الذي يقبض الأرواح؟	١١٢
ان للموت لسكرات ما اشدها!!!	١١٤
- افراح المؤمنين عند موتهم	١١٥
- احزان الكافرين والمنافقين عند الموت	١١٩
- ماذا نلاقي في قبورنا؟	١٢١
الموت للبدن لا للروح	١٢٦
صلة الروح بالبدن بعد الموت	١٢٧
حكم من لم يدفن في قبر	١٢٨
اسباب العذاب في القبر	١٣٠
الذين لا يسألون في قبورهم ولا يعذبون	١٣١
مستقر الارواح بعد الموت إلى يوم القيامة	١٣٣
معرفة الأموات بزيارة الاحياء	١٣٥
من أقوال الصالحين ومناماتهم في شأن القبور	١٣٧
النفخ في الصور	١٣٩
احداث البعث والحشر وأهوالها	١٤٤
الموقف وأهواله وأحوال الناس فيه	١٥١
الحساب	١٥٨
تسلم كتب الأعمال وصحائفها	١٦٣
الميزان	١٦٥
الصراط	١٦٧
الحوض	١٦٩
الشفاعة	١٧٣
مكانة النبي ﷺ	١٧٩
الخالدون في جهنم عند أهل السنة	١٨٠
التحقيق العلمي في معنى الكبيرة	١٨٨

الصفحة		الصفحة	
أخطر ساعة في رحلة الإنسان: ساعة الموت	١٠٨	حوائر اليائسين يوم القيامة من رحمة الله	١٩٤
التحذيرات الربانية من عذاب جهنم	١٩٨	عدد أبواب الجنّة ونصيب كل مؤمن منها	٢٤٣
تحذيرات الرسول من عذاب جهنم	١٩٩	وصف حوائط الجنه وترابها وحصبائها	٢٤٥
شدة العذاب في جهنم	٢٠١	درجات الجنة	٢٤٧
طعام أهل النار وشرابهم	٢٠٣	غرف الجنة وقصورها ومساكنها	٢٤٩
الملائكة تزيد أهل النار حزناً ويأساً من رحمة الله	٢٠٥	انهار الجنة وعيونها وشراب أهلها	٢٥١
الجبار يخاطب أهل النار ويناقشهم	٢٠٧	اشجار الجنة وثمارها	٢٥٣
الشيطان يحاضر أهل النار	٢٠٩	أكل أهل الجنة وشربهم ولباسهم	٢٥٤
أصحاب الجنة	٢١٠	أزواج الجنة	٢٥٧
سلامة العقيدة أساس دخول الجنة	٢١٧	أهل الجنة يتزاورون ويتجالسون	٢٦٠
الجنة والنار موجودتان الآن	٢٢٤	سوق الجنة	٢٦١
الجنة والنار خالدتان لاتفنيان	٢٢٦	رؤية أهل الجنة ربهم كما يرى القمرُ ليلة البدر	٢٦٣
وصف عام للجنة	٢٣١	خلود أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار	٢٦٥
صور أهل الجنة	٢٣٦	حوار بين أهل الجنة وأهل النار	٢٦٦
أول من تفتح له ابواب الجنة	٢٣٨	خاتمة	٢٦٩
السابقون إلى الجنة من أمة محمد	٢٤٠		
مُلك أقلِّ الناس عملا في الجنة	٢٤١		

الطبعة الأولى

١٩٨٣م ١٤٠٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وأشهد أن لا إله إلا الله الذي خلق فسوى، والذي قدَّر فهدى، والذي أمات وأحيا، وله الآخرة والأولى وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه وحبيبه، له المقام المحمود يوم العرض الأكبر، وله لواء الحمد في أرض المحشر، وله الشفاعات في أهل الكبائر من أمته، وهو المقدم على رسل الله في مناجاة ربه ودخول جنته اللهم صلي عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تلسيما كثيرا وبعد.

فهذا هو كتاب «الرحلة إلى الدار الآخرة» أو «رحلة الخلود» الذي وعدت به القاريء بعد أن قدمت إليه كتاب «الجهاد والفدائية في الإسلام».

وقد قصدت من هذا الكتاب إتمام المجموعة الفقهية التعبدية المأخوذة من الكتاب والسنة وحسب اجتهادات خيار الأئمة والخالصة من البدع والخرافات والاهواء المضلة ولما كان الهدف من هذا الكتاب هو تذكير الإنسان المسلم بأخطر مرحلة يمر بها بعد وجوده وإيضاح ما يجب عليه نحو نفسه، وما يجب على غيره نحوه في هذه المرحلة، فإن شأن هذا الكتاب يكون أخطر من شأن غيره من كتب البشر، حيث إنها مرحلة تحديد المصير، وسماع الحكم الإلهي بالنعيم الأبدي أو بالشقاء الأبدي

- أعاذنا الله ونجانا - لذلك حاولت جهدي أن أجعله كتاب فقه بالمعنى العام لا بالمعنى الخاص، فهو فقه بمعنى الفهم الدقيق لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيما يتصل بأمور تشمل الدنيا والآخرة فيما هو من أصول

بحثنا هذا أو فروعه، وتشمل ما يجب نحو الجسد والروح والعقل والقلب، وتتضمن حقوق وواجبات الوالدين والأولاد والزوجة وغيرهم في هذه المرحلة.

وهو فقه يتصل ببحوث في أمر البعث والحشر والحساب والجزاء والشفاعات، والجنة والنار وغير ذلك مما هو عالم كامل مليء بأخطر الأحداث وأعظمها شأنا، ولا يمسك برمامه أحد سوى الله تعالى.

وأسأل الله تعالى أن يوفقني لجمع شتات الموضوعات النافعة لإخواني المسلمين، وأن يرزقني حسن القصد، وإخلاص النية، وصلاح العمل، وسمو الغاية، إنه تعالى سميع مجيب.

المؤلف

إيضاح

إن الرحلة إلى الدار الآخرة لا يعلم بدايتها أحد سوى الله تعالى كما جاء بذلك الكتاب والسنة، ولكن الله تعالى جعل لها علامات تدل على قربها مثل كبر السن، والمرض الميئوس منه، وحضور المعارك القتالية، وأمثال ذلك مما جرت سنة الله تعالى عليه وآمن به جميع البشر، وذلك هو الغالب على أمر الناس والماثل في أذهانهم، وأمام أنظارهم، وقد يموت الطفل والصبي والشاب القوي ويُعمَّر الشيخ والهرم ومن يئس الأطباء من علاج مرضه. يموت أحدهم موتا فجائيا، أو مسبوقا بأماراته ودلائله المعتادة عند الناس.

فالكلام على «رحلة الخلود» لكي يكون شاملا ومفيدا يجب أن يتناول مرحلة الاستعداد التي تسبق الموت، وأن يهتم بها اهتماماً كبيرا، لأن عليها تتوقف إلى حد كبير جميع مراحل ما بعد الموت كما سيأتي إيضاح ذلك ثم يتناول حالة احتضار المسلم ومتطلباتها، ثم ما يجب على إخوانه بعد موته من غسل وتكفين ودفن ورعاية لحقوق أولاده الصغار وزوجته ووالديه وغير ذلك.

ثم مرحلة القبر

ثم مرحلة البعث والحشر

ثم مرحلة اليوم العظيم الطويل الخطير

ثم حالة أهل النار في عذابهم وشقائهم وخلودهم

ثم حالة أهل الجنة في نعيمهم وسعادتهم برضاء ربهم، وخلودهم وكل ذلك مدعم بالأدلة من الكتاب والسنة الصحيحة، وحكايات الصالحين، وأقوال أئمة الدين وعلمائه المعتمدين. والله ولي التوفيق.

الاستعداد للموت ولقاء الله

الموت ليس فناء كاملا للإنسان، إنما هو نوع من أنواع التطور التي فرضت وكتبت على جميع المخلوقات ذات التطورات المختلفة، ومن ليس ذا تطور فعلمه مثل الأرواح، والحور العين، والملائكة فإن له شأنا سيأتي الكلام فيه عند ذكر موضوع فناء العالم إن شاء الله تعالى.

وإذا كان موت الإنسان نوعا من التطور فإنه أخطر هذه الأنواع على الإطلاق، فإن التطورات السابقة كانت تطورات دفع إلى الحياة الدنيا أما هذا التطور فإنه إنهاء للحياة الدنيا وتخليص كلي منها، وإدخال في حياة أخرى مختلفة عن الحياة الدنيا في كل شيء.

التطورات السابقة للموت كانت تطورات من تراب إلى نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظام كسيت لحما، ثم أنشأه الله خلقا آخر، فجاء سويا جميلا سميعا بصيرا متكلما، ثم تطور من طفل إلى صبي إلى شاب حتى صار شيخا هرما، أما التطور الجديد في مرحلة ما بعد الموت فهو قبر ثم بعث ثم حشر ثم حساب ثم نار أو جنة: شقاء أو سعادة إلى أبد الآبدين ما قبل الموت يسمى الحياة الدنيا وما بعده يسمى الحياة الآخرة، فالموت فاصل بين حياتين وليس إفناء للإنسان به ينتهي ولا يذكر. ما قبل الموت حياة فيها الخداع والعبث كما فيها الشرف والكرامة، فيها النفاق والكذب كما فيها الصدق والوضوح فيها الزور والبهتان والشر والفساد والضياع والشقاء كما أن فيها الحق والهدى والصلاح والبر والخير والسعادة فيها وحوش البشر، وفيها هداتهم.

فيها الأنبياء والعلماء العاملون ومن فرغوا أنفسهم لصالح البشر وإصلاح شؤنهم بأمر الله ووحيه، وفيها الجبابرة القساة الظالمون الذين لا هم لهم إلا امتصاص دماء الناس وسلخهم من إنسانيتهم وحريتهم وكرامتهم. فيها الفتن كالضباب تحجب شمس الحق عن عيون المفتونين، وفيها الشهوة الطاغية المستبدة بمن فقدوا الإيمان واليقين، كما أن فيها الذين هداهم الله فأمسوا عابدين وأصبحوا زاهدين، وعاشوا بين الناس بأخلاق الرحماء الأعفة المحسنين.

في الدنيا إنسان يحرس إنسانا، وفي الآخرة ملائكة من حول جميع الموقوفين.

في الدنيا إنسان يحاسب إنسانا ويحاكمه، وفي الآخرة الحكم لله رب العالمين.

في الدنيا يوزن الإنسان بنسبه وحسبه ومنصبه وماله، وفي الآخرة تسقط هذه الموازين ويحكم الحساب ميزانٌ واحد فقط هو:

«إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ».

من أجل ذلك وجب على كل إنسان أن يراجع نفسه، ويصالح ربه، ويجعل عقله وقلبه وجسده في خدمة الغاية النبيلة والسعادة الدائمة، والحياة التي ليس فيها إلا الجمال والكمال والحب والسرور والنعيم والمتع التي أعدها الله بنفسه لأحبابه وأوليائه ومن فازوا برضاه.

وسأحاول أن أقدم إليك أهم ما يطلب عمله قبل الموت من أجل الوصول إلى رضوان الله تعالى وجناته ونعيمه الأبدي والمؤمن الحصيف لا ينتظر أمارات الموت ليراجع نفسه، إنما عليه أن يفعل ذلك في كل مرحلة من مراحل حياته فقد يأتيه الموت بدون أمارات.

التوبة

التوبة معناها في اللغة: العودة والرجوع.

ومعنى: تاب إلى الله تعالى: رجع إلى العمل بما يرضيه.

ومعنى تاب الله على عبده: عاد عليه بالفضل والإحسان والثواب العظيم.

والتوبة النافعة من أهم الأعمال الإنسانية وأخطرها شأنا، وأعظمها أثرا في حياة الإنسان، لأنها تعتبر انتفاضة نفسية تزلزل الكيان الإنساني، وتغير الاتجاه الفكري، وتحدث في داخل الإنسان معركة ينتصر فيها الحق على الباطل، والهدى على الضلال، ويظهر أثر ذلك في السلوك والعمل والخلق وجميع أقوال الإنسان وأفعاله وأحواله.

فهي تحَوّل فكري يجعل الإنسان يشعر بالخطأ الذي ارتكبه، ويدرك خطر الذنب الذي عصى به ربه، والإنحراف الذي انحدر إليه، والهلاك الذي هو منساق إليه.

وهي تغير نفسي يُحدث الشعور بالندم والأسى والحزن لدى الإنسان بسبب جهله وحمقه وكفره بنعم ربه. وهي تغيير في السلوك وجميع التصرفات ليظل المسلم على الخط المستقيم، ويلتزم بما يرضي الله تعالى ويقربه إليه مهما ضحى في سبيل ذلك.

ولذا قال علماء الإسلام: لا تتحقق التوبة إلا بثلاثة أمور أساسية: أولها يستلزم ثانيها، وثانيها يستلزم ثالثها.

الأمر الأول: معرفة ضرر الذنوب، وخطورتها على الإنسان، وكونها سبب البلاء والشقاء في الدنيا والآخرة والعلم بأنها حجب بين العبد وبين كل محبوب يأمل نيله والوصول إليه.

الثاني: حصول الألم النفسي بسبب الشعور السابق ،فإن العاصي لله تعالى إذا أيقن أن معصيته تحرمه محبوبه، وتبعده عنه، وتجلب عليه الشقاء والعناء، فإنه يتألم لذلك تألما شديداً، وهذا التألم هو الندم.

الثالث: ما يترتب على الندم من ترك للمعصية وعزم صادق على عدم العودة إليها مستقبلا ثم العمل على تدارك ما يمكن تداركه، وعلاج ما أوجب الشرع علاجه، مثل قضاء الصلوات، والصيام، والزكاة والحج ورد الحقوق إلى أصحابها، والتحلل من الظلامات التي عليه للناس، سواء منهم القريب والبعيد.

قال الإمام النووي: قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فلها ثلاثة شروط: أحدها أن يقلع عن المعصية، والثاني أن يندم على فعلها، والثالث أن يعزم على ألا يعود إليها أبدا. فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته. وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فلها شروط أربعة: هذه الثلاثة وأن يبرأ من حق صاحبها، فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه، وإن كانت حدّ قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه، وإن كانت غيبة (قد بلغته) إستحله منها، ويجب أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقي عليه الباقي: ا.هـ من منهل الواردين شرح رياض الصالحين لصبحي صالح ص ٥١ وهو خلاصة لما سبق ذكره.

وقال الإمام الغزالي: وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده، قال عليه الصلاة والسلام: «النَّدَمُ تَوْبَة» رواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين، إذ لا يخلو الندم عن علم أوجبه وأثمره، وعن عزم يتبعه ويتلوه.

حكم التوبة

أجمع علماء المسلمين على أن التوبة واجبة على الفور، فمن ارتكب معصية باطنية أو ظاهرية فإن عليه أن يتوب فورا ولا يؤجل، إذ التأجيل إصرار عليها والإصرار معصية أخرى.

أما وجوب التوبة فلقوله تعالى:

وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ النور ٣١

وقال تعالى:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا التحريم ٨

والتوبة النصوح هي التوبة الخالصة لله تعالى الخالية من الشوائب وقال رسول الله ﷺ:

«يَا أَيُّها الناسُ تُوبوا إلى اللهِ واستغفِروهُ، فإني أَتُوبُ إِلَيْهِ في اليومِ مائَةَ مَرَّةٍ» رواه مسلم.

وأما كون وجوبها على الفور فدليله قوله تعالى:

وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ آل عمران ١٣٥

كما أن أمر الله تعالى عباده بالتوبة واجب التنفيذ بعد الوقوع في المعصية مباشرة ،وإلا كانت هناك فترة لا تقبل فيها التوبة ، أو للإنسان الاختيار فيها في أن يتوب أو لا يتوب وذلك ما لم يقل به أحد ، كما أن التوبة تكون من معصية ، والمعصية يجب تركها في كل وقت يقدر الإنسان على تركها فيه ، ويؤكد ذلك قوله ﷺ: « القاتِلُ والْمَقْتُولُ في النَّار » حديث صحيح.

سعة رحمة الله في قبول توبة التائبين

إن الذي ينظر في آيات الله سبحانه وفي سنة رسول ﷺ نظر مؤمن،ويفكر تفكير مستبصر ، ليس على عينه غشاوة ، وليس على قلبه ران ، وليس مغلوبا على أمره بسبب تمكينه الشياطين من نفسه ، لا بد من أن يدرك إدراكا يقينا أن رحمة الله تعالى سبقت غضبه ، وأنه هو الذي يمهل العصاة ويسترضيهم ، ويؤخر عقاب المذنبين ويستميلهم إليه ، ويضرب لهم الأمثال ، ويقص عليهم أحسن القصص ليذكرهم ويعظهم ، ويبين لهم مصائر المعاندين والمكابرين ، والذين هم في ضلالهم سادرون وعن ربهم معرضون ، كل ذلك ليتوب العاصي ، ويعود المذنب إلى الله طالبا صفحه وعفوه ، وعندئذ يجد رحمة الله في انتظاره ، وعفوه شاملا جميع ذنوبه ، ومحبته للتائب تكلل توبته بالفضل والإحسان والخير العظيم.

وإليك آيات وأحاديث يلين لها الحديد وينصدع لها الجبل ، ويتأثر بها الحجر

قال تعالى:

وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ

الشورى: ٢٥

وقال تعالى:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ الزمر ٥٣

وقال تعالى:

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ الرعد ٦

وقال تعالى:

﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ الحجر ٤٩

وقال تعالى:

﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لأنعام ٥٤

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « **إن الله تعالى يَبْسُطُ يدَهُ بالليل ليَتُوبَ مُسيءُ النهارِ، ويَبْسطُ يدهَ بالنهارِ ليَتُوبَ مُسيءُ الليلِ حتى تطلعُ الشمسُ من مَغرِبها** » رواه مسلم.

وعن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « **إن الله عز وجل يَقْبلُ تَوْبَةَ العَبْدِ ما لَمْ يُغَرْغِره** » رواه الترمذي وقال: حديث حسن- أي ما لم تصل روحه حلقومه-.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **لله**

أفْرَحُ بِتَوبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدكُمْ سَقَطَ على بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ بأرْضٍ فَلاَةٍ » رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَقِيَ غُفِرَ لَهُ مَا مَضَى، وَمَنْ أَسَاءَ فِيمَا بَقِيَ أُخِذَ بِمَا مَضَى وَمَا بَقِي » رواه الطبراني بإسناد حسن. كذا قال المنذري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: قال الله عز وجل: « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بي، وَأَنَا مَعَهُ حَيْثُ يَذكُرُني، واللهِ للهُ أَفْرَحُ بتوبةِ عبدهِ مِنْ أحدِكُم يَجِد ضالَّتَه بالفَلاةِ، وَمن تقَرَّب إليَّ شِبْراً تقربتُ إليهِ ذِراعاً؛ ومن تقرب إليَّ ذراعا تقربتُ إليه باعا، وإذا أقْبَلَ إليَّ يمشي أقبلْتُ إليه أُهَرْوِلُ » رواه مسلم واللفظ له والبخاري بنحوه؛ ومعنى: أهرول: أسرع، والمراد أن العمل القليل من العبد يجازيه الله عليه بالثواب الجزيل ما دام العبد يحسن الإقبال على الله بالتوبة والعبادة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه آنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « إن عَبْداً أصابَ ذنباً، فقال: يا ربِّ إني أذنبتُ ذَنْبا فاغفِرْهُ، فقال له ربه: علم عبدي أن له رَبا يَغْفِرُ الذنبَ وَيأخذ بِهِ، فغَفَرَ له، ثم مكثَ ما شاء اللهُ، ثم أصابَ ذنبا آخرَ فقال: يا ربِّ إني أذنبتُ ذنبا آخرَ فاغفِرْهُ لي. قال ربه: علم عبدي أن له ربا يَغْفِر الذنبَ ويأْخُذُ به، فغفر له، ثم مكث ما شاء الله، ثم أصاب ذنباً آخر فقال يا رب إني أذنبتُ ذنباً فاغفره لي فقال ربه: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به، فقال ربه: غَفَرْتُ لعبدي فليعمل ما شاء » رواه البخاري ومسلم.

قوله (فليعمل ما شاء) معناه والله أعلم: أنه ما دام كلما أذنب ذنبا استغفر وتاب منه ولم يعد إليه بدليل قوله: ثم أذنب ذنبا آخر. ا هـ من الترغيب للمنذري ح١ ص ٨٨ وما بعدها ويكفي المسلم الحريص على التوبة بصدق

وإخلاص كلما وقع في ذنب أن الله تعالى يحبه، ومن أحبه الله قربه وأكرمه وبدل سيئاته حسنات، قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة ٢٢٢

والتواب هو الذي كلما أذنب وعصى ندم ورجع إلى ربه.

فاستعد يا أخي المسلم للقاء الله بالمبادرة إلى التوبة والعودة إلى أحضان رحمة الله، والالتجاء إليه بضراعة وذلة وانكسار وبكاء وندم، لعلك تنال عفوه، وتحظى بقربه، وتسعد ببشرى النجاة، ويومئذ تشعر بأن التضحية بأغلى ما في الدنيا تعتبر شيئاً تافهاً إذا قورنت برضاء الله.

الوصية

الوصية في الإسلام مطلوبة ومأمور بها على سبيل الوجوب أو الاستحباب رحمة من الله تعالى بعباده، لكي يتداركوا بعض ما فرط منهم، ويصطلحوا مع الله تعالى عملياً بالإيصاء بفعل الخير بعد موتهم بعد أن اصطلحوا معه شعورياً وعملياً قبل الموت بالتوبة النصوح والرجوع إلى حظيرة رحمة الله وعفوه ومغفرته. فإن التائب مهما فعل في مرض موته فإنه لن يستطيع أن يتدارك جميع ما فاته في عمره الطويل الذي انصرم في غير طائل، أو امتلأ بالعبث واللهو والمعاصي. والموفق في الوصية هو الذي يسدد بها ما عليه من حقوق بعد موته، ويتخذ منها مورداً ثابتاً لحسنات تجري عليه وهو في قبره، والشقي هو الذي يحضره مرض الموت فينزعج انزعاج الهلوع، ويتصرف تصرف الجزوع المنوع، ويتورط فيما يغضب الله، بسبب ظلمه لنفسه ولغيره، فتراه تنبسط يده في

ماله لمن لا يستحقه، ويمنع الوارث حقه ونصيبه، فيحرم الزوجة، أو البنت، أو البنات، أو أحد الأولاد، من الميراث أو يحرم الأخ، أو أولاده، أو غيرهم، ويتصرف في ماله بالحيل من أجل أن يفوت على الورثة حقهم الذي كتبه الله لهم، وهذا كله ظلم يختم به حياته بعد أن فشل طول عمره في عمل شيء يُرضي الله عنه. ومن الناس من يوصي بأمور كلها معاصي وذنوب كي تُعمَل بعد موته، كأن يوصي بأن يذبح حيوان تحت نعشه، أو بأن يجلس أهله لتقبل العزاء أسبوعاً مثلا، ويعملوا له الخميس والرجبية والأربعين والسنوية، وأن يزخرفوا قبره ويشيدوه، وأن يستأجروا القراء للقراءة عند قبره كل أسبوع، أو في أيام معينة، أو أن يوصي بالإتيان بالنائحات والنادبات وغيرهن ممن يصخبن وينشرن الشعور، ويكثرن الصياح، ويلطمن الخدود، ويشققن الثياب والجيوب، ويتكلمن بكلام الجاهلية، فيعذب في قبره بسبب وصيته الحمقاء، ويغضب الله عليه في هذه المرحلة الخطيرة من رحلته الأبدية، أعاذنا الله جميعاً من سوء المصير، وحمق التدبير.

وإليك ما جاء من الآيات والأحاديث والأحكام في الوصية بإيجاز لا يُفوِّت الغرض ولا يخل بالمطلوب

قال تعالى:

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ۝ فَمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ البقرة ١٨٠ - ١٨٢

كلمة: «كتب» معناها: فرض

« إذا حضر أحدكم الموت » إذا وجدت أسباب موته وصارت معلومة « خيراً » مالاً كثيراً حسب العرف. « الوصية » هي كل شيء يؤمر بفعله ويعهد به في الحياة وبعد الموت، وخصها العرف بالأمر الذي يعهد بفعله وتنفيذه بعد الموت.

ومعنى الآيات: فرض الله عليكم الوصية للوالدين والأقربين إذا حضرت أسباب موتكم وكان عندكم مال كثير عرفاً، ويجب أن تكون الوصية بالعدل والمعروف بحيث لا يظلم بسببها أحد، ولا يضار وارث، ولا تكون للبعداء مع وجود الأقرباء المحتاجين، وقد ثبت ذلك ثبوتاً شرعياً للمتقين لتدارك ما فاتهم. فمن بدل وغير في الوصية من الشهود أو الورثة أو غيرهم بعد العلم بها فإن إثم هذا التبديل على من فعله، والله لا يخفى عليه شيء لأنه سميع عليم، أما الميت فلا إثم عليه في هذا التبديل، لأنه فعل ما عليه، وله أجره عند الله كما قال ابن عباس وغيره. ومن حضر وصية الموصي أو علم بها وعرف أنه ظَلَم وجار في وصيته فأصلح بين الموصي وبين من وقع عليه الضرر، بأن خوف الموصي من سوء عمله، أو بدل هو في الوصية إلى الأصلح والأقرب إلى رغبة الموصي الصالحة فلا إثم عليه في ذلك سواء كان المانع للجنف (الميل عن الحق) والإثم حاكماً، أو قريباً للميت أو بعيداً، وسيأتي أن الجور في الوصية من الكبائر، ومعلوم أن منع الظلم مطلوب من كل مسلم علم به وقدر عليه.

وإليك خلاصة ما قاله القرطبي وغيره في أحكام الوصية.

(١) الوصية واجبة على من عليه دين غير مكتوب سواء كان ديناً لله مثل الزكاة والحج والنذر والصوم، أو ديناً للناس مثل الودائع والأمانات وأموال اليتامى وغيرها إذا خاف ضياعها عليهم لعدم ثبوتها ثبوتاً مُوَثقاً، وأما من ليس عليه حقوق لله أو للناس فإن العلماء اختلفوا في شأنه، فقال عطاء وأبو مجلز والزهري وطلحة بن مصرف ومحمد بن حزم وإسحاق وداود وأبو عوانة وابن

جرير الطبري: إن الوصية كانت واجبة بالآية السابقة وبحديث ابن عمر الآتي: للوالدين والأقربين فلما نزلت آيات المواريث وأعطت الوالدين نصيبهما وأعطت بعض الأقربين أنصبتهم رفع الوجوب بالنسبة لمن وُرِّث وبقي بالنسبة لمن لم يُوَرَّثْ. وذهب جمهور الفقهاء إلى أن الوصية مندوبة وليست بواجبة إلا في الحالات السابقة، واستدلوا على ذلك بآيات المواريث وقالوا: إن هذه الآية كان العمل بها واجباً قبل نزول آيات الميراث ثم نسخ بنزول هذه الآيات.

كما استدلوا بالحديث الذي رواه الترمذي وصححه، ورواه الإمام أحمد وابن ماجة والنسائي عن عمرو بن خارجة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله قدْ اعْطى كلَّ ذِي حَق حَقه فلا وَصية لوارثٍ**».

والذي يترجح عندي أن من ترك مالاً كثيراً يجب أن يوصي بجزء منه للفقراء من الأقربين، إن وجدوا، وإلا فلليتامى والمساكين والمحتاجين من غير الأقربين، ألا ترى أن الإسلام قد راعى أحوال الأقربين، وتشوفهم إلى مال الميت وجبر نفوسهم عند حضورهم توزيع الثروة على الورثة، فأمر الورثة بإعطائهم شيئاً من الميراث وأن يقولوا لهم قولاً حسناً؟

فقال تعالى:

﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ النساء ٨

قال ابن كثير: روى البخاري عن ابن عباس أن هذه الآية محكمة وليست منسوخة إذا يكون الورثة أوفر حظا عند ربهم بمال غيرهم من الميت بماله الذي تعب فيه جمعا وتنمية ثم حرم خيره وثوابه عند مفارقته للقاء ربه وروي عن مجاهد أنه قال: هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به

أنفسهم. وقال وهكذا روي عن ابن مسعود وأبي موسى وعبد الرحمن بن أبي بكر وأبي العالية والشعبي والحسن وغيرهم، إلى أن قال: والمعنى أنه إذا حضر هؤلاء الفقراء من القرابة الذين لا يرثون واليتامى والمساكين قسمة مال جزيل فإن أنفسهم تتوق إلى شيء منه إذا رأوا هذا يأخذ وهذا يأخذ وهم يائسون لا شيء يعطونه، فأمر الله تعالى ﴿وهو الرءوف الرحيم﴾ أن يرضخ لهم شيء من الوسط يكون بِرًّا بهم وصدقة عليهم وإحساناً إليهم وجبراً لكسرهم كما قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ﴾

الأنعام ١٤١ أ.هـ ١ص ٤٥٥

أترى أن الله تعالى يوجب على الورثة مراعاة شعور الفقراء الأقربين واليتامى والمساكين ولا يوجب ذلك على الميت الذي آلت الثروة منه إلى الورثة؟

(٢) لم يبين الله تعالى في كتابه مقدار ما يوصى به من المال فاختلف العلماء في مقدار ذلك، والأمر متروك للموصي في حدود ثلث المال، فإن زاد على الثلث نفذت الوصية في الثلث فقط لقول رسول الله ﷺ لسعد بن أبي وقاص: «الثُّلُثُ والثلثُ كَثير، إنكَ أَنْ تَذَرَ وَرثَتَكَ أَغْنياءَ خيرٌ مِنْ أنْ تَذرَهم عالَةً يَتَكَفَّفُون الناسَ» رواه البخاري ومسلم وغيرهما فمن شاء أوصى بالربع أو بالخمس أو بأقل أو أكثر في حدود الثلث إن كان له ورثة، فإن لم يكن له ورثة فالأمر كذلك عند أكثر الفقهاء، وبعضهم يرى أن التقيد بالثلث مشروط بوجود الوارث فإن لم يكن له وارث فله أن يوصي بكل ماله أو بأكثره، واستدل بحديث سعد السابق لأنه علل عدم الزيادة على الثلث برعاية أمر الورثة وغناهم عن سؤال الناس وممن قال بذلك الحنفية وإسحاق وشريك وأحمد في رواية ومالك في أحد قوليه، وهو قول علي وابن مسعود.

ويراعى جيداً أن وقف الوصية على الثلث هو فيما يعتبر تبرعاً من الميت أما ما كان واجباً على الميت سواء كان حقاً لله أو حقاً لآدمي فإنه يجب

إخراجه من رأس المال قبل كل شيء، وللعلماء في ذلك كلام يرجع إليه.

(٣) روي عن أبي بكر الصديق أنه أوصى بالخمس، وأوصى عمر بالربع، وروي عن علي أنه قال: لأن أوصي بالخمس أحب إليّ من أن أوصي بالربع، ولان أوصي بالربع أحب إليّ من أن أوصي بالثلث، واختار جماعة لمن له مال قليل وله ورثة ترك الوصية، روي ذلك عن علي وابن عباس وعائشة رضي الله عنهم، روى ابن أبي شيبة من حديث ابن أبي مليكة عن عائشة قال: قال لها رجل: إني أريد أن أوصي، قالت: كم مالك؟ قال: ثلاثة آلاف. قالت: فكم عيالك؟ قال: أربعة. قالت: إن الله تعالى يقول: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْراً﴾ وهذا شيء يسير فَدَعْه لعيالك فإنه أفضل لك.

(٤) أجمع العلماء على أن للإنسان أن يغير وصيته التي هي من سبيل القُرَب، لأنه متبرع وللمتبرع أن يتصرف في الشيء الذي تبرع به كما يشاء قبل أن يُقْبَضَ ويُسَلم لمن تبرع له المتبرع، والموصي به لا يسلم إلا بعد موت الموصي، فللموصي إذاً أن يكتب وصية أخرى ويغير ما شاء، لا حرج عليه في ذلك غير أنه لا يجوز له إلغاء الوصية إذا كان ذا مال كثير عند القائلين بوجوبها، والفرق واضح بين التغيير والإلغاء.

(٥) وصية الضرار ممنوعة بالكتاب والسنة، أما الكتاب فقوله تعالى:

مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ

النساء ١٢

وأما السنة فقوله ﷺ: «إن الرجلَ ليَعْمَلُ أو المرأةُ بطاعةِ اللهِ سِتينَ سنَةً ثم يَحْضرُهُما الموتُ فيُضارانِ في الوَصِيَّةِ فَتَجِبُ لَهُمَا النارُ» أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما وحسنه الترمذي، وفي إسناده شهر بن حوشب، وفيه مقال، وقد وثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وأخرج سعيد بن منصور موقوفاً بإسناد صحيح عن ابن عباس أنه قال: «الإضرارُ في الوصية من الكبائر»

ومن جملة أنواع الضرار تفضيل بعض الورثة على بعض، فإن النبي ﷺ سمى ذلك جوراً كما في حديث النعمان بن بشير المروى في الصحيح.

ومنه حرمان الورثة أو بعضهم بأي طريق من طرق التلاعب والتحايل كأن يكتب عقد بيع وشراء بينه وبين أحد الورثة ليحرم الآخرين مع أن الحقيقة أنه لم يحدث بيع ولا شراء، إنما هو التهرب من التحاكم إلى القضاء.

ومنه الإيصاء إلى ابن الابن أو ابن البنت من أجل أن يحصل الابن أو البنت على الميراث وعلى الوصية معاً، مضارة للورثة الآخرين.

ومنه أن يوصي لغير الأقرباء المحتاجين. قال الضحاك إن أوصى لغير قرابته فقد ختم عمله بمعصية، وقال الحسن: إن أوصى لغير الأقربين ردت الوصية للأقربين، فإن كانت لأجنبي فمعهم، ولا تجوز لغيرهم مع تركهم، وبذلك قال طاوس وإسحاق بن راهويه، وقال مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم والأوزاعي وأحمد بن حنبل: من أوصى لغير قرابته وترك قرابته محتاجين فبئسما صنع، وفعله مع ذلك جائز ماض لكل من أوصى له من غني وفقير، قريب وبعيد، مسلم وكافر، وهو معنى ما روي عن عائشة وعمر، وهو قول ابن عمر وابن عباس. قال القرطبي: ص ٤٦١: قلت: القول الأول أحسن. وهو رد الوصية إلى الأقربين.

(٦) من أوصى لوارث أو بأكثر من الثلث فأجاز الورثة الوصية فإن وصيته تنفذ، لأن الحق لهم بنص الحديث وقد تنازلوا عنه، لكن بشرط أن يحصل ذلك عن رضى منهم، وباختيارهم، من غير إكراه، أو خداع وتحايل كما يحدث أحياناً.

(٧) المبادرة بكتب الوصية ليست مأخوذة من هذه الآية (آية الوصية) وإنما أخذت من حديث ابن عمر ونصه أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا حَقُّ امْرِئٍ مسْلمٍ يَبِيتُ ليلتينِ وله شيءٌ يريدُ أن يوصِيَ فيهِ إلا ووصيته مكتوبَةٌ عندَ رأسِهِ**» رواه الجماعة.

ومعنى الحديث كما حكاه النووي عن الشافعي رحمه الله: ليس الحزم والاحتياط للمسلم إلا أن تكون وصيته مكتوبة بحيث لا يبيت ليلتين أو ثلاثاً على الأكثر بدون إبرامها وإعدادها خوفاً من فجأة الموت، والحديث على هذا يصلح للقائلين بوجوب الوصية وللقائلين باستحبابها. والتعبير بالكتابة فيه دليل على أهميتها في الوصية ولكن بشرط أن يشهد عليها كاتبها وإلا فلا قيمة لها، فإن العبرة بالشهود ولو بدون كتابة. والحديث يدل على الحرص على الإسراع في كتابة الوصية سواء كان الإنسان في حال صحة أم في حال مرض، والوصية في حال الصحة أفضل منها في حال المرض كما ان الصدقة في حال الصحة والأمل في الحياة أفضل من الصدقة في حال اليأس من الحياة وفي ذلك جاء حديث أبي هريرة قال: جاء رجل فقال «يا رسول الله: **أيُّ الصدقَةِ أفضلُ أو أعظمُ أجْراً؟ قال: أمَا وأَبِيك لَتُفْتَأَنَّ** (لأفتيتك فيما تسأل عنه): **أَنْ تَصدَّقَ وأنت صَحيحٌ شحيحٌ تخشى الفَقْرَ وتأْمُلُ البَقَاءَ، ولا تُمْهِل حتى إذا بَلَغَت الحُلْقُومَ** (يئست من الحياة) قلتَ لفلانٍ كذا أو لفلان كذا (أي تتصدق أو توصي لهذا أو ذاك) وقد كان لفلان (وقد صار المال للوارث فليس لك فيه إلا الثلث) رواه الجماعة إلا الترمذي قال الشوكاني في النيل جـ ٦ ص ٤٢: والحديث يدل على أن تنجيز وفاء الدين والتصدق في حال الصحة مع الإمكان أفضل منه حال المرض، لأنه في حال الصحة يصعب عليه إخراج المال غالباً لما يخوفه الشيطان به ويزينه له من إمكان طول العمر والحاجة إلى المال كما قال تعالى:

﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ البقرة ٢٦٨

وفي معنى الحديث قوله تعالى:

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ

لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ المنافقون ١٠ و١١

وفي معناه ما أخرجه الترمذي بإسناد حسن وصححه ابن حبان عن أبي الدرداء مرفوعاً قال: « مثلُ الذي يُعْتِقُ ويتصدقُ عندَ موتِه مَثَلُ الذي يُهدِي إذا شَبِعَ ». وروى أبو داود عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً: « لأَن يَتَصدَّقَ الرجلُ في حياتِهِ وصحتِه بِدرْهَم خيّر له مِنْ أن يتصدقَ عندَ مَوْتِه بِمِائَةٍ ».

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل فقال: يا رسول الله مات فلان. قال: « أَلَيْسَ كانَ مَعَنا آنِفــاً (الآن) قالوا بلى، قال: « سُبحانَ الله كأَنها أَخْذَةٌ علىٰ غَضَبٍ (على كره بغتة) المحْرومُ مَنْ حُرِمَ وَصِيَّتَهُ » رواه أبو يعلى بإسناد حسن. كذا قال المنذري. والمراد أن المحروم من الثواب والأجر هو المقصر في بيان ماله وما عليه حتى يبغته أجله.

(٧) لا خلاف عند العلماء في أن الموصي إذا أوصى بما لا يحل أنه يجوز تبديله ولا يجوز إمضاؤه مثل أن يوصي بخمر أو خنزير أو شيء من المعاصي.

(٨) روى الدارقطني عن أنس بن مالك قال: كانوا يكتبون في صدر وصاياهم: هذا ما أوصى به فلان ابن فلان أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور، وأوصى من ترك بعده من أهله بتقوى الله حق تقاته، وأن يصلحوا ذات بينهم ويطيعوا الله ورسوله إن كانوا مؤمنين، وأوصاهم بما وصى به إبراهيم بنيه ويعقوب: يا بَنِيَّ إن اللهَ اصطفى لكم الدينَ فلا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون »... ثم يضيف إليها ما يريد إضافته.

(٩) للرسول ﷺ عدة وصايا في مرض موته مثل وصيته بالصلاة وبالعبيد، وبالنساء، وبألا يبقى دينان في جزيرة العرب، وبإنفاذ جيش أسامة وغير ذلك فليرجع إليها في كتب الصحاح من شاء.

(١٠) من أوصى بشيء واجب عليه كدَين مثلاً فقد برئت منه ذمته وصار الوصي هو المسئول عنه أمام الله تعالى إلا إذا كان قد أمكنه السداد في حال الصحة ولكنه أهمل وقصر ، فيراعى ذلك ويفهم ، والله الموفق

(١١) خير الوصايا ما كان صدقة جارية على الميت بعد موته كأن يوصي ببناء مسجد أو بيت للفقراء ، أو سبيل للناس ، أو مستشفى لعلاج المرضى الفقراء ، أو مدرسة لحفظ القرآن ودراسة العلوم الشرعية ، أو يوقف عقار ، أو أرضاً لشيء من ذلك ، والأدلة على ذلك كثيرة فليرجع إليها من أراد في بابي الصدقة والوقف .

الصبر الجميل

في الأعم الأغلب يصاب الإنسان قبل موته بمرض يسلمه إلى الموت ، وهذه الأمراض جعلها الله تعالى رحمة بعباده المؤمنين ، يكفر بها سيئآتهم ، ويرفع درجاتهم حتى يلقوا ربهم أطهاراً مغفوراً لهم ، بشرط الصبر الجميل ، والرضى بما يأتي الله به ... والصبر الجميل هو الصبر الذي لا شكوى معه .

وكثيراً ما يكون هذا البلاء وهذا المرض سبباً في انقشاع غشاوة الجهل والغي ، وإدراك خطورة الموقف ووعورة المسلك ، وعمل مراجعة ومحاسبة للنفس ، وشعور بشفافية تتسع بسببها آفاق الرؤية ، وتتضح معالم الطريق المفضي إلى لقاء الله تعالى والوقوف بين يديه ، وتقديم كشف الحساب في كل جانب من جوانب المسئولية التي حددها شرع الله ودينه .

وهنا يبدأ المريض بتصفية حساب الماضي ، وبإجراء تعديل في جميع البرامج حتى يجد نفسه منسجماً مع ما يحب الله ويرضى ، وذلك بحسن التوبة

وصدق المجاهدة، وشدة الإقبال على الله بطلب المغفرة والرحمة. فإن حدث ذلك كان بداية سعادة، وأمارة قبول عند الله، وعلامة حب الله له وإدخاله في كنف رعايته ورحمته. والأمراض والبلايا بالنسبة للمؤمن الصادق تعتبر صدمة نفسية تعقبها وقفة مراجعة للنفس ومحاسبة للضمير وعودة إلى العبودية الحقة.

والوضع الأصلي للإنسان أنه عبد يخضع لمعبوده ويذل له، ومخلوق يقدس خالقه ويركع ويسجد لعظمته وجماله وكماله، ومحتاج لا غنى له في لحظة واحدة من الزمن عن عطاء ربه وفضله وجوده. وجميع أنواع البلايا قضاء وقدر، وامتحان من الله تعالى لمن شاء من البشر، وعطاء الله بالمحنة كالعطاء بالنعمة، كل بميزان وحكمة، وكل له أثره حسب الإرادة والمشيئة، فالمؤمن يتلقاها بالرضى والقبول والشكر، والكافر والمنافق يتلقيانها بالجزع واليأس، وكل ميسر لما خلق له، ومن يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فما له من هاد. وإليك بعض الآيات والأحاديث في فضل الصبر على الأمراض والبلايا، قال تعالى ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾

البقرة ١٥٥ - ١٥٧

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾

الزمر ١٠

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا﴾ الفرقان ٧٥

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وما أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطاءً خَيْراً وأوسعَ مِنَ الصَّبْرِ» رواه البخاري ومسلم.

وعن صهيب الرومي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عَجَباً لِأَمْرِ المؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ لَهُ كلَّه خيرٌ، وليسَ ذلكَ لأحدٍ إلا لِلْمؤمِنِ، إنْ أَصابته سراءُ شكَر فكانَ خيْراً له، وإنْ أَصابَتْهُ ضراءُ صبَر فكانَ خَيْراً له» رواه مسلم. وعن مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه قال: قلتُ يا رسول اللهِ أيُّ الناسِ أشدُّ بلاء؟ قال: الأنبياءُ ثم الأمثلُ فالأمثلُ (المقارب لهم في الفضل) يُبْتَلَى الرجلُ على حسَبِ دينه، فإن كان في دِينِه صُلْباً اشْتَدَّ بلاؤه، وإن كان في دينهِ رِقَّةٌ (ضعف) ابتلاه الله على حسَب دينه، فما يَبْرَحُ (يستمر) البلاءُ بالعبد حتى يَمشِيَ عَلى الأرْضِ وما عليه خَطِيئَةٌ» رواه ابن ماجة وابن أبي الدنيا والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا يَزالُ البَلاءُ بالمؤمن والمؤمنةِ في نَفْسِهِ وَوَلَدِه ومالِهِ حتَّى يلْقَى اللهَ وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ» الترمذي وقال: حسن صحيح، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مرِضَ العبْدُ أو سافر كُتِبَ له من العمَلِ مِثلُ ما كانَ يَعْملُ مُقيما صَحيحاً» البخاري وأبو داود. وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ مسلمٍ يُصيبُه أَذَى من مَرَض فما سواهُ إلا حَطَّ اللهُ بهِ سيئاتِه كما تَحُطُّ الشجرةُ وَرَقَها» رواه البخاري ومسلم.

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «الحُمّى حظُّ كلِّ مؤمنٍ مِنَ النَّارِ» رواه البزار بإسناد وحسن اهـ من الترغيب والترهيب.

هذا: ويستحب أن يدعو المريض بالأدعية الواردة في الكتاب والسنة ليكشف الله عنه الضر ويزيل عنه المرض، والرقية دعاء مسنون سواء رقي به المريض نفسه أو رقاه به غيره. وليحذر المسلم من الوقوع في أعمال الجاهلية التي كان يعملها المشركون؛ فإنها محرمة على المسلمين وقد تكون نوعا من الشرك،

وذلك مثل تعلق التمائم والخرز والحديد والنحاس لنفسه أو لغيره من أجل الحفظ من الأمراض أو من أجل الشفاء منها، ومثل أتيان العرافين والكهان. ومدعي معرفة الغيب، ومثل الذبح للجن أو باسمهم، أو الذبح لولي أو باسمه، إلى آخر ما يقع فيه الجاهلون من الشرك والانحراف عن جادة الإسلام.

الرجاء وحسن الظن بالله تعالى

من أهم ما يطلب من المسلم قرب موته أن يحسن الظن بالله تعالى، وأن يرجوه سبحانه لغفر ذنونه، وقبول توبته، واسباغ نعمة الرضى عليه. وما وفق مسلم في هذا الموطن إلى الرجاء وحسن الظن بالله إلا وكان ذلك دليل رحمة الله له، وقبوله توبته، وتجاوزه عن سيئاته. ولكن الرجاء الذي يثمر هذه الثمرات هو الذي استوفى مقوماته وأركانه، وكان جاريا على سن الشرع، وذلك بأن يقوم الراجي بما يجب عليه نحو ربه من توبة حسنة، ومن إقبال على الله بقلبه، وعمل ما يقدر عليه من الصالحات بجوارحه، والتضرع إلى الله والتذلل له، راجيا أن يحسن الله خاتمته، وأن يقبله في الصالحين ويرضى عنه، شأنه في ذلك شأن من خاف غرق سفينته التي أصابها العطب، فأخذ يصلح ما عطب منها، ويستغيث بمن يساعده، وينزل مراكب النجاة وأطواقها راجيا الخلاص من هلاك شنيع في عرض البحر، فهو يرجو الخلاص ويتخذ أسبابه، كذلك المقبل على الله تعالى. قال الشاعر:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبَس

وقال يحيى بن معاذ: من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب مع رجاء

العفو من غير ندامة، وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنة ببذر النار...

وقال الإمام الغزالي: اسم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختبار العبد، ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره، وهو فضل الله تعالى. اهـ. وما أحسن أحدٌ الظن بالله تعالى في موطن من المواطن إلا وأعطاه الله ما يرجو أو خيرا منه، فما بالك بمن يحسن الظن بربه في أخطر حالة، وهي حالة إقباله على الله وسفره للقائه؟؟؟

ولذلك جاء في الصحيحين من حديث واثلة بن الأسقع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله عز وجل: «**أنا عِندَ ظنِّ عَبْدي بِي، فَلْيُظنَّ بي ما شاءَ**»

وقال تعالى:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ الزمر ٥٣

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «**لا يموتَنَّ أحدُكم إلا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزْ وَجَل**» رواه مسلم ولذلك قال العلماء: إن على المسلم في حال صحته أن يكون خائفا من الله تعالى راجيا رحمته، فيعيش بين الخوف والرجاء بشرط أن لا يقنط من رحمة الله، ولا يأمن مكر الله، أما في حال المرض فإن الخير له بل الواجب عليه أن يحسن ظنه بالله، وأن يغلب عليه الرجاء، فإن رحمة الله واسعة، ورسول الله ﷺ فتح لنا باب الأمل على مصراعيه، وذلك بإذن الله تعالى وأمره.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يُدْنى المؤمنُ يومَ القيامَةِ من رَبه (يقرب منه) حتى يَضَعَ كَنَفَه (ستره ورحمته) عليه**

فيُقَرِّرُهُ بذُنوبه فيقول: «أَتَعرِفُ ذنبَ كذا،؟ أتعرِف ذنب كذا؟ فيقول: ربِّ أعرفُ. قال: «فإني سَتَرْتُها عليكَ في الدنْيا، وأنا أغْفِرها لكَ اليَوْمَ. فيُعْطَي صَحِيفَةَ حسَنَاتِه» البخاري ومسلم. وعن جابر رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يَا رَسُولَ الله، ما المُوجِبَتان؟ قال: «مَنْ مَاتَ لا يُشْرِكُ باللهِ شَيْئاً دخَلَ الجَنَّة، ومَنْ مَاتَ يُشْرِك بِهِ شَيْئاً دَخَل النَّارَ» رواه مسلم. وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهِدَ أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شَرِيكَ لَه وأن محمداً عبدُه ورسولُه، وأن عيسى عبدُ اللهِ ورسولُه وكلمتُه ألقاها إلى مَرْيَمَ ورُوحٌ منهُ، وأن الجنةَ حق، والنارَ حَق أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ على مَا كانَ مِنْ العَمَلِ» البخاري ومسلم.

وعن أنس رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ على رجل وهو في النزع فقال: «كيفَ تَجدُك»؟ قال: أجدني أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي فقال ﷺ: «ما أجتَمعَا في قلبِ عبدٍ في هذا الموطِنِ إلا أعْطاهُ اللهُ مَا رَجَا وأَمَّنَه مِمَّا يخافُ» رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وقال النووي إسناده جيد

الإكثار من قراءة القرآن وذكر الله تعالى

إن الموفق هو من وفقه الله تعالى فجعل قلبه جياشا بحبه، هائما في صفات جماله وكماله، فرعا منزعجا من الغفلة والعبث واللهو وضياع ساعة في غير طاعته وجعل لسانه رطبا بذكره تعالى وشكره، عِطرا بتلاوة كتابه والتغني به، وجعل حياته مشغولة بما يحب ربه، وبما يحب رسوله، وبما يجعله في مصاف النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فهنيئا لمن بسط له قبل موته بساط النور والهدى، وهنيئا لمن أقبل الله عليه في مرض موته بالرحمة والغفران

والرضى. وهذا الكتاب هو أنسب كتاب أنصح فيه أخواني بأن يكثروا من قراءة كتاب الله، ومن الاستغفار والدعاء وذكر الله، فإن القادم على الله تعالى إن ألهم ذكره قبل موته فذلك دليل سعادته ونجاته، وأمارة قبوله عند الله واستظلاله بظلال رحماته. ولذلك قال العلماء العاملون: «من وُفِّق للذكر فقد أُعطِيَ منشورَ الولايـة» وسأحاول هنا أن أجمع لك طائفة من الآيات والأحاديث الدالة على فضل قراءة القرآن، وفضل ذكر الله تعالى واستغفاره ودعائه وسترى معي أن المسلم يحرم خيرا كثيرا إن لم يوفقه الله تعالى للقراءة والذكر والاستغفار والدعاء، وإليك الأدلة على ما ذكرته لك

فضل تلاوة كتاب الله تعالى

قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ فاطر ٢٩

وعن أبي أُمامةَ رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقْرءُوا القُرآنَ فانهُ يأتي يومَ القيامةِ شفيعاً لأصْحابِهِ» رواه مسلم

وقال ﷺ: «خيْرُكُمْ مَنْ تعَلَّمَ القُرْآنَ وَعلَّمَه» البخاري ومسلم وغيرهما.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرأَ حَرْفاً مِنْ كتابِ اللهِ فَلهُ بِهِ حَسَنَةٌ والحَسَنَةُ بعَشْرِ أمْثَالِهَا، لا أقول الم حرفٌ ولكن ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حَرْفُ، وميمٌ حَرْفٌ» الترمذي وقال حسن صحيح غريب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « ما اجْتَمَع قومٌ في بيتٍ من بُيُوتِ اللهِ يتلونَ كتابَ اللهِ وَيتَدارَسُونَه فيمَا بينهم إلا نَزَلَتْ عليهِمُ السكينةُ (الطمأنينة) وغَشِيَتْهُمُ الرحمَةُ (عمتهم) وحفَّتْهُم الملائكةُ، وذكَرهُم اللهُ فِيمَنْ عِنْدَه » مسلم وأبو داود وغيرهما.

فضل الإكثار من ذكر الله تعالى

قال تعالى:

﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ البقرة ١٥٢

وقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾ الأحزاب ٤١-

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يقول الله تعالى: أَنَا عِنْدَ ظنِّ عبْدي بي، وأنا معَهُ إذَ ذكَرَني، فإن ذكَرني في نفسه (سراً) ذكرته في نفسي (جازيته الجزاء الحسن) وإن ذكرني في مَلاٍ (جمع من الناس) ذكَرْتُه في ملاٍ خيرٍ منهُم » (أثنى عليه الله في الملأ الأعلى) رواه البخاري ومسلم. وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « مَثَلُ الذي يَذكرُ ربِّه والذي لا يذْكُرُهُ مَثَلُ الحيِّ والميِّتِ » رواه البخاري، وروى مسلم مثله. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: سَبَقَ الْمُفَرِّدُون » قالوا: وما المفردون يا رسول الله؟: قال: « الذاكِرُونَ اللهَ كثيراً والذَّاكرَاتِ » رواه مسلم

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألاَ أُنبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمالِكُم، وأَزْكاها عِنْدَ مَليكِكُمْ (أطيبها عنده) وأَرْفَعِهَا في دَرَجَاتِكُم، وَخيرٌ لكُمْ من إنْفاقِ الذَّهَبِ والفضة، وخير لكم من أن تلقوْا عَدُوَّكُم فتضربوا أعناقَهُم ويضْرِبوا أعناقكم؟» قالوا بلى. قال: «ذِكرُ اللهِ تعالى» رواه الترمذي والحاكم وقال: إسناده صحيح

وعن عبد الله بن بُسر رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثُرتْ عليَّ فأخبرني بشيءٍ أَتَشَبَّثُ به (أتمسك به ويكفيني عن غيره من النوافل). قال: «لاَ يَزَالُ لسانُكَ رَطْباً مِن ذكرِ اللهِ تعالى» الترمذي وقال: حديث حسن. وعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا قال رسول الله ﷺ: «لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يذْكُرونَ اللهَ إلا حَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدهُ» رواه مسلم. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج معاوية رضي الله عنه على حَلْقَةٍ في المسجد، فقال: ما أجلَسَكُم؟ قالوا: جلسنا نذكُرُ اللهَ. قال: آللهِ ما أجلسكُمْ إلا ذَاكَ؟ قالوا: ما أجْلَسَنا إلا ذَاك، قال: أما إني لم أَسْتَحلِفْكم تُهْمَةً لكُمْ، وما كان أحدٌ بِمَنزِلَتي (مكانتي وقربي) من رسول الله ﷺ أقلَّ عَنْهُ حديثا مني: إن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه فقال: «ما أجلسكم؟» قالوا: جَلَسْنا نذكُرا الله ونحمده على ما هدانا للإسلام، ومنَّ به عَلَيْنا. قال: «آلله ما أجْلَسَكُم إلا ذاك؟» قالوا: آللهِ ما أجْلَسنا إلا ذاك. قال: «أما إني لَمْ أستَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لكُم، ولكنه أتاني جبريلُ فأخبرني أن اللهَ يُبَاهِي بِكُمُ المَلاَئِكَةُ» رواه مسلم.

بعض أنواع الذكر

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « كَلِمتانِ خَفِيفَتانِ على اللسان ثَقِيلَتَانِ في المِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إلى الرَّحْمٰنِ: سبحانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ » البخاري ومسلم وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لأن أقولَ: سبحانَ اللهِ، والحمدُ للهِ ولا إله إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ خيرٌ مما طلَعَتْ عليهِ الشمسُ » مسلم

وعنه أن رسول الله ﷺ قال: « من قال لاَ إلهَ إلا اللهُ، وحدَهُ لاَ شَريكَ له، لهُ المُلكُ، ولَهُ الحمدُ، وهُوَ على كُل شيءٍ قديرٌ، في يومٍ مائةَ مرةٍ كانَتْ لَه عَدْل عَشْرَ رِقَابٍ، وكتِبَتْ له مِائَةُ حَسَنَةٍ، ومُحِيَتْ عَنْه مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وكانَتْ لهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيطانِ يَوْمَهُ ذَلكَ حَتَّى يُمْسَي، ولَمْ يَأتِ أحدٌ بأفْضلَ مما جاءَ بِهِ إلا رَجُلٌ عَمِلَ أكثَرَ مِنْه » وقال: « من قال: سُبْحان اللهِ وبِحَمْدِهِ في يومٍ مائةَ مَرةٍ حُطَّتْ خَطاياهُ وإِنْ كانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ » البخاري ومسلم- والزبد- الرغوة. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: « ألاَ أُخْبِرُكَ بأحَبِّ الكلامِ إلى اللهِ؟ إن أَحَبَّ الكلامِ إلى اللهِ: « سُبْحانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ » مسلم. وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ألاَ أَدُلكَ على كنْزٍ من كُنُوزِ الجنةِ؟ فقلتُ: بلى يا رسولَ اللهِ، قال: « لاَ حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بِاللهِ » البخاري ومسلم، هذا. وإذا أردت المزيد من الأذكار التي تقال في الصباح وفي المساء وفي الصلاة وبعدها، وفي الصيام وغيره من العبادات، وفي الأحوال والمناسبات المختلفة فعليك بالكتب الخاصة بذلك مثل: الأذكار للنووي- والكلم الطيب لابن تيمية- ورياض الصالحين للنووي- والترغيب والترهيب للمنذري، وغير ذلك من الكتب.

فضل الدعاء وأهميته

قال تعالى:

﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ الإعراف ٥٥

والمعنى: ادعوا ربكم تذللاً وسراً ولا تعتدوا في الدعاء برفع الصوت أو طلب ما لا يجوز.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ البقرة ١٨٦

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**الدعاء هو العبادة**» ابو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ عَبدٍ مسلمٍ يَدْعو لِأخيه بِظَهْرِ الغَيْبِ إلا قال المَلَكُ: ولَكَ بِمِثْلٍ**» مسلم. وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صُنِعَ إليهِ معْروفٌ فقال لفاعِلِه: جزاكَ اللهُ خيْرا، فقدْ أَبْلَغَ في الثَنَاءِ**» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لاَ تَدْعُوا على أَنْفُسِكُمْ، ولا تدعوا عَلى أولاَدِكم، ولا تدعوا عَلى أمْوَالِكُمْ، لا تُوافِقُوا مِنَ اللهِ ساعَةً يُسأَلُ فيهَا عَطاءً فَيَسْتَجِيبُ لكُمْ**» رواه مسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أَقْرَبُ ما يكونُ العبْدُ مِنْ رَبِّه وَهو سَاجِد فَأَكْثِروا الدعاءَ**» مسلم. وعنه رضي الله أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يَزَالُ يُسْتَجابُ للعبدِ ما لمْ يَدعُ بإثمٍ (معصية) أو قطِيعَةِ**

رَحِمٍ ، ما لم يَسْتَعْجِلْ » قيل يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: « يقول: قَدْ دَعَوْتُ، وقد دَعوت، فلَمْ أرَ يَسْتَجِيبُ لي، فَيَسْتَحْسِر عندَ ذَلِكَ، ويدعُ الدعاءَ » مسلم

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « ما عَلى الأَرْضِ مسلمٌ يَدْعُو اللهَ تعالى بِدَعْوَةٍ إلا آتاهُ اللهُ إيَّاهَا ، أو صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا ، ما لم يَدْعُ بإثم أَوْ قَطِيعَةِ رحمٍ . فقال رجل من القوم: إذاً نكْثر قال اللهُ أكْثَرُ (أي أكثر احسانا وفضلا) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح، ورواه الحاكم من رواية أبي سعيد وزاد فيه «أو يَدَّخِرُ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلَهَا.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: « لا إلهَ إلا اللهُ العظِيمُ الحَلِيمُ، لا إلهَ إلا اللهُ ربُّ العَرشِ العَظِيم، لا إله إلا اللهُ ربُّ السَّموَاتِ وربِّ الأرضِ ، وربِّ العرشِ الكَرِيمِ » البخاري ومسلم

فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

قال تعالى في كتابه الكريم:

إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا الأحزاب ٥٩

وعن عبد الله بن عمر بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « من صَلى عليَّ صلاةً صلى الله علَيْهِ بَها عَشْراً » رواه مسلم

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **أولى الناسِ بِي يومَ القيامَةِ أكثرهُم عليَّ صلاةً** » رواه الترمذي وقال: حديث حسن.

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **البَخيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فلم يُصَلِّ عليَّ** » الترمذي وقال: حسن صحيح.

وعن فضالة بن عُبدة رضي الله عنه قال: سمع رسول الله ﷺ رجلا يدعو في صلاته، ولم يحمد اللهَ تعالى، ولم يصَلِّ على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ: « **عَجِل هَذَا** » ثم دعاه فقال له - أو لغيره -: « **إذا صَلى أحَدُكُمْ فلْيَبْدأْ بِتحميدِ ربِّه سبحانه والثناءِ عَلَيْهِ، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يَدْعُو بَعْدُ بما شاءَ** » أبو داود والترمذي وقالا حديث صحيح.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ (بمعنى صغر وذل) ذُكِرْتُ عندَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عليَّ** » الترمذي وقال: حديث حسن.

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **لاَ تَجْعَلُوا قَبْري عِيداً (تعتادون الاحتفال به كما يفعل أهل الجاهلية) وصَلوا عليَّ، فإن صلاَتكُم تَبْلُغُني حَيْثُ كُنْتُمْ** » رواه أبو داود بإسناد صحيح كما ذكر النووي في رياض

الصالحين. وعنه أن رسول الله ﷺ قال: « **مَا مِنْ أحَدٍ يُسَلِمُ عليَّ إلا رَدَّ اللهُ عليَّ رُوحي حتى أرُدَّ عَلَيْه السَّلاَمَ** » أبو داود بإسناد صحيح كذا قال النووي.

وعن أبي محمد كَعْب بن عُجْرَةَ رضي الله عنه قال: خرج علينا النبي ﷺ فقلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك (كما جاء في التشهد في الصلاة) فكيف نصلي عليك قال: « قولوا اللهَّم صَلِّ على محمد وعلى آلِ محمدٍ كما صليتَ على آل إبراهيمَ إنكَ حميدٌ مجيدٌ اللهم باركْ على محَمد وعلى آل محمدٍ كما باركتَ على آل إبراهيم أنك حميدٌ مجيدٌ » البخاري ومسلم.

وعن أبي حُمَيْدٍ الساعِدِيِّ رضي الله عنه قال: قالوا يا رسول الله، كيفَ

نُصَلي عَلَيْكَ؟ قال: «قولوا: اللهمْ صلِّ على محمد وعلى أزْواجِه وذريته كما صَليتَ على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى أزواجِهِ وذريته كما بارَكتَ على إبراهيم، إنك حميد مجيد» البخاري ومسلم

تلقى الموت بالرضى والسرور حبا في لقاء الله تعالى

إن المؤمن الصادق الايمان يكون قلبه عند حضور أجله متصلا بربه، موقنا أنه مقبل على من لم ير الخيرَ إلا منه ومن وهو واسع الجود والكرم، ومفيض الإحسان ومسبغ النعم، ومن سبقت رحمته غضبه، وعفوه نقمته، ومغفرته عقوبته، وبسبب ذلك يتلقى الموت بالسرور والرضى، حيث إنه المرحلة الأخيرة من حياته الدنيا، والخطوة الأولى إلى لقاء العلي الأعلى، فجدير به أن يمتلىء قلبه في هذه اللحظات بالأمل في الله وحده، وأن يزداد له حبا، ويقبل عليه بقلبه راجيا ومتوكلا، خاشعا ومتذللا، فهو سبحانه صاحب الحول والطول، لا ملجأ منه إلا إليه، ولا إله غيره ولا رحمان سواه، ولا مغيث إلا هو ولا نجاة إلا في حِمَاه، إليه المرجع والحكم في المصير، لا معقب لحكمه وهو على ما يشاء قدير، من استعان به أعانه، ومن استغاث به أغاثه، ومن استجار به أجاره، يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، ويحب من عبده المؤمن ألا يلجأ إلى أحد سواه، فمن أحبه مولاه غرس في قلبه حبه، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، والله عند ظن عبده به، فمن ظن بالله خيراً وجد خيرا، ومن ظن بالله سوءاً وجد شرا، وما دامت حبال الأجل قد تقطعت، فليس أمام المؤمن إلا مد حبال الأمل، والله هو الذي يجيب المضطر

إذا دعاه، ويكشف السوء عمن يئس من جميع الخلق ولم يرج إلا الله، وقد ورد أن معاذ رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال: أللهم إني كنت أخافك، وأنا اليوم أرجوك. ولما حضر بلالا الوفاةُ قالت امرأته: واحزناه. فقال: بل واطَرَبَاهُ، غداً نَلقى الأحِبة، محمداً وحِزْبَه. وعن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لقاءَ اللهِ أحَبَّ اللهُ لِقَاءَه، ومن كَرِه لقاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لقاءَه، فقلت: يا نبي الله: أكَراهيةَ الموتِ فكلنا نَكْرَهُ المَوْت؟ قال: «لَيْسَ ذَلِك، ولكنَّ المُؤْمِنَ إذَا بُشِّر بِرَحْمَةِ اللهِ ورِضْوانه وَجَنته أَحَب لِقَاءَ اللهِ فأحب اللهُ لِقَاءَه، وإن الكافِرَ اذا بُشِّر بعذَابِ اللهِ وَسَخَطِه، كَرِه لِقَاءَ اللهِ، وكرِه اللهُ لِقَاءَه» البخاري ومسلم وغيرهما. وسبق حديث: «لاَ يَمُوتَنَّ أحدُكُمْ الا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّن بِاللهِ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل: إذا أَحَبَّ عَبْدي لِقَائي أَحْبَبْتُ لِقاءَه، وإذا كَرِهَ لِقَائي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ» رواه مالك والبخاري واللفظ له ومسلم والنسائي.

ما يطلب فعله مع من حضره موته

يطلب أن يحضر حالة الموت قوم صالحون سواء قل عددهم أو كثر، وذلك للقيام بالمطلوب شرعا نحو من حضره الموت مثل تلقينه «لا إله إلا الله وتوجيهه إلى القبلة، وتغميض عينيه، ونصح أهل الميت بما ينبغي عمله في مثل هذه الحالة، والقيام بتعزيتهم وتصبيرهم بادىء ذي بدء حتى يفعلوا ما سنه رسول الله ﷺ في مثل هذه الحال، وليحذر أهل المحتضر من حضور الفساق والمتظاهرين بالمعاصي في هذه الحالة، فقد يبدو من المحتضر (من

حضرته ملائكة الموت) ما يدل على سوء خاتمته والعياذ بالله تعالى، فيطلب الستر عليه، وعدم إفشاء أمره، كما قد يظهر منه ما يخجل أهله من ذكره، أو يؤذيهم أن يتكلم الناس به في حق ميتهم، والصالحون وحدهم هم الذين يؤتمنون في مثل هذه الحال، ويعرفون كيف يتصرفون، وحديث «مثل الجليس الصالح والجليس السوء» يشهد لذلك، ومثله حديث: «لا تَصْحَبْ الا مُسْلِماً ولا يأكل طعامَكَ إلا تَقِيٌّ» الترمذي وحسنه وكذلك حديث: «المسلم أخو المسلم لا يَظْلِمُه ولا يُسْلِمُه ولا يخْذُلُه» رواه مسلم وغيره إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على رعاية حق المسلم، وهذه الحقوق وغيرها لا يحرص عليها إلا من يخاف الله تعالى وإليكم ما يطلب عمله تفصيلا مع من حضرت منيته.

(١) تلقينه «لا إله إلا الله»

فعن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «**لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لاَ إلهَ إلا اللهُ**» رواه مسلم. قال الإمام النووي في شرح مسلم جـ ٦ ص ٢١٩: معناه من حضره الموت والمراد: ذكِّروه لا إله إلا الله لتكون آخرَ كلامه كما في الحديث الصحيح: «مَنْ كانَ آخِرَ كلامِهِ لا إلهَ إلا اللهُ دَخَلَ الجنة» والأمر بهذا التلقين أمر ندب، وأجمع العلماء على هذا التلقين وكرهوا الإكثار عليه والموالاة لئلا يضجر بضيق حاله وشدة كربه فيكره ذلك بقلبه، ويتكلم بما لا يليق، قالوا: وإذا قال له مرة «لاَ إله إلا اللهُ» لا يكرر عليه إلا أن يتكلم بعده بكلام آخر فيعاد التعريض به ليكون آخر كلامِهِ، ويتضمن الحديث الحضور عند المحتضر لتذكيره وتأنيسه وإغماض عينيه والقيام بحقوقه، وهذا مجمع عليه. ا هـ كلام النووي. وأخرج مسلم من حديث أبي ذر قال: قال النبي ﷺ: «**مَا مِنْ عبدٍ قال لا إلهَ إلا اللهُ ثم مَاتَ على ذَلكَ إلا دَخَلَ الجنة**». قال الشوكاني: والحديث فيه دليل على نجاة من كان آخر قوله: لا إله إلا الله من النار واستحقاقه لدخول الجنة، وقد وردت أحاديث صحيحة في الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابة أن مجرد قوله لا إله إلا الله من موجبات دخول الجنة من غير

تقييد بحال الموت فبالأولى أن توجب ذلك إذا قالها في وقت لا تتعقبه معصية ا هـ من نيل الأوطار جـ ٤ ص ٢٢

(٢) توجيهه إلى القبلة

وذلك بأن يجعل مستلقيا على ظهره ويرفع رأسه قليلا ليكون وجهه كله جهة القبلة وبذلك قال الشافعي والهادي والناصر، وقال المؤيد بالله وأبو حنيفة والإمام يحيى والشافعي في قول آخر: إنه يوَجَّه على جنبه الأيمن، واستدلوا بالأحاديث الصحيحة التي أمر النبي ﷺ فيها عند النوم بالوضوء وبالاضطجاع على الشق الأيمن والدعاء بذكر مُعَين، وفي آخرها: «فإن مِتَّ من لَيْلتِكَ فأنْتَ على الفِطْرَةِ» فموته على الفطرة له أسباب ثلاثة هي الوضوء بالاضطجاع على الشق الأيمن، والذكر بالدعاء المأثور،

وعن سَلْمى أمِّ أبي رافع عند أحمد في المسند «إن فاطمة بنتَ رسولِ اللهِ ﷺ عند موتها استقبلت القبلة ثم تَوَسَّدتْ يمينَها» والأمران جائزان والمهم هو التوجيه إلى القبلة لما رواه الحاكم والبيهقي عن أبي قتادة أن البراء بن معرور أوصى أن يُوَجَّهَ للقبلة إذا احتُضِر، فقال رسول الله ﷺ: «أصَابَ الفِطْرَةَ»

(٣، ٤) تغميض عينيه والدعاء له ولأهله بخير

فعن أم سلمة قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شَقَّ بَصَرُه (شَخَصَ بحيث صار ينظر إلى الشيء لا يرتد إليه طرفه) فأغمضه ثم قال: «إن الروحَ إذا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصَرَ، فضجَّ نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ (صاحوا) فقال: «لاَ تَدْعُوا على أنفُسِكُمْ إلا بِخَيْر، فإن الملائكةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقولُونَ، ثم قال: «اللهمَّ اغفِرْ لأبي سَلَمَةَ وارْفَعْ دَرَجَتَهِ في المهديِّين، واخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ في الغَابِرِينَ واغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ العَالَمِين، وأفسح لَهُ في قَبْرِه ونَوِّرْ لَهُ فيه» مسلم.

قال الإمام النووي: في الحديث دليل على استحباب إغماض الميت، وقد

أجمع المسلمون على ذلك، قالوا والحكمة فيه ألا يقبحُ بمنظره لو تُرِك إغماضه، ثم قال: وفيه استحباب الدعاء للميت عند موته، ولأهله وذريته بأمور الآخرة والدنيا ا هـ أقول: وقاس العلماء إغلاق فم الميت على إغماض عينيه.

وفيه دليل على تأمين الملائكة على الدعاء عند الاحتضار، وذلك أرجى للاستجابة والقبول عند الله.

(٥) استحباب الكلام عنده بما هو خير

وقت الاحتضار تشهده الملائكة فينبغي أن يخشع الحاضرون ولا يقولوا إلا خيرا، وذلك بأن يدعو الله تعالى ويستغفروه للميت ولأنفسهم، ويمنعوا أهل الميت من قول أو فعل ما لا يرضي الله تعالى ويأمروهم أن يقولوا ما أوصى به النبي ﷺ أن يقال في مثل هذه الحالة: «إنا لله وإنا إليه راجعون الخ»

فعن أم سلمة قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا حَضَرْتُمُ المريضَ أو الميتَ فقولوا خَيْراً فإن الملائكة يُؤَمِّنُونَ على ما تقولون» قالت فلما مات أبو سلمة أتيت النبي ﷺ فقلتُ يا رسولَ الله إن أبا سَلَمَة قد مَاتَ. قال: «قُولي اللهمَّ اغْفِر لِي وَلَهُ، وأعْقبْني منهُ عُقْبى حَسَنَة» قالت فقلت فأعْقَبَنِي اللهُ مَنْ هُوَ خيرٌ لي منهُ رسولَ الله ﷺ»

وعن أم سلمة أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ مُسْلِم تُصيبُه مُصيبَة فيقُولُ مَا أَمَرَه اللهُ إنا لله وإنا إِلَيْهِ رَاجعُونَ، أللهم أْجُرني في مُصِيبَتِي وأخْلِفْ لي خَيْرا مِنْها إلا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرا مِنها» قالت فلما مات أبو سلمة قلت أي المسلمين خير من أبي سلمة؟ أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ، ثم إني قلتُها فأخلَفَ اللهُ لي رسول الله ﷺ...» مسلم.

(٦) نهي أهل الميت عن الوقوع في منكر:

يجب على من حضر موت مسلم أن ينهى أهله عن الوقوع في المعاصي التي يقع فيها النساء في مثل هذه الحالة، من لطم الخدود وشق الجيوب والصياح

والصراخ ونفش الشعور، وصبغ الوجوه والتكلم بكلام الجاهلية، الدال على السخط والجزع وعدم الرضى بالقضاء والقدر.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **لَيس منا مَنْ لَطمَ الخدُودَ وشَق الجُيُوبَ (مزق الثياب من أمام جزعا وسخطا) ودعا بدَعْوى الجَاهِلِيْة** » البخاري ومسلم. والمراد: ليس على طريقتنا الكاملة.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بريء من الصَّالقَةِ (التي ترفع صوتها بالنياحة) والحَالِقَةِ (التي تحلق شعرها عند المصيبة) والشَّاَقَّةِ (التي تشق ثيابها جزعا وسخطا).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لَعَنَ رسولُ اللهِ ﷺ النَّائِحَةَ والمُسْتَمِعَةَ » رواه أبو داود. قال النووي: واعلم أن النياحة هي رفع الصوت بالندب، والندب هو: تعديد النادبة بصوتها وصراخها محاسن الميت، قال أصحابنا: ويحرم رفع الصوت بإفراط في البكاء، وأما البكاء على الميت بغير ندب ولا نياحة فليس بحرام، فقد عاد رسول الله ﷺ سعد بن عبادة فبكى، فلما رأى القومُ بكاءَ رسول الله ﷺ بَكَوْا، فقال: « **أَلاَ تَسْمَعون؟ إن اللهَ لا يُعَذبُ بِدَمْعِ العَينِ ولا بِحُزْنِ القَلْبِ ولكن يُعَذِّبُ بِهذَا أو يَرْحَمُ، وأشَارَ إلى لسَانِهِ** » رواه البخاري ومسلم. وأما الأحاديث الدالة على أن الميت يعذَّبُ ببكاء أهله عليه فمحمولة على أوجه في التأويل، وأهم هذه الأوجه أن الميت يعذب إذا كان له سبب في فعل أهله المنكر كأن يكون أوصى بمنكر، أو يعلم أن أهله يفعلونه فلم ينههم قبل موته ا هـ من الاذكار ص ١٣٤

(٧، ٨) تغطية الميت وجواز تقبيله:

يستحب تغطية جميع جسد الميت بعد موته من أعلى رأسه إلى أسفل قدميه بأي نوع من أنوع النسيج وبأي لون من الألوان بعد أن تنزع عنه ثيابه التي مات فيها، أو مع بقائها، وذلك سترا للميت عن أعين الناس، وحتى لا تنكشف

عورته، وتظهر سوأته، ويجوز كشف وجهه من أجل تقبيله، ثم يغطى بعد ذلك. فعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ حين تُوُفِّيَ سُجِّيَ بِبُرْدِ حِبَرَةٍ» رواه البخاري ومسلم. والمراد أنه غطي بثوب فيه أعلام من صنع اليمن. وعن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر دخل فبَصُر برسول الله ﷺ وهو مُسَجَّى ببرده، فكشف عن وجهه وأكَبَّ عَلَيْه فَقَبَّلَهُ» رواه أحمد والبخاري والنسائي وعنها قالت: «قبَّل رسولُ الله ﷺ عُثمَانَ بنْ مَظْعُون وَهُو مَيِّتٌ حتى رأَيْتُ الدموعَ تَسِيلُ علىٰ وَجْهِهِ» أحمد وابن ماجه والترمذي وصححه.

ما يطلب عمله للميت بعد موته

إذا مات الميت وفارقت روحه جسده طُلب من أهله خاصة ومن المسلمين عامة القيام بأمور نحوه بعضها واجب وبعضها مستحب وإليك بيانها تفصيلا

(١) المبادرة إلى تجهيزه ودفنه

من السنة الإسراع إلى تجهيز الميت وإعداده للدفن بعد التأكد من موته.

فقد أخرج الطبراني بإسناد حسن عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا مَاتَ أحدُكُمْ فَلاَ تَحبِسُوهُ وأسْرِعُوا بِهِ إلى قَبْره»

وعن علي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاَث يا عليّ لا يُؤَخَّرْن، الصلاة إذا آنَتْ (حان وقتها) والجنازة إذا حَضَرتْ، والأَيِّمُ إذا وَجَدَتْ كُفْؤاً» رواه أحمد وغيره ويجب تأخير دفنه إذا لم يتأكد من موته حتى يحصل التأكد، ويجوز تأخير الدفن لسبب من الأسباب كحضور أقربائه، أو معرفة سبب موته؛ لاحتمال أن يكون مقتولا، أو أن يكون ميتا بسبب مرض وبائي

ونحو ذلك وقد ثبت أن النبي ﷺ مات يوم الاثنين ولم يدفن إلا ليلة الأربعاء، على أحد الآراء، وهو أشهرها.

(٢) اختيار من يغسله مع الرفق به والستر عليه

فعن أبي بن كعب: «أن آدم عليه السلام قبضَتْه الملائكةُ وغسَّلوه وكفَّنوه وحنَّطوه وحفروا له وألْحُدُوا، وصلوْا عليه، ثم وضعوه في قبره، ووضعوا عليه اللَّبِن (الطوب الذي لم يحرق) ثم خرجوا من القبر، ثم حثوا عليه التراب، ثم قالوا: يا بني آدم هذه سنتكم» رواه عبد الله بن أحمد في المسند والحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «**إن كَسْرَ عَظْمِ الميت مثلُ كسرِ عظمِه حيًّا**» رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة، وقال الشوكاني فيه: رجاله رجال الصحيح على كلام في سعد بن سعيد الأنصاري. وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**زُرِ القُبُورَ تَذْكُرْ بِها الآخرة، واغْسِلِ الموتى فإن مُعالَجَةَ جَسَدٍ خاوٍ موعظةٌ بليغَة، وصلِّ على الجنائزِ لَعلَ ذلِكَ أن يُحْزِنَك فإن الحزينَ في ظِلِّ الله يَتَعرض كُلَّ خَيْر**» رواه الحاكم وقال: رواته ثقات. وعنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ غَسَّل ميِّتاً فأدى فيه الأمانة (غسله كما أمره الشرع وستره) ولم يُفْشِ عَلَيْهِ ما يكونُ مِنْهُ عِنْدَ ذلك خَرَجَ من ذُنُوبِه كيَوْمَ وَلَدَتْهُ أمُّه**» رواه أحمد والطبراني من رواية جابر الجعفي. وجابر ضعفه بعضهم ووثقه آخرون.

وعن رافع رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ غَسَّل ميِّتاً فكَتَم عليه غفر اللهُ لهُ أربعينَ كبيرَةً، ومن حفر لأخيهِ قَبْراً حتى يُجْنِبَه (يوارى جثته) فكأنما أسْكَنَه مَسْكَنا حتى يُبْعث**» رواه الطبراني في الكبير ورواته محتج بهم في الصحيح: كذا قال المنذري. من هذه الأحاديث يتضح لنا

أمور منها :

ا- استحباب أختيار من يغسل الميت من بين الصالحين الأمناء ،والقريب أولى من غيره.

ب- الرفق بالميت مستحب ، فيقلب عند الغسل برفق ، ويغسل بماء مناسب لا هو حار ولا هو بارد ، ويرفق به في كل شيء حتى يوارى.

حـ- إيذاء الميت كإيذاء الحي حرام ، فلا يجوز كسر عظمه ولا قطع جزء منه لغير ضرورة

د- يستر الميت قدر المستطاع حتى لا ينكشف من أمره شيء ويسوء ، مثل عورته ، أو ما يخرج من بطنه ، أو تغير لونه بسبب من الأسباب.

هـ- زيارة القبور ، وغسل الموتى ، ودفنهم ، والصلاة عليهم من الأمور التي تزهد في الدنيا ، ويثبت الله عليها الثواب العظيم.

هـذا وغسل الميت واجب وجوبا كفائيا على من علم به من الأحياء وقدر عليه فإن قام به البعض سقط عن الباقين ، وإن لم يقم به أحد أثموا جميعا. وهذا هو معنى فرض الكفاية.

وقد انعقد إجماع المسلمين على وجوب غسل الميت كما حكى ذلك الإمام النووي والإمام المهدي ، وسند هذا الإجماع أحاديث الأمر بالغسل ، فقد جاء في الصحيح أن النبي ﷺ أمر بغسل ابنته حين ماتت ، وأمر بغسل الرجل الـذي وَقَصَتْه (كسرته) ناقته ، وكذلك فعل أصحاب النبي ﷺ في حياته وبعد موته ، ولكن ابن حجر اعترض على النووي في دعواه الإجماع ، وقال: إن الخلاف مشهور عند المالكية ، على أن القرطبي في شرح مسلم رجح أنه سنة ، ولكن الجمهور على وجوبه ، وقد رد ابن العربي على من لم يقل بذلك ، وقال: قد توارد به القول والعمل ، انتهى.

(٣) إحسان غسل الميت حسبما جاء في السنة

الغسل الواجب يكفي فيه تعميم جسد الميت بالماء الطهور، وأما الغسل المسنون فيكون بغسل الميت ثلاثا أو خمسا أو سبعا، بمعنى أن يغسل وترا لا شفعا، وأن يكون الغسل بمنظف مثل الصابون وغيره، وأن يجعل شيء من الكافور مع آخر مرة، لأن من خاصية الكافور أن لا يسرع التغيير فيما استعمل فيه، وأن يبدأ بأعضاء وضوئه، ويقدم غسل العضو اليمين على الشمال في غسل أعضاء الوضوء وغيرها، ويجعل شعر المرأة ثلاثة ضفائر، كل جانب من الرأس ضفيرة والناصية ضفيرة، ثم تجعل الضفائر خلف رأسها. فعن أم عطية قالت: دخل علينا رسول الله ﷺ حين توفيت ابنته (زينب أو أم كلثوم) فقال: «**اغسِلْنَها ثلاثا أَوْ خمسا أو أكثر من ذلك إن رَأَيْتُن بماءٍ وسِدْرٍ، واجعلن في الأخيرة كافوراً أو شيئا من كافور، فإذا فرَغْتُنَّ فآذِنَّني (أعلمنني) فلما فرَغْنَا آذَنَّاهُ فأعطانا حقْوَه (إزاره) فقال: «أشْعِرْنَها إيَّاهُ (الففنها فيه) يعني إزاره**» رواه الجماعة، وفي رواية لهم «إبْدَأنَ بِمَيَامِنِها ومَوَاضِعِ الوُضُوءِ مِنها» وفي لفظ: «إغسِلْنَها وترا ثلاثا أو خمسا أو سبعا أو أكْثَرَ من ذلك إن رأيْتُن» وفيه قالت: «فضَفَرْنَا شَعْرَهَا ثلاثَةَ قُرونٍ (ضفائر) فألقيناها خَلْفَها» متفق عليهما.

حكم غسل أحد الزوجين الآخر:

قال الشوكاني: جمهور الفقهاء يقول بجواز أن يغسل أحد الزوجين الآخر، وقال الأحناف والشعبي والثوري يجوز أن تغسل الزوجة زوجها، ولا يجوز العكس لبطلان النكاح بالموت، ولكن ثبت أن أسماء زوجة أبي بكر غسلت زوجها أبا بكر، وأن عليا غسل زوجته فاطمة رضي الله عنهم جميعا، وكان الصحابة موجودين ولم ينكر منهم أحد على عليٍّ، واستدل المجوزون مع ذلك بحديثين فيهما مقال. أحدهما قول النبي ﷺ لعائشة: «مَا ضَرَّكِ لو مُتِّ قَبْلي

فغَسَّلتكُ وكفنتُك ثم صليتُ عليك ودفنتك » أحمد وابن ماجه والدارمي وغيرهم

وثانيهما قول عائشة: لو استَقْبَلْتُ من أمْرِي ما استَدْبرتُ ما غَسَّل النبيَّ ﷺ إلا نساؤه » أحمد وابن ماجه وأبو داود. والراجح ما قاله الجمهور حيث لا يوجد نص معارض لما ذكر من الأدلة. انتهى ملخصان جـ ٤ ص ٣١

الشهيد لا يغسل ولو كان جنباً:

الراجح الذي عليه أكثر الفقهاء أن الشهيد بسبب المعركة مع الكفار لا يغسل، ولكن يدفن بدمه، فإنه يبعث يوم القيامة وجرحه ينزف دمه، ويكون اللون لون الدم ولكن الريح ريحُ المِسْك، وأما الشهيد بسبب الهدم أو الحرق أو الطاعون، ونحوها فإنه يغسل باتفاق، والدليل على أن شهيد المعركة لا يغسل ما يأتي:

فعن جابر رضي الله عنه قال: « كان رسول الله ﷺ يَجْمَعُ بينَ الرجُلَيْن من قتلى أُحد في الثوب الواحد ثم يقول: « أيُّهمْ أكثَرُ أخذاً للقرآنِ؟ فإذا أشِيرَ له إلى أحَدِهما قدَّمَهُ في اللَّحْدِ، وأمر بدفْنِهمْ في دِمَائِهِمْ، ولم يُغَسَّلوا ولَمْ يُصلِّ عَلَيْهِمْ » رواه البخاري والنسائي وابن ماجه والترمذي وصححه.

وجاء في عدة أحاديث أن حنظلة غسَّلته الملائكةُ بعد قتله في أُحد؛ لأنه كان جُنُباً، فاستدل به من قال: إن الجنب يغسل، وهو أبو حنيفة والمنصور بالله.

وقال الشافعي ومالك وأبو يوسف ومحمد والهادي والقاسم والمؤيد بالله وأبو طالب: إنه لا يغسل لعموم الدليل، قال الشوكاني حـ ٤ ص ٣٤ وهو الحق، لأنه لو كان واجبا علينا ما اكتُفِيَ فيه بغسل الملائكة، وفعلهم ليس من تكليفنا ولا أُمِرْنا بالاقتداء بهم

(٤) تكفينه في كفن حسن

واكتفي هنا بذكر ما ورد في الكفن من الأحاديث مع التعليق المناسب عليها:

● عن خبَّاب بن الأَرَتِّ «أن مصعبَ بنَ عُمير قُتِلَ يومَ أُحُد ولم يترك إلا نَمِرَةً (شملة فيها خطوط بيض وسود، أو بردة من صوف) فكنا إذا غطينا بها رأسَه بَدَتْ رِجْلاَهُ، وإذا غطينا رجليه بدا رأسه فامرنا رسول الله ﷺ أن نغطي بها رأسه ونجعلَ على رجليه شيئا من الإذْخِر» رواه الجماعة إلا ابن ماجه.

● وعن ابي قتادة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا وَلِيَ أحدُكم أخاهُ فَلْيُحْسِنْ كَفَنَه**» رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه

● وعن جابر أن النبي ﷺ خطب يوما فذكر رَجُلاً من أصحابه قُبِضَ فكُفِّنَ في كَفَنٍ غَيْرِ طَائِلٍ وقُبِر لَيْلاً فزجَرَ النبي ﷺ أن يُقْبَرَ الرجلُ لَيْلاً حتَّى يَصلَّى عليه إلا أن يَضْطَرَّ إنسانٌ إلى ذلك، وقال النبي ﷺ: «**إذا كَفَّنَ أحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحَسِّنْ كَفَنَه**» رواه أحمد ومسلم وأبو داود.

● وعن عائشة «أن أبا بكر نظر إلى ثوب عليه كان يَمْرَضُ فِيه به رَدْعٌ مِنْ زَعْفَران (لطخ منه لم يعمه) فقال: اغسِلوا ثَوْبي هَذَا وزِيدُوا عَلَيْهِ ثَوبَيْنْ فكفِّنُوني فيها، قلت: إن هَذَا خَلَق (غير جديد) قال: إن الحيَّ أحقُّ بالجديدِ مِنَ المَيت، إنما هو لِلْمِهْلَةِ (الصديد)

● وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كفِّن رسولُ الله ﷺ في ثلاثةِ أثواب بِيضٍ سَحُوليَّةٍ (نسبة إلى قرية يمنية تسمى سحول) جُدَدٍ يمانية ليسَ فيهَا قمِيصٌ وَلاَ عِمَامَةٌ، أُدْرِجَ فِيهَا إدْرَاجاً» رواه الجماعة.

● وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**إلْبسُوا مِن ثِيابِكم البيَاضَ، فإنَّهَا**

مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ » رواه الخمسة إلا النسائي وصححه الترمذي

● وعن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا أجْمَرْتُم الميّت (بخرتموه) فأجْمِروهُ ثلاثا » رواه أحمد والبيهقي والبزار قيل: ورجاله رجال الصحيح

● وعن ابن عباس قال: بينما رَجُلٌ واقِفٌ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بعرَفَةَ إذْ وَقَعَ عن راحِلَتِهِ، فَوَقَصَتْهُ (كسرته) فذُكِرَ ذلك للنبي ﷺ فقال: « اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وسِدْرٍ (ورق النبق) وكفنوه في ثوبيه، ولا تُحنِّطوه، ولا تُخمِّروا رأسَه (تغطوه) فإن الله تعالى يبعثه يوم القيامة ملبيا » رواه الجماعة.

يؤخذ من الأحاديث السابقة الأحكام الآتية:

أ- حديث خباب يدل على أن كفن الميت يكون من رأس ماله، لأن النبي ﷺ أمر بتكفين مصعب في النمِرة، وليس له مال سواها. قال ابن المنذر: قال بذلك جميع أهل العلم إلا رواية شاذة عن خلاس بن عمر.

ب- كما يدل الحديث على أن الكفن الواجب هو ما يستر عورة الرجل وعورة المرأة فإن فضل شيء ستر به جميع الجسم، فإن قصر عن جميع الجسم بالنسبة للرجل ستر أعلاه وغُطِّيَ رجلاه بشيء من الحشائش الطيبة، وأما بالنسبة للمرأة فإن جميع جسدها عورة، فإن لم يف رأس المال بكفن يسترها وجب على أوليائها، فإن لم يوجد فعلى بيت مال المسلمين، لأن الكفن الساتر للعورة واجب، وما زاد فهو سنة.

جـ- وحديث أبي قتادة على استحباب الاعتناء بالكفن بغير مغالاة بحيث يكون أبيض جديد أو يكون ثلاثة أثواب للرجل وخمسة للمرأة، والزيادة في العدد المذكور والنقص عنه لا يؤثر لأنه لم يرد أمر بالتحديد عن رسول الله ﷺ، ولكن فعله ﷺ وفعل صحابته رضي الله عنهم أولى باتباع ولو كان في الزيادة عن ثلاثة أثواب خير للرجال لاختار الله لرسوله هذا الخير وكذلك يقال

في النساء وهذا ما أخذ من أحاديث أبي قتادة وجابر وعائشة، فإن النبي ﷺ أمر بتحسين الكفن، وزجر من كفَّن غيره في كفن غير طائل (حقير) وأما قول أبي بكر: «إن الحي أحق بالجديد من الميت» فيبدو منه أنه أراد عدم المغالاة لأنه مع ذلك طلب أن يكفن في ثلاثة أثواب: ثوب غسيل وثوبان آخران يظهر أنهما جديدان لأن عائشة إعترضت على ثوب واحد أنه قديم فدل على أن الآخَرْين جديدان، ولا مانع من أن يكون الكفن قديما نظيفاً، والمغالاة في الأكفان ليست من الإسلام في شيء، وإذا وصل الأمر إلى التفاخر والمباهاة فهو حرام، وتشتد الحرمة إذا كان في الورثة يتيم أو من لا يرضى بما يفعله الآخرون مما يتنافى مع الشرع، كما يحرم تكفين الرجل بحرير.

د- كما يستدل من حديث ابن عباس استحباب اللون الأبيض للأحياء والأموات.

هـ- ويستحب تبخير الميت بالبخور الطيب ثلاثا لحديث جابر.

و- وكذلك يستحب تطييب كفن الميت وجسده لحديث الذي وقصته ناقته فإن النبي ﷺ نهى عن تحنيطه فدل ذلك على أن غيره يحنط.

ز- من مات وهو محرم فله حكم خاص به بالنسبة للكفن، فإنه يغسل كما يغسل غير المحرم إلا أنه لا يطيب أما بالنسبة للكفن فإن الرجل يكفن في ثوبي إحرامه (إزار ورداء) ولا يغطى رأسه، لأن الإحرام يتعلق به، وأما المرأة فإن أمرها لا يتغير، لأنها لا تحرم بالملابس.

وخالف في تكفين المحرم المالكية والحنفية، فقالوا يكفن المحرم كما يكفن غيره؛ لأن قصة هذا الرجل واقعة عين لا عموم لها فتختص به، وأجيب بأن الحديث ظاهر في أن العلة كونه في النسك وهي عامة، وما ثبت لواجد في زمن النبي ﷺ ثبت لغيره حتى يثبت التخصيص. كذا ذكر الشوكاني، فثبت بهذا أن من مات محرما من الرجال فإنه يكفن كما سبق، وأما المرأة فتكفن في الكفن العادي خمسة أثواب: خمار لرأسها، ودرع لصدرها تربط به، وقميص ولفافتان.

الشهيد يكفن في ثيابه التي استشهد فيها:

عن عبد الله بن ثعلبة أن رسول الله ﷺ قال يوم أحد (في الشهداء): «زَمِّلوهُمْ(لفوهم)في ثِيابِهِم..الخ»رواه أحمد وأبو داود بإسناد رجاله رجال الصحيح.

ثبت من هذا الحديث ومما سبق في غسل الميت أن الشهيد لا يغسل ولا يصلى عليه، وإنما يدفن في ثيابه التي مات فيها، ويفهم من ذلك أن مالا يصلح كفنا له يجوز نزعه عنه مثل الحديد والجلود وكل ما هو آلة حرب لأنها ليست ثيابا يدفن فيها. قال الشوكاني: والظاهر أن الأمر بدفن الشهيد بما قتل فيه من الثياب للوجوب.

ومما تقدم يفهم أن ثياب الشهيد إذا لم تكف في الكفن فإنه يزاد له في الكفن حتى يصل إلى كفن السنة، وإن زاد عن كفن السنة فإنه يجوز النقص منها. ومعلوم كما سبق أن الشهيد الذي يصدق عليه هذا الحكم هو الذي قتل بأيدي الكفار في المعركة معهم.

(٥) الصلاة على الميت

الصلاة على الميت المسلم فرض كفاية، لا خلاف في ذلك عند العلماء فهي ثابتة ثبوتا ضروريا من فعله ﷺ وقوله، ومن فعل أصحابه ومن بعدهم إلى عصرنا هذا وسيأتي الكثير من الأحاديث الدالة على ذلك

أكيفية الصلاة على الميت:

عن ابن عباس أنه صلى على جنازة **فَقَرأَ بفاتِحَةِ الكتابِ وقال: لِتَعْلَموا أنَّهُ من السُّنَّة**» البخاري وأبو داود والترمذي وصححه والنسائي وقال فيه: فَقَرأَ بفاتحة الكتاب وسورة وَجَهَر، فلما فرغ قال: سنةٌ وحَقٌ. وعن أبي أُمَامَةَ بنِ سَهْلٍ «أنه أخبره رَجُلٌ من أصحاب النبي ﷺ **أن السُّنَّة في الصلاةِ على الجَنَازَةِ أن يُكَبِّر الإمامُ، ثم يقرأ بِفَاتِحَة الكِتَابِ بعد التكبيرةِ الأولى سِرا في نَفْسِه، ثم يُصَلِّي على النبي ﷺ ويُخْلِصُ الدعاءَ لِلْجَنَازَةِ في**

التكبيراتِ ولا يقرأُ في شيْءٍ مِنْهُنَّ، ثم يُسَلِّمُ سِرًّا في نَفْسِه » رواه الشافعي في مسنده، قال الشوكاني: في إسناده مطرف ولكنه قواه البيهقي بما رواه في المعرفة من طريق عبد الله بن أبي زياد الرصافي عن الزهري بمعناه. وأخرج نحوه الحاكم من وجه آخر وأخرجه أيضاً النسائي وعبد الرزاق. قال في الفتح: وإسناده صحيح.

وعن عوف بن مالك قال: سمعتُ النبي ﷺ صلى على جنازةٍ يقُولُ: « اللهمَّ اغْفِرْ لَهُ وارْحَمْه، واعفُ عَنْهُ وعَافِه، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مَدْخَلَهُ، واغْسِلْهُ بماءٍ وثَلْجٍ وَبَرَدٍ، ونَقِّهِ مِنَ الخَطَايَا كما يَنقَّى الثوْبُ الأبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، وأَبْدِلْهُ داراً خَيْراً مِنْ دَارِه، وأهلا خيرا مِنْ أَهْله، وزوجاً خَيْراً مِنْ زَوْجِه، وقِهِ فِتْنَةَ القَبْرِ وَعَذَابَ النَّارِ، قال عوف: فتَمَنَّيْتُ أَنْ لو كُنْتُ أنا المَيِّتَ لدعاءِ رسول الله ﷺ لذَلِكَ المَيِّتِ » رواه مسلم والنسائي. وعن واثِلَةَ بَنِ الأسْقَع قال: صلى بنا رسُول الله ﷺ على رجلٍ من المسْلمينَ فسمِعْتُه يقول: « اللَّهُمَّ إن فلانَ بنَ فلانٍ في ذِمَّتِكَ وحَبْلِ جِوارِكَ فَقِهِ فتنَةَ القَبْرِ وَعَذابَ النارِ وأنتَ أهْلُ الوفاءِ والحَمدِ، اللهم فَاغْفِر لهُ وارْحَمْه إنك أَنْتَ الغفُورُ الرَّحِيمُ » رواه أبو داود وابن ماجه وسكت عنه أبو داود والمنذري مما يدل على صحة الاحتجاج به.

وعن أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ إذا صلى على جنازة قال: « اللهم اغفِر لِحَيِّنَا ومَيِّتِنَا، وشاهِدنا وغائِبنا، وصغِيرِنا وكبيرِنا، وذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا؛ اللهم من أَحْيَيْتَه مِنَّا فأحْيِه على الإسلام، ومن توفَّيتَه مِنا فَتَوَفَّه على الإيمَانِ » رواه أحمد والترمذي ورواه أبو داود وابن ماجه، وزاد: « اللهمَّ لا تَحْرِمْنا أجره، ولا تُضِلَّنَا بَعْدَه ». وعن عبد الله بن أبي أوفى « أنه مَاتَتْ ابْنَةٌ لَهُ، فكَبَرَّ عَلَيْهَا أَرْبَعاً، ثم قامَ بَعْدَ الرابعةِ قدرَ ما بَيْنَ التكبِرَتَيْنِ يَدْعو، ثم قال: كان رسول الله ﷺ يَصْنَعُ في الجنازَةِ هكذا » رواه أحمد وابن ماجه بمعناه والبيهقي في السنن الكبرى، وفي رواية « كَبَّرَ أَرْبَعاً حتى ظَنَنْتُ أنه سيُكَبِّر خَمْساً ثم سلم عَنْ يَمِينِه وعن شِمالِه فلما انصرف قلنا له: ما هذا؟ فقال: إني لا

أزيد على ما رأيت رسول الله ﷺ يَصْنَعُ، وهكذا كان يَصْنَعُ رسولُ اللهِ ﷺ » قال الحاكم: هذا حديث صحيح.وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: **كانَ زَيْدُ بْنُ أرقمَ يُكَبِّرُ عَلَى جَنَائِزِنَا أَرْبَعاً وإنه كبر خمْساً على جَنَازةٍ فسأَلْتُهُ فقال: « كان رسولُ الله ﷺ يُكبِّرُهَا »** رواه الجماعة إلا البخاري. وعن جابر « أن النبي ﷺ صلى على **أصْحَمَةَ النجاشِيَّ فَكَبَّر عَلَيْهِ أَرْبَعاً** » رواه البخاري ومسلم. وعن علي « **أنه كَبَّرَ على سَهْلِ بنِ حُنَيْفٍ ستاً وقال: إنه شَهِدَ بَدْراً** » رواه البخاري.وعن الحكم بن عُتَيْبَة أنه قال: « **كانوا يكبِّرونَ على أهْلِ بَدْرٍ خَمْساً وسِتّاً وسَبْعاً** » رواه سعيد في سننه. وعن سُمرة قال: صليتُ وراء رسول الله ﷺ على امرأة ماتَتْ في نِفاسِها فقامَ عليها رسولُ الله ﷺ في الصلاةِ وسَطَها » رواه الجماعة.

وعن أبي غالب الخَيَّاطِ قال: شهدتُ أنَس بنِ مالك صلى على جنازةِ رجلٍ فقام عند رأسِهِ، **فلما رفعت أُتِيَ بِجَنَازَةِ امْرَأَةٍ فصَلَّى عَلَيْها، فقامَ وسْطَها، وفينَا العَلاءُ بنُ زيادٍ العَلَوِي، فلما رأى اخْتِلاَفَ قِيَامِهَ على الرجُل والمرأةِ قال: يا أبا حَمْزَةِ هكذَا كان رسولُ الله ﷺ يقومُ من الرجل حيثُ قُمتْ ومِنَ الْمَرْأَةِ حيْثُ قُمْتَ؟ قال نعمْ** » رواه أحمد وابن ماجه والترمذي وحسنه. من هذه الأحاديث نستفيد الأحكام الآتية:

أ- صلاة الجنازة فرض كفاية كما سبق: شرعها رسول الله ﷺ، وبيَّن فضلها وكيفيتها، وصلاها هو وأصحابه ومن بعدهم، وأمر بصلاتها.

ب- إذا كانت الجنازة جنازة رجل وقف الإمام مقابل رأسه، وإذا كانت جنازة امرأة وقف إزاء وسطها وهذا مستحب فإن وقف غير ذلك جاز بشرط أن تكون الجنازة أمامه.

جـ- الأصل في صلاة الجنازة أن تكون في جماعة لها إمام يصلي بهم، ويستحب أن يكون من أولياء الميت أو الحاكم للبلد، ويجوز أن تصلى بغير جماعة كما صلى الصحابة على رسول الله ﷺ.

د- يشترط لصحة صلاة الجنازة ما يشترط لصحة الصلوات المعتادة من الاتجاه إلى القبلة والطهارة من الحدث والخبث وستر العورة. ولا يشترط فيها وقت معين، بل تؤدى في جميع الأوقات حتى أوقات الكراهة (طلوع الشمس واستوائها وغروبها) عند الأحناف والشافعية، خلافا لأحمد وابن المبارك وإسحاق.

هـ- أركان صلاة الجنازة هي (١) النية. وينوي المصلي صلاة الجنازة على فلان أو فلانة أو على من حضر من أموات المسلمين (٢) القيام لمن قدر عليه (٣) التكبيرات. (٤) الدعاء للميت وبعضهم يضم إلى ذلك قراءة الفاتحة والصلاة على النبي ﷺ، والسلام للخروج من الصلاة.

و- الصلاة على الميت سرية سواء صليت ليلا أو نهارا.

ز- التكبيرات على الجنازة أربع وهي التي استقر عليها الأمر وتجوز الزيادة على ذلك لفعل النبي ﷺ، روى ابن عبد البر من طريق أبي بكر بن سليمان بن أبي حثمة عن أبيه «كان النبي ﷺ يكبر على الجنائز أربعا وخمسا وسبعا وثمانيا حتى جاء موت النجاشي فخرج فكبر أربعا ثم ثبت النبي ﷺ على أربع حتى توفاه الله تعالى» وكذا قال القاضي عياض وروى البيهقي أن عمر جمع الصحابة على أربع تكبيرات. والخلاصة ما سبق ذكره، وأجاز بعضهم ثلاث تكبيرات فقط وقد ثبت ذلك عن بعض الصحابة اهـ من نيل الأوطار للشوكاني باختصار جـ٤ ص ٦٦.

ح- الدعاء للميت بالوارد هو الأفضل ويجوز بأي صيغة لأن النبي ﷺ لم يعين صيغة لذلك، وكذلك الصلاة على النبي ﷺ جائزة بأي صيغة، وأفضل الصيغ الصيغة الإبراهيمية التي تقال في تشهد الصلوات.

ط- ثبتت قراءة الفاتحة في صلاة الجنازة بعد التكبيرة الأولى، فلا يجوز العدول عن ذلك، ولكن تصح الصلاة بدونها ولا تبطل، أما الصلاة على النبي ﷺ فلم يأت في صلاة الجنازة ما يدل على موضعها، لكن جاء في آداب الدعاء

أن يُسْبَق بالثناء على الله، ثم بالصلاة على النبي ﷺ، وذلك أوعى لاستجابة الدعاء، وبناء عليه يكون موضع الدعاء في صلاة الجنازة بعد التكبيرة الثانية كما قال بذلك عدد من الفقهاء.

ي- رفع اليدين في غير التكبيرة الأولى من تكبيرات صلاة الجنازة لم يرد به دليل يصح الاعتماد عليه عن الرسول ﷺ وأما الصحابة فجاء عن بعضهم الرفع مع كل تكبيرة، وجاء عن بعضهم عدم الرفع، فالأقوى عدم الرفع ومن رفع لا ينكر عليه ولا يعتبر مبتدعا.

ب- كيفية صلاة الجنازة:

هي أن ينوي المصلي بقلبه الصلاة على من حضره من أموات المسلمين، ثم يكبر التكبيرة الأولى رافعا يديه كما يفعل في الصلاة المفروضة، ثم يقرأ دعاء الاستفتاح ثم يقرأ الفاتحة، ثم يكبر الثانية بغير رفع اليدين ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يكبر الثالثة، ثم يدعو للميت بأحد الأدعية المذكورة أو بما يحضره، ثم يكبر الرابعة، ثم يدعو دعاء خفيفاً ثم يسلم عن يمينه وعن يساره كما ذكر في الحديث.

ويستحب للمصلي أن يخلص الدعاء للميت سواء كان محسنا أو مسيئا، والمسيء أحوج إلى الدعاء من المحسن، وإذا كان الميت طفلا يستحب أن يقول في دعائه «اللهم اجعله لنا سَلَفا وَفَرَطا وأَجْراً» روي ذلك من حديث أبي هريرة عند البيهقي.

ج- الصلاة على الشهيد:

قال صاحب منتقى الأخبار من أحاديث سيد الاخبار:

جاء عن جابر قال «كان رسول الله ﷺ يَجْمع بينَ الرجُلَيْنِ من قَتْلى أحد في الثوب الواحد... إلى قوله: ولم يُغَسَّلُوا وَلَمْ يُصَلَّى عَلَيْهِمْ الخ» وقد سبق في الغسل. وقال في موضع آخر: وقد رويت الصلاة عليهم بأسانيد لا تثبت.

والكلام في الشهيد: هل يصلى عليه أم لا مثار جدال من عهد الصحابة ومن بعدهم: قال الشوكاني في نيل الأوطار: قال الترمذي: قال بعضهم يصلى على الشهيد: وهو قول الكوفيين وإسحاق، وقال بعضهم: لا يصلى عليه وهو قول المدنيين والشافعي وأحمد، وبالأول قال أبو حنيفة وأصحابه والثوري والمزني والحسن البصري وابن المسيب وإليه ذهب العترة ا هـ جـ٤ ص ٤٩: أقول: والذي تطمئن إليه النفس أن الصلاة على شهيد المعركة ليست واجبة ولا مانع من فعلها كأمر مستحب والله أعلم.

د- حكم الصلاة على السِّقط:

السِّقْطُ: هو من أسقِطَ ونزل من الرحم قبل موعد ولادته وتمامه سواء نزل ميتا أو نزل حيا ثم مات، فإن نزل حيا ثم مات فإنه يصلى عليه باتفاق، وتعلم حياته بصراخ أو عطاس، أو نبض قلب وتردد نفس ونحو ذلك وإن نزل ميتا فإن الشافعي يقول بوجوب الصلاة عليه إن نزل بعد أربعة أشهر من عمره، لأن الروح تكون قد نفخت فيه كما جاء في الحديث الصحيح وكتب رزقه وأجله وعمله، وقال كثير من الفقهاء إذا نزل السقط ميتا فإنه لا يصلى عليه لحديث جابر عند الترمذي والنسائي وابن ماجه والبيهقي «**إذا اسْتَهَل السِّقْط صُلِّي عَلَيْهِ وَوُرِّثَ**» قال الشوكاني: وهو الحق ويظهر أَنَّ تغسيله تابع للصلاة عليه، فمن أوجب الصلاة عليه أوجب تغسيله ومن لم يوجب الصلاة عليه لم يوجب تغسيله. والله أعلم.

هـ- حكم الصلاة على السارق من الغنيمة وقاتل نفسه:

ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه يصلى على الغَالِّ (السارق من الغنيمة قبل قسمتها) وعلى من قتل نفسه، وعلى من نُفِّذَ فيه حدُّ الله، وعلى سائر العصاة: قال الإمام النووي: قال القاضي: مذهب العلماء كافة: الصلاة على كل مسلم ومحدود ومرجوم وقاتل نفسه وولد الزنا».

وقال ابن حزم: ويصلى على كل مسلم، براً وفاجر، مقتول في حد أو حرابة أو بغي، ويصلي عليهم الإمام وغيره وكذلك على المبتدع ما لم يبلغ الكفر، وعلى من قتل نفسه وعلى من قتل غيره ولو أنه شر من على ظهر الأرض إذا مات مسلما لعموم أمر النبي ﷺ «صلوا على صاحبكم» والمسلم صاحب لنا... فمن منع الصلاة على مسلم فقد قال قولا عظيما ا هـ.

و- حكم الصلاة على القبر:

عن ابن عباس قال: «انتهى رسولُ الله ﷺ إلى قَبْرٍ رَطْبٍ فصلى عَلَيْهِ، وصَلَّوْا خَلْفَه وكبَّرَ أربَعاً» البخاري ومسلم. وعن ابن عباس «أن النبي ﷺ صلى على قَبْرٍ بَعْدَ شَهْر» وعنه أن النبي ﷺ صلى على مَيِّتٍ بَعْدَ ثَلاَثٍ» رواهما الدَّارقُطْني. وعن سعيد بن المسيَّب أن أم سعد ماتت والنبي ﷺ غائب فلما قَدِمَ صلى عَلَيْهَا وقد مَضى لِذَلِكَ شَهْرٌ» رواه الترمذي. وثبت غير ذلك من الأدلة أن النبي ﷺ صلى على أموات بعد دفنهم وصلاة الصحابة عليهم.

أ- ومنَ ذلك يستدل على أن تكرار الصلاة على الميت جائز.

ب- وعلى أن الصلاة على القبر بعد الدفن وصلاة الآخرين على من قُبِر جائزة أما إن قبر ميت بغير الصلاة عليه فالصلاة عليه واجبة.

جـ- كما يستدل منها على أن المانعين من الصلاة على القبر لا حجة لهم تصلح دليلا ومستنداً. قال ابن المنذر: وقد قال بمشروعية الصلاة على القبر الجمهور. قال الشوكاني: وهذا باعتبار من كان قد صُلِّي عليه قبل الدفن، وأما من لم يصلَّ عليه ففرض الصلاة عليه الثابت بالأدلة وإجماع الأمة باق، وجعلُ الدفن مُسْقِطا لهذا الفرض محتاج إلى دليل.

والقائلون بجواز الصلاة على القبر بالنسبة لمن صُلِّي عليه اختلفوا في المدة التي تجوز الصلاة فيها على القبر فمنهم من حددها بثلاثة أيام، ومنهم من

حددها بشهر، ومنهم من قال ما لم يُتْرِب، ومنهم من قال: لا يجوز أبدا. ولا يوجد دليل للتحديد، والصلاة دعاء يجوز للميت بعد أي مدة كانت.

ز- حكم الصلاة على الغائب:

عن جابر أن النبي ﷺ صلى على أَصْحَمَةَ النجاشِيَّ فكبَّر أَرْبَعاً » وفي لفظ قال: «**تُوُفِّي اليومَ رَجُلٌ صالِحٌ من الحَبَشِ فهلُمُّوا فَصَلُّوا عَلَيْهِ فصَفَفْنَا خَلْفَه فصلى رسولُ اللهِ ﷺ ونحنُ صُفوف** » رواهما البخاري ومسلم.

أ- استدل بذلك القائلون بمشروعية الصلاة على الغائب عن البلد وبذلك قال الشافعي وأحمد وجمهور السلف حتى قال ابن حزم: لم يأت عن أحد من الصحابة منعه. والكل متفق على وجوب الصلاة على الميت الغائب الذي مات بأرض ليس فيها من يصلي عليه، إنما الخلاف فيمن صُلِّيَ عليه والراجح الجواز للأدلة الصحيحة السابقة، ولم يرد ما يردها عن ظاهرها، فتأويلات المانعين لا تصلح مستندا لهم.

ح- فضل الصلاة على الميت وكثرة المصلين:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « **مَنْ شَهِدَ الجَنَازَةَ حتى يصلَّى عَلَيْها فَلَه قِيراطٌ، ومن شَهِدَهَا حتى تُدْفن فله قيراطان، قيل: وما القيراطان؟ قال: « مِثْلُ الجَبَلَيْن العَظِيمَيْنِ** » البخاري ومسلم. وعن مالك بن هُبَيْرَة قال: قال رسول الله ﷺ: « **مَا مِنْ مؤمِنٍ يموتُ فيصَلي عليه أمةٌ مِنَ المُسْلمِينَ يَبْلُغون أن يكونوا ثلاثَةَ صُفُوفٍ إلا غُفِرَ لَهُ** » فكان مالك بنُ هُبيرةَ **يَتحَرَى إذا قل أهلُ الجَنَازَةِ أن يجمعهم ثلاثَةَ صفوف** » رواه الخمسة إلا النسائي. وعن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **مَا مِنْ رَجُلٍ مسلم يموتُ فيقُومُ على جنَازَتِه أَرْبَعُونَ رَجُلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شَفَّعَهُمُ اللهُ فيه** » أحمد ومسلم وأبو داود. وعن عائشة عن النبي ﷺ: « **ما من ميت**

يصلّي عليه أُمَّةٌ مِنَ المسْلِمِينَ يَبْلُغونَ مائةً كلهُّمُ يَشفَعُون لهُ إلا شُفِّعوا فِيهِ » أحمد ومسلم والترمذي وصححه. وعن عمر أن النبي ﷺ قال: « أيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أرْبَعَةٌ بِخَيْرٍ أَدْخَلَه اللهُ الجَنَّةَ فقُلْنَا وثلاثة؟ قال: وثلاثةٌ فقَلْنَا واثنانِ؟ قال: واثنانِ ثم لم نَسْأَلْهُ عنِ الوَاحِدِ » رواه البخاري. قال الداوودي: المعتبر في ذلك شهادة أهل الفضل والصدق لا الفسقة لأنهم قد يثنون على من يكون مثلهم، ولا من بينه وبين الميت عداوة لأن شهادة العدو لا تقبل.

ط - حكم الصلاة على الميت في المسجد:

عن عائشة أنها قَالَتْ لَما تُوُفِيَّ سَعدُ بنُ أبي وقَّاص: ادْخُلُوا بهِ المَسْجِدِ حتى أُصلِّيَّ عَلَيْهِ، فأنْكَرُوا ذَلكَ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: واللهِ لَقَدْ صَلَىَّ رسولُ اللهِ ﷺ على ابْنَيْ بَيْضَاءَ في المْسجِد سُهَيْلٍ وأَخِيه » رواه مسلم. وعن عروة قال: « صُلِّي على أبي بَكْرٍ في المسجد »

وعن ابن عمر قال: صُلِّي على عمر في المسجد » رواهما سعيد بن منصور. هذه الأحاديث تدل على جواز إدخال الميت المسجد والصلاة عليه فيه، وبذلك قال الشافعي وأحمد والجمهور، قال ابن عبد البر: ورواه المدنيون في رواية عن مالك وبه قال ابن حبيب المالكي، وكرهه آخرون ممن قالوا بنجاسة الميت ولكن ثبت في حديث صحيح أن المسلم لا ينجسُ حيّاً ولا مَيِّتاً، فالراجح ما قال الجمهور بجواز الصلاة في المسجد من غير كراهة، ولكن لا يكون عادة ثابتة لأنه لو كان عادة ما أنكر الصحابة على عائشة إدخال جنازة سعد إلى المسجد.

(٦) دفن الميت ومواراة جثته بطريقة تضمن صيانتها:

إن دفن الميت ومواراة جثته عن الانظار بطريقة تحفظ هذه الجثة من العبث بها ومن وصول السباع إليها فرض كفاية، ونفقة ذلك مثل ثمن الكفن

وأجرة الغاسل تكون من رأس المال، ولذلك تحرم المغالاة في النفقة الخاصة بالدفن إذا كان الميت قد ترك يتامى، أو من لم يوافق على هذه المغالاة،ومن هذه المغالاة نقل الميت بالطائرة، أو بغيرها من المواصلات ذات الأجور العالية عرفا، من أجل أن يدفن الميت في بلده ووطنه، والأصل في السنة أن يدفن الميت حيث مات، لا ينقل ولا يؤخر إلا لضرورة، أو سبب قوي والإسلام كشأنه في كل أمر لم يترك صغيرة ولا كبيرة من أمر الميت وما يطلب عمله معه إلا بينها، وقد سبق من ذلك الكثير وبقيت أمور تتصل بحمل الجنازة والسير بها والقيام لها وحفر قبرها ودفنها والدعاء لها وغير ذلك مما سنوضحه لك كما جاءت به السنة المطهرة وبينه الحبيب محمد ﷺ، وإليك تفصيل ذلك كله.

حكم حمل الجنازة والسير بها:

ما توقف عليه الواجب فهو واجب،وذلك معلوم لا يحتاج إلى نظر فإن كان الميت سيدفن في موضع موته فإن حمل جثته غير واجب لانها لا تحتاج إلى حمل تنقل به إلى مكان بعيد، وإن كان مكان الدفن بعيدا عن موضع جثة الميت فإن حمل الجثة حيئنذ واجب، لأن دفنها واجب ولا يوصل إليه إلا بنقلها إلى مكان دفنها، والأفضل نقل الجثة حملا على كواهل الرجال فإن شق ذلك، أو كان المكان بعيدا بحيث يصعب الوصول اليه سيرا على الأقدام، فإنه يجوز نقل الجثة في سيارة، أو قطار، أو نحوهما،وقد حدث في بعض البلاد الإسلامية وغيرها أنه لما كثر البنيان، واتسع الناس في بناء الدور والقصور والمصانع وغيرها اتخذ أهل البلد مكانا قصيا لدفن أمواتهم فيه بحيث قد يبعد عشرين كيلو مترا أو أكثر أو أقل، واعتمدوا السيارات وسائل لنقلهم ونقل ميتهم، وصار ذلك عادة وإلفا عندهم، وقد دعت إلى ذلك ضرورة إبعاد المقابر عن بنيان الأحياء أحيانا وأحيانا يدعو إلى ذلك زيادة الترف والغنى والأخذ بمدنية غير المسلمين، فإن بعد المقابر يجعل زيارتها المسنونة عسيرة إلا على

الأغنياء المترفين، وهؤلاء عادة لا يفكرون في زيارتها، لأن دنياهم تشغلهم عنها، ولو كان الأمر بيد العلماء العاملين لتغير ذلك كله ووضعت الأمور في مواضعها حسب الشرع والسنة ولكن أنى ذلك اليوم؟؟؟؟

أ- والسنة في حمل الجنازة الإسراع بها لكن بحيث لا تحدث مفسدة للميت يترتب عليها تأثر الجثة بتفككها أو خروج ما في بطنها بسبب الإضطراب، أو حدوث ما يعتبر إهانة لها، وبحيث لا تحدث مشقة على حاملي الميت أو المشيعين له.

ب- واتباع الجنازة حق للمسلم على أخيه المسلم كما جاء في الأحاديث الصحيحة، وجمهور الفقهاء على أن المشي أمامها أفضل من المشي خلفها، ومن كان راكبا فالأفضل له المشي خلفها، والمشي أفضل من الركوب، والركوب جائز بلا كراهة عند البعض ومع الكراهة عند الآخرين جمعا بين الأحاديث: وهذا ما لم يشق المشي فإن شق فلا كراهة في الركوب إجماعاً وإليك أدلة ما ذكر.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَسْرِعوا بِالجَنَازَة، فإن كانتْ صالحةً قَربْتُموها إلى الخَيْر، وإنْ كانَتْ غَيْرَ ذلك فَشَرٌّ تَضعُونَه عَنْ رِقَابِكم**» رواه الجماعة. وعن أبي بكرة قال: «**لقد رَأَيْتُنَا مع رَسول الله ﷺ وإنا لَنَكَادُ نَرْمُلُ بالجَنَازَةِ رَمَلاً**» رواه أحمد والنسائي. والرمَل: سرعة المشي بحيث يشبه الجري.

وعن ابن عمر «**أنه رأى النبي ﷺ وأبا بكر وعمر يَمْشُونَ أمامَ الجَنَازَةِ**» رواه الخمسة. وجاء في حديث المغيرة الذي أخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان أن النبي ﷺ قال: «**الراكِبُ خَلْفَ الجَنَازَةِ والماشِي أَمامَهَا قَرِيباً مِنْها عن يَمِينِها أَوْ عَنْ يَسَارِهَا**» **وهو دال على جواز الركوب لمتبع الجنازة. وعن جابر بن سمُرَة أن النبي ﷺ اتَّبعَ جَنَازَةَ ابنْ الدَّحْدَاحِ ماشِياً، وَرجَعَ على فَرَسٍ** » رواه الترمذي وروى مثله أحمد ومسلم والنسائي.

وعن ثوبانَ أن رسول الله ﷺ أُتِي بِدَابَّةٍ وهُوَ مَعَ جَنَازَةٍ فأبَى أن يَرْكَبَها، فلما أنْصَرَفَ أُتِي بدابَّةٍ فرَكِبَ فقِيلَ لَه، فقال: «إنَّ الملائكةَ كانَتْ تَمشي فَلَمْ أكُنْ لأرْكَبَ وَهُمْ يمشُونَ فلما ذَهَبُوا رَكِبْتُ» رواه أبو داود ورجال إسناده رجال الصحيح.

هذا ولا يجوز أن تتبع الجنازة بنار، أو بمجامر، أو بنائحة، أو بغير ذلك مما يعتبر من أمور الجاهلية، وعلى المسلمين أن يلزموا السنة واتباع شرع الله في كل شيء، ولا يجوز الذبح أمام النعش أو عند القبر.

حكم القيام للجنازة:

ثبت عن النبي ﷺ قوله: «إِذَا رَأَيْتُمْ الجَنَازَةَ فقوموا لَهَا حتى تُخَلِّفَكُم أو تُوضَعَ» رواه الجماعة. وعن جابر قال: «مُرَّ بنا جَنَازَةٌ، فقامَ لها النَّبِيُّ ﷺ وقُمنا مَعَهُ، فقُلْنا يا رسولَ الله؛ إنها جَنَازَةُ يهودي، فقال: «إذَا رَأَيْتُمُ الجَنَازَةَ فَقوموا لَهَا» رواه البخاري ومسلم.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أمَرَنَا بالقِيَامِ في الجنازَةِ، ثم جَلَسَ بَعْدَ ذلِكَ وَأَمَرَنَا بِالجلوسِ» أحمد وأبو داود.

يستدل من الحديثين الأولين أن القيام للجنازة إذا مرت مطلوب، ويستدل من حديث علي أن القيام منسوخ وبذلك قال مالك وأبو حنيفة والشافعي، وذهب أحمد وإسحاق وابن حبيب وابن الماجشون أن القيام للجنازة لم ينسخ، وأن قعوده ﷺ وأمره المسلمين به دليل على أن القيام مستحب وليس واجبا، فمن جلس فلا شيء عليه، ومن قام فله أجر، وبذلك قال ابن حزم، قال النووي: والمختار أن القيام مستحب وبذلك قال المتولي وصاحب المهذب من الشافعية، وممن ذهب إلى استحباب القيام ابن عمر وابن مسعود وقيس بن سعد وسهل بن حنيف والحسن بن علي، والقول بأن القيام مندوب هو الأقرب إلى الصواب.

عن رجل من الأنصار قال: خَرَجْنا في جنَازة فجلَس رسولُ اللهِ ﷺ على حَفِيرَةِ القَبْرِ فجعل يُوَصِّي الحافِرَ ويقولُ: « أَوْسِعْ مِنْ قِبَلِ الرأسِ، أوسِعْ مِن قِبَلِ الرِّجْلَيْنِ، رُبَّ عَذْقٍ (نَخْلَةٍ) لَهُ في الجنة » أحمد وأبو داود والبيهقي وقال الحافظ: إسناده صحيح. وعن هشام بن عامر قال: شَكَونا إلى رسول الله ﷺ يَوْمَ أحد، فقلنا يا رسول الله، الحَفْرُ عَلَينا لِكُلِّ إنسانٍ شديدٌ (لكثرة القتلى يومئذ) فقال: احفروا واعمقوا وأحسنوا وادفنوا الإثنين والثلاثة في قبر واحدٍ فقالوا: فَمَنْ نُقَدِّم يا رسول الله؟ قال: « قَدِّموا أكثَرَهُمْ قرآنا، وَكانَ أبي ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ في قَبْرٍ وَاحِدٍ » رواه النسائي والترمذي بنحوه وصححه.
وعن عامر بن سعد قال: قال سعد: « أَلْحِدُوا لي لَحْداً وانْصُبُوا عليَّ اللَّبنَ نَصْبا كما صُنِعَ برسولِ الله ﷺ » أحمد ومسلم والنسائي.

وعن أبي إسحاق قال: أوصى الحارث أن يُصَلِّيَ عليهِ عبدُ الله بنُ يَزِيدَ فصلى عليه، ثم أدخله القبر من قِبَلِ رِجْلَي القَبْرِ وقال: هذا من السنة » رواه أبو داود وسعيد في سننه وزاد « ثم قال: أَنْشِطو الثَّوبَ فإنما يصنع هذا بالنساء » رجال إسناده رجال الصحيح كما قال الشوكاني. وعن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: « كان إذا وُضِعَ الميتُ في القبر قال: « بسمِ اللهِ وعلى مِلَّةِ رسولِ اللهِ » رواه الخمسة إلا النسائي.

يستفاد من الأحاديث السابقة ما يأتي:

أ- يطلب تعميق القبر وتحسينه وذلك راجع إلى العرف

ب- يجوز دفن أكثر من واحد في قبر واحد إذا دعت إلى ذلك حاجة، والأصل في الشرع أن يدفن بيت واحد في القبر، والخروج على هذا الأصل مكروه فقط إذا كان لغير حاجة.

جـ- حكى الإمام النووي في شرح مسلم جواز اللحد والشق، غير أن اللحد أولى عند كثير من العلماء للحديث المذكور، ولأن النبي ﷺ لُحِدَ له، والفرق بين الشَّق واللَّحِدِ أن الشق هو حفر القبر حفرا رأسيا ثم وضع الميت في

أسفله بين صفين من اللَّبن في الجانبين لحماية الجثة من ضغط التراب عليها ثم فوق الصفين يوضع سقف من اللَّبِن لحماية الجثة من أعلاها كما حفظت من الجانبين، ثم يهال التراب بعد ذلك وأما اللحد فهو الحفر السابق، ويزاد عليه عمل حفرة في أحد الجانبين بحيث إذا وضع الميت على جانبه الأيمن كان وجهه إلى القبلة ثم يسد هذا الشق الجانبي باللبن، ثم يهال التراب عليه، وتوجد قبور على غير ذلك دعت إليها الضرورة.

د- إذا كان الميت امرأة يستحب ستر قبرها عند دفنها بثوب، وأما الرجل فلا يفعل ذلك معه وهذا الاستحباب عند البعض فقط

هـ- يستحب إدخال الميت مِن الجهة التي يكون فيها رجلاه بعد وضعه

و- يستحب أن يقول واضعو الميت عِند وضعه في قبره: بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ.

ز- ويستحب أن يَحْثِيَ الموجودون أو بعضهم على قبر الميت من جهة رأسه ثلاث حَثَيَات من تراب ويقول: مِنهَا خَلَقْناكم وفيها نُعِيدُكُمْ ومنها نُخْرِجُكُمْ تارةً أُخْرى.

حكم تسنيم القبر ورشه بالماء وتعليمه ليعرف:

عن سفيان التّمار أنه رأى قبرَ النبي ﷺ مُسَنَّماً »البخاري .وعن القاسم قال: «دخلت على عائشة فقلت: يا أُمَّهُ باللهِ اكشِفي لي عن قبرِ النبي ﷺ وصاحبيه، فَكَشَفَتْ له عن ثلاثَةِ قُبُورٍ لا مشرفةٍ ولا لاَطِئَةٍ مبطوحة بِبَطْحاءِ العَرْصَةِ الحمراءِ » رواه أبو داود- هي قبر النبي وأبي بكر وعمر-.

وعن أبي الهياج الأسدي عن علي قال: «أَبْعَثُكَ على ما بعثني عليه رسولُ الله ﷺ: «لاَ تَدَعْ تِمْثَالاً إلا طَمَسْتَه ولا قَبْراً مُشْرِفاً إلا سَوَّيْتَه» الجماعة إلا البخاري. وعن المُطَّلب بن عبد الله بن حَنْطَبٍ قال: «لما مات عثمان بنُ مظعون خَرَجَ بجنازته فدُفِنَ، فأمر النبي ﷺ رَجُلاً أن يَأْتِيَ بِحجَرٍ، فلم يَسْتَطِعْ حمْلَهُ،

فَقَامَ إليه رسولُ الله ﷺ وحَسَرَ عن ذِراعيْه، قال المطلب: قال الذي أخبرني: كأني أنظر إلي بياض ذِرَاعَيْ رسول الله ﷺ حين حَسَر عنهما، ثم حَمَلَها فوضعها عِنْدَ راسِهِ وقال: أعْلَم بها قَبْرَ أخي وأدْفِنُ إلَيْهَا مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِي » رواه أبو داود، وقال الحافظ: إسناده حسن. وعن جابر قال: «نهى النبيُّ ﷺ أن يُجَصَّصَ القَبْرُ وأن يُقْعَدَ عَلَيْه، وأن يُبنَى عَلَيْهِ » رواه أحمد ومسلم وغيرهما، وجاء رش القبر بالماء في أحاديث ضعيفة.

يؤخذ من الأحاديث السابقة ما يأتي:

أ- تسنيم القبر جائز (وهو جعل أعلاه على شكل سنام البعير) وتسطيحه جائز، وهو جعل أعلاه مسطحا منبسطا » والكل قد وردت به أحاديث صحيحة، والعلماء بعضهم فضل التسنيم، وبعضهم فضل التسطيح، ولكل أدلته، والأمر في ذلك متسع.

ب- يستحب أن يكون القبر غير لاطيء (أي غير لاصق بالأرض ومستو معها) بل يكون مرتفعا قدر شبر بحيث يعرف أنه قبر،

جـ- يستحب أن يجعل عند رأسه علامة واضحة من حجر أو خشبة أو غيرهما ليعرف القبر بها، وتكره الكتابة على القبر لنهي النبي ﷺ عن ذلك في حديث رواه الترمذي وصححه، إلا إذا خيف عدم معرفة القبر وذهاب أثره فتجوز بغير القرآن

د- لا يرفع القبر أكثر من شبر عن ظهر الأرض، فإن رفع أكثر من ذلك فالرفع مكروه عند قوم وحرام عند آخرين سواء كان قبر فاضل أو غير فاضل، وللمسلمين في رسول الله ﷺ وصحابته الكرام أسوة حسنة، قال الشوكاني: والظاهر أن رفع القبور زيادة على القدر المأذون فيه محرم، وقد صرح بذلك أصحاب أحمد وجماعة من أصحاب الشافعي ومالك، ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولا أوليا القباب والمشاهد المعمورة على القبور التي يزعم الناس أنها قبور أولياء، وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد

لعن رسول الله ﷺ فاعل ذلك، وكم قد نشأ عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام، منها اعتقاد الجهلة فيها كاعتقاد الكفار في الأصنام، وعَظُم ذلك جدا حتى ظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحاجات وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم وشدوا إليها الرحال، وتمسحوا بها، واستغاثوا، وبالجملة لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وقد وصل الأمر إلى أن هؤلاء القبوريين إذا قلت لواحد منهم في خصومة أحلف بالله، حلف كاذباً ولا يبالي، فإن قلت له احلف بصاحب القبر الفلاني تلعثم واعترف بالحق، وهذا من أبين الأدلة على أن شركه فاق شرك من قالوا: إن الله ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة فيا علماء المسلمين: أي رزء في الإسلام أشد من الكفر، وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله؟؟؟ لذا يجب هدم كل ذلك ليكون الدين لله وحده.

أقول: إذا وجب علينا كسر التماثيل التي هي على صور ذوات الأرواح فمن باب أولى يجب هدم القباب والاضرحة التي اتخذها الناس آلهة من دون الله، فإن الناس في عصرنا هذا لا يعبدون التماثيل ولكن في الغالب يتخذونها للزينة والترف، أما الأضرحة فإنها اتخذت آلهة وعبد المقبورون تحتها بالاستغاثة بهم والنذر لهم، ودعائهم من دون الله، وسؤالهم أشياء لا يقدر عليها إلا الله.

هـ - إذا دعت ضرورة لرفع القبر أكثر من شبر جاز ذلك بقدر الضرورة، كأن يكون سطح أرض المقبرة إذا حفر فيه ظهرت الرطوبة، أو الماء، فيضطر الناس أن يدفنوا أمواتهم قرب السطح ويرفعوا البناء عليهم ومن الضرورة أن يضطروا إلى دفن أكثر من ميت في قبر واحد فيبنوا القبر ذا جدران وسقف من أجل ذلك، فلا شيء عليهم في هذا أما البناء لغير ضرورة فإنه مكروه أو حرام، وتشتد الحرمة إذا كان مفاخرة.

و- لا يجوز تجصيص القبر وهو طلاؤه بالجير أو الأسمنت الأبيض أو غيرهما ،لأن ذلك من الزينة التي لا تليق بالقبور، إذ هي للبلى وللموعظة والتذكرة وهذا التجصيص حرام عند البعض ومكروه عند الأكثر، ويجوز استعمال الطين للقبر، وقد يكون مستحباً إذا كان لزيادة حفظه، ومثله رش الماء على القبر، إذ هو يثبت التراب ويجعله طيناً متماسكاً.

ز- والدفن في التابوت مكروه إلا لضرورة، لأنه على خلاف السنة.

ح- وبناء القبر بالآجر ونحوه مكروه إلا لضرورة كحفظ المقبور من الماء أو السباع وغيرها.

ط- ويحرم عند الجمهور القعود على القبر والمشي عليه للحديث المذكور

الدعاء للميت بعد دفنه

عن عثمان قال: **كان النبي ﷺ إذَا فَرَغَ مِنْ دَفْنِ المَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْه فقال: «اسْتَغْفِرُوا لِأَخِيكُمْ وسَلُوا لهُ التَّثْبِيتَ فَإِنَّهُ الآنَ يُسْأَلُ»** رواه أبو داود والحاكم وصححه والبزار.

وهذا الدعاء للميت في هذه الحالة مستحب، يقوم به كل حاضر دفن الميت سراً في نفسه لأنه لم يرد في جماعة، ولم يثبت أن النبي ﷺ دعا والناس يؤمنون على دعائه، أما تلقين الميت في قبره بالدعاء الخاص بذلك والذي أخذ به الشافعية وحدهم فإنه لم يرد في حديث صحيح ولا حسن، بل حديثه ضعيف، ولكن لا يجب الإنكار على من يفعله لأن كثيراً من السلف قد فعله والدعاء هو أن يقول واحد إذا سُوِّي على الميت قبرُه وانصرف الناس: يا فلان قل لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله، ثلاث مرات، يا فلان قل ربي الله وديني الإسلام ونبيي محمد ﷺ» وهناك أحاديث فيها زيادات، والكل ضعيف كما عرفت، وبعضهم قوَّى بعضها وقال: إسناده صالح

حكم التعزية ووقتها

عن عبدالله بن محمد بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: « مَا مِنْ مؤمنٍ يُعَزِّي أَخَاه بِمُصِيبَةٍ إلا كَسَاه اللهُ عز وجل مِنْ حُلَلِ الكرامَةِ يومَ القيامَة » رواه ابن ماجة، ورواته كلهم ثقات إلا قَيْساً أبا عمارة ففيه لين، وقد ذكره الحافظ في التلخيص وسكت عنه. وعن أنس أن النبي ﷺ مَرَّ بامْرأَةٍ تبْكي عِندَ قبْرٍ فقال: اتَّقِي اللهَ واصْبِري، فقالت: إِلَيْكَ عَنِّي فإنكَ لم تُصَبْ بمُصيبَتِي، ولم تَعْرِفْهُ فقيل لها: إنه النبيُّ ﷺ، فأتَتْ بابَ النبي ﷺ فلم تَجِدْ عندَه بَوَّابِينَ، فقالت: لَمْ أعْرِفْكَ يا رَسُولَ الله، فقال: « إنما الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأولَى » رواه الجماعة. وعن أسامة بن زيد قال: « كنا عندَ النبي ﷺ، فأرْسَلَتْ إليْهِ إحدى بنَاتِه (هي زينب) أن صَبِيًّا لَهَا في المَوْتِ، فقال رسول الله ﷺ: « إرْجِعْ إلَيْها فأخْبِرْها أن للهِ ما أَخَذَ، ولَهُ ما أَعْطى، وكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بأَجَلٍ مُسَمَّى، فمُرْهَا فَلْتَصْبِرْ ولتحتسب الخ » البخاري ومسلم.

(أ) يستفاد من الأحاديث السابقة استحباب التعزية لما فيها من الأجر العظيم، والنفع للأخ المسلم حيث إن معنى التعزية التصبير وحث المصاب على الرضى بالقضاء، وتذكيره بفضل الصابرين، وذكر الأمثلة والقصص في ذلك ليسلو مصيبته، ويلزم سبيل المؤمنين المتقين في المواقف الصعبة، والمحن الشديدة

(ب) الصبر الذي يثاب عليه المصاب هو الصبر عند العلم بالمصيبة، وعند

الصدمة الأولى أما بعد ذلك فقد فات الأوان وضاع الثواب، ووقع المصاب في إثم ما فعل

(حـ) خير ما يقال للمصاب هو ما قاله الرسول الله ﷺ لابنته (لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بأجل مسمى). وتجوز التعزية بكل كلام يؤدي الغرض

(د) التعزية مشروعة مرة واحدة لحديث «التَّعْزِيَةُ مَرَّةً» وتكون قبل الدفن عند بعض وبعده عند آخرين، والأمر في ذلك موسع، ولم يرد تعيين وقت لها، وتكون التعزية لأهل الميت وأقاربه الكبار والصغار، من رجال ونساء

(هـ) اجتماع أهل الميت في مكان ليقصدهم المعزون خلاف السنة، وهو مكروه عند الشافعي وأحمد وكثير من علماء الأحناف، وذهب المتقدمون من علماء الأحناف إلى أنه لا بأس بالجلوس للتعزية ثلاثة أيام في غير المسجد، وذلك مشروط بِعَدَمِ الوقوع في أمر مخالف للشرع، فإن أدى الجلوس إلى ارتكاب محرم حرم. وإن كان سبباً في الوقوع في مكروه كره، ومن المحرم التفاخر والتباهي بعمل السرادقات الفخمة، وإنفاق النفقات الباهظة، وجلب المقرئين بالأجور الفاحشة، وعمل الولائم والأطعمة مدة ثلاثة أيام أو أكثر للمعزين الغرباء الذين اضطروا للبقاء بسبب جلوس أهل الميت لهم وافتخارهم بما أعدوا لهم من أنواع الحفاوة والتكريم، وقد تكون هذه النفقات من تركة الميت الذي له ورثة أيتام أو ضعفاء مثل البنات، والأب والأم الكبيرين العاجزين، فيكون افتخار الكبار من الرجال على حساب هؤلاء الورثة الذين نكبوا مرتين. مرة بموت عائلهم، ومرة بإسراف المتفاخرين بغير أموالهم المتباهين على حساب غيرهم في غير خجل أو مروءة أو رحمة، إن ذلك من أعمال الجاهلية التي يجب إبطالها ومنعها، ومثلها عمل الأخمسة، والأربعين والسنوية وغير ذلك مما يتنافى مع الشرع الشريف. وإذا كان ذلك حراماً

بالنسبة للرجال كان ما يفعله النساء من ذلك أشد حرفة فانهن يضفن إلى ما مر الصخب والصراخ وحلق الشعر والندب والنياحة وغير ذلك. وإذا كان المعزي غائباً عن المصاب فلا مانع من تعزيته بعد ثلاثة أيام إذ التحديد بالثلاثة حتى بالنسبة لغير الغائب لا دليل عليه

آداب من تبع الجنازة

عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: « **إِذَا رَأَيْتُمْ الْجَنَازَةَ فَقُومُوا لَهَا، فمن اتَّبَعَهَا فلا يَجْلِسْ حَتَّى تُوضَعَ** » رواه الجماعة إلا ابن ماجة، وجاء في رواية غير هذه: **حتَّى تُوضَعَ في الْأَرْضِ**، وجاء في رواية ثالثة: **حتى تُوضَعَ في اللَّحْدِ**. وهذه الأخيرة أقوى.

وعن البراء بن عازب قال: **خرجنا مع رسول الله ﷺ في جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأنصار، فانْتَهَيْنَا إلى الْقَبْرِ وَلَمْ يُلْحَدْ بَعْدُ، فجلس رسولُ اللهِ صلى اللهُ عَلَيْهِ وسلم مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ وَجَلَسْنَا مَعَهُ** » رواه أبو داود وسكت عنه ورجال إسناده رجال الصحيح كما قال الشوكاني. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **لأنْ يَجلِسَ أحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ فَتَحْرِقَ ثِيَابَهُ فَتَخلُصَ إلى جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ** » رواه الجماعة إلا البخاري والترمذي. وعن عمرو بن حزم قال: رآني رسولُ الله ﷺ **مُتَّكِئًا على قَبْرٍ** فقال: « **لاَ تُؤذِ صَاحِبَ الْقَبْرِ، أو لاَ تُؤْذِهِ** » رواه أحمد، وقال الحافظ في الفتح: إسناده صحيح. يستفاد من الأحاديث السابقة ما يأتي:

(أ) القيام للجنازة إذا مرت، وقد سبق الكلام عليه.

(ب) من تبع الجنازة ومشى معها يستحب ألا يجلس إذا وصل إلى القبر حتى

توضع على الأرض، روي ذلك عن أكثر الصحابة والتابعين كما ذكر ابن المنذر، وقال بعض السلف: يجب القيام، واحتج برواية النسائي عن أبي هريرة وأبي سعيد أنهما قالا: « مَا رَأَيْنَا رسولَ الله ﷺ شهِدَ جَنَازَةً قَطُّ فجلَسَ حتى تُوضَعَ » ومما يدل على ترجيح الاستحباب ما رواه البخاري في صحيحه أن أبَا هريرة ومروان كانا مع جنازة فقعدا قبل أن توضع، فجاء أبو سعيد فأخذ بيد مروان فأقامه، وذكر أن النبي ﷺ نهى عن ذلك، فقال أبو هريرة: صدق. ورواه الحاكم بنحو ذلك، وزاد أن مروان لما قال له أبو سعيد قم قام ثم قال له: لم أقمتني؟ فذكر له الحديث، فقال لأبي هريرة: فما منعك أن تخبرني؟ فقال: كنتَ إماما فجلستَ فجلستُ. اهـ ولو كان القعود واجباً ما جلس أبو هريرة وهو يعلم الحكم.

(جـ) ذهب الجمهور من العلماء إلى أن الجلوس على القبر حرام وقد سبق ذكره، والمراد بالاتكاء على القبر في الحديث الجلوس عليه، وأما المشي في المقابر بالنعال والأحذية ففيه خلاف فمن قائل بالإباحة ومن قائل بالكراهة، والأمر محتمل، ودليل الكراهة لم يسلم من القدح فيه، والله أعلم.

الإسراع في سداد دين الميت

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: نَفْسُ الْمُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِه حَتَّى يُقْضَى عَنْهُ » رواه أحمد وابن ماجة والترمذي وحسنه.

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: « مَا مِنْ مُؤْمِنٍ إلا وَأَنَا أَوْلَى بِهِ في الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ اقرَؤُوا إنْ شِئْتُم « النَّبِيُّ أوْلى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ». فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ مَاتَ وَتَرَكَ مَالاً فَلْيَرِثْهُ عَصَبَتُهُ مَنْ كانوا، وَمَنْ تَرَكَ دَيْناً أو ضياعاً

فَلْيَأْتِنِي فَأَنَا مَوْلاَهُ » رواه البخاري .وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللهُ عَنْهُ وَمَنْ أَخَذَهَا يُرِيدُ إِتْلاَفَهَا أَتْلَفَهُ اللهُ » رواه البخاري يستفاد من الأحاديث السابقة ما يأتي:

(أ) حث الورثة على قضاء دين الميت والإخبار بأن نفسه معلقة بدينه ومحرومة من دخول الجنة حتى يقضى دينه إن مات وله مال يقضى منه ، وقد استدان بنية عدم السداد ، أو بنية المماطلة.

(ب) من مات وعليه دين وليس له مال يسدد منه فإن بيت مال المسلمين يقوم مقام الولي بمعنى أن سداده من بيت المال واجب.

(جـ) كان الرسول ﷺ في بادىء الأمر لا يصلي على مديون لم يترك سداداً ولم يتحمل دينه أحد ، فلما فتح الله عليه البلاد وكثرت الأموال صلى على من مات مديوناً وقضى عنه

(ء) من مات مديوناً ولم يسدد عنه أحد دينه فإن الله يقضي عنه دينه ، إن كان استدان بنية السداد سواء كان عنده مال ولكن الورثة لم يسددوا منه للدائنين ، أو مات ولا مال له يسد دينه.

صنع الطعام لأهل الميت رحمة بهم

عن عبدالله بن جعفر قال: «لما جاء نعي جعفر حين قتل قال النبي ﷺ: « اصْنَعُوا لِآلِ جَعْفَرَ طَعَاماً فَقَدْ أَتَاهُمْ مَا يَشْغَلُهُم » رواه الخمسة إلا النسائي.

وعن جرير بن عبدالله البَجَليِّ قال: « كُنَّا نَعُدُّ الإجْتِمَاعَ إلَى أَهْلِ الْمَيِّتِ وَصَنْعَةَ الطَّعَّامِ بَعْدَ دَفْنِهِ مِنَ النِّيَاحَةِ » رواه أحمد والشافعي ، وصححه ابن السكن وحسنه الترمذي.

وعن أنس أن النبي ﷺ قال: «لاَ عَقْرَ فِي الإِسْلاَمِ» رواه أحمد وأبو داود قال: قال عبد الرزاق: كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة في الجاهلية قال الشوكاني: حديث أنس سكت عنه أبو داود والمنذري ورجال إسناده رجال الصحيح يستفاد من الأحاديث الأحكام الآتية:

(أ) يستحب مواساة أهل الميت بصنع طعام لهم حيث قد شغلتهم المصيبة عن أنفسهم، قال الترمذي: وقد كان بعض أهل العلم يستحبُ أن يوجه إلى أهل الميت بشيء لشغلهم بالمصيبة وهو قول الشافعي.

(ب) يكره الأكل عند أهل الميت والاجتماع عندهم بعد دفن الميت، فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يعدون هذين الأمرين من النياحة لما في ذلك من التثقيل عليهم وشغلهم مع ما هم فيه من شغلة الخاطر بموت الميت ومع ما فيه من مخالفة السنة لأنهم مأمورون بأن يصنعوا لأهل الميت طعاماً فخالفوا ذلك وكلفوهم صنعة الطعام لغيرهم، وهكذا يكون العنت والمشقة والعذاب والتعب كلما بعدنا عن السنة، وتكون الراحة والرحمة كلما عملنا بها. فليتنا ندرك ذلك. فإن أهل البدع يخرجون من مصيبتهم بميتهم بمصائب عديدة أخرى، مثل التعب الشديد، والمرض، والديون، والشعور بالضيق الشديد بسبب عادات الجاهلية والبعد عن السنة.

(جـ) يحرم ذبح الإبل وغيرها على القبر أو أمام النعش أو تحته كما كانوا يفعلون في الجاهلية.

حكم نعي الميت

عن حذيفة أنه قال: «إني سمعت رسول الله ﷺ يَنْهىٰ عَنِ النَّعْيِ» رواه أحمد وابن ماجة والترمذي، وصححه

النعي معناه: الإخبار بموت الميت

والنعي بهذا المعنى فيه كلام كثير، فقد ثبت أن النبي ﷺ أخبر بموت زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبدالله بن رواحة في غزوة مؤته، كما أخبر بموت النجاشي، فليس المراد إذا مطلق الإخبار فقد حدث ذلك، إنما المنهى عنه إخبار بطريقة من طرق الجاهلية الممنوعة شرعاً ولذلك قال ابن العربي في خلاصة ذلك كلاماً يوفق بين الأحاديث المختلفة في هذا الموضوع حيث قال: يؤخذ من مجموع الأحاديث ثلاث حالات.

الأولى: إعلام الأهل والأصحاب وأهل الصلاح، فهذا سنة.

الثانية: الدعوة للمفاخرة بالكثرة، فهذا مكروه.

الثالثة: الإعلام بنوع آخر كالنياحة فهذا حرام

وقال ابن المرابط: إن النعي الذي هو إعلام الناس بموت قريبهم مباح وإن كان فيه إدخال الكرب على أهله، لكن في تلك المفسدة مصالح جمة لما يترتب على معرفة ذلك من المبادرة لشهود الجنازة وتهيئة أمره والصلاة عليه والدعاء له وتنفيذ وصاياه الخ اهـ من نيل الأوطار جـ ٤ ص ٦٤، ٦٥

حكم نقل الميت ونبش القبر

عن جابر رضي الله عنه قال: أَمَرَ رسولُ الله ﷺ بقَتْلى أُحُدٍ أنْ يُرَدُّوا إلى مَصَارِعِهِمْ، وكانوا نُقلوا إلى المدينةِ» رواه الخمسة وصححه الترمذي وعن جابر قال: «دُفِنَ مَعَ أَبِي رَجُلٌ فَلَمْ تَطِبْ نَفْسِي حَتَّى أَخْرَجْتُهُ فَجَعَلْتُه في قبرٍ على حِدَةٍ» رواه البخاري والنسائي. ولمالك في الموطأ أنه سمع غيرَ واحد يقول: «إن سعدَ بنَ أبي وقاص وسعيدَ بنَ زيد ماتا بالعقيق فحُمِلا إلى المدينة ودُفِنَا بِهَا»

أ- في الأحاديث السابقة دليل على جواز إخراج الميت من قبره إذا كان في ذلك مصلحة له مثل إبعاد قبره عن ميل ماء، أو وضعه في مكان أحسن وأنسب له، ونحو ذلك.

ب- كما يجوز نبش الميت لأمر يتعلق بالحي كما فعل جابر رضي الله عنه بنقل والده لأن نفسه لم تطب بدفنه حيث كان أولا، وقد ثبت عند البخاري أن نقل جابر لوالده كان بعد دفنه بستة أشهر.

جـ- ويجوز نقل الميت من الموطن الذي مات فيه إلى موطن آخر يدفن فيه. قال الشوكاني: والأصل الجواز فلا يمنع من ذلك إلا الدليل

ء- ويجوز نبش قبر الميت لغلسله وتكفينه والصلاة عليه، ومن قال إن دفن الميت مسقط لوجوب غسله أو تكفينه أو الصلاة عليه فإن قوله محتاج إلى دليل، ولا دليل.

وصول ثواب القرب المهداة إلى الموتى

عن عبدالله بن عمرو «أن العاصَ بنَ وائلٍ نَذَرَ في الجاهِلِيَّةِ أَنْ يَنْحَر مائَةَ بَدَنَةٍ، وأن هشامَ بنَ العاص نحر حِصَّتِه خمسين، وأن عَمْراً سأل النبي ﷺ عن ذلك فقال: «أَمَّا أَبُوكَ فلو أقَرَّ بِالتَّوْحِيدِ فَصُمْتَ وتَصَدَّقْتَ عَنْهُ نفعَهُ ذَلِكَ» رواه أحمد. وعن أبي هريرة أُنَّ رَجُلاً قال للنبي ﷺ: «إنَّ أبِي ماتَ وَلَمْ يُوَصِّ، أَفَيَنْفَعُهُ أَنْ أتصدَّقَ عنه»؟ قال: «نَعَمْ» رواه احمد ومسلم والنسائي وابن ماجة.

وعن عائشة أن رجلا قال للنبي ﷺ: إن أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا وأراهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إن تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قال: «نعَمْ» متفق عليه.

يؤخذ من هذه الأحاديث ما يأتي

أ- أن نذر الكافر إذا أسلم يلزمه الوفاء به، ويدل على ذلك أيضاً أن عمر بن الخطاب قال يا رسول الله إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام، فقال له ﷺ: «أَوْفِي بِنَذْرِكَ»

ب- تدل أحاديث الباب على أن الصدقة من الولد تلحق الوالدين بعد موتها بدون وصية منها، ويصل إليهما ثوابها، وقد حكى النووي في شرح مسلم الإجماع على أن الصدقة تقع عن الميت ويصله ثوابها، ولم يقيد ذلك بكون الصدقة من الولد.

جـ- حكى النووي الإجماع على وصول الدعاء إلى الميت سواء كان من ولده أم من غيره، ويشهد لذلك ترغيبه ﷺ للمسلم أن يدعو لأخيه بظهر الغيب وأن يدعو لأهل المقابر، وأن يدعو له في الصلاة على الجنازة وغيرها.

د- إذا مات الميت وكان عليه دين فقضاه ولده أو أي إنسان آخر فإن ذلك ينفع الميت بالإجماع، والأدلة عليه متوافرة.

هـ- ثبت أن الحج يصل إلى الميت سواء كان من الولد أو من غيره، وكذلك الصوم وكذلك الزكاة إن أخرجها الورثة.

و- قال في شرح الكنز: إن للإنسان أن يجعل ثواب عمله لغيره صلاة كان، أو صوماً، أو حجا، أو صدقة، أو قراءة قرآن، أو غير ذلك من أعمال البر، ويصل ذلك وينفعه عند أهل السنة، والمشهور من مذهب الشافعي وجماعة من أصحابه أنه لا يصل إلى الميت ثواب قراءة القرآن، وذهب أحمد بن حنبل وجماعة من العلماء وجماعة من أصحاب الشافعي إلى أنه يصل اهـ من الشوكاني جـ ٤ ص ١٠٥ بتصرف.

وقال ابن القيم في كتابه «الروح ص ١٧٤: هل تنتفع أرواح الموتى بشيء من سعي الأحياء؟ (الجواب) إنها تنتفع من سعي الأحياء بأمرين مجمع عليهما

بين أهل السنة من الفقهاء وأهل الحديث والتفسير.

(أحدهما) ما تسبب إليه الميت في حياته (الثاني) دعاء المسلمين له، واستغفارهم له، والصدقة والحج على نزاع في الذي يصل من ثواب الحج. هل ثواب الإنفاق أو ثواب العمل؟ فعند الجمهور يصل ثواب العمل نفسه، وعند بعض الحنفية إنما يصل ثواب الإنفاق. واختلفوا في العبادة البدنية كالصوم والصلاة وقراءة القرآن والذكر. فمذهب الإمام أحمد وجمهور السلف وصولها وهو قول بعض أصحاب أبي حنيفة والمشهور من مذهب الشافعي ومالك أن ذلك لا يصل.

وذهب بعض أهل البدع من علماء الكلام أنه لا يصل إلى الميت شيء البتة، لا دعاء ولا غيره.

فالدليل على انتفاع الميت بما تسبب فيه في حياته ما رواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا مَاتَ المَيِّتُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاَثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَة، أو علمٌ يُنْتَفَعُ به، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ**» فاستثناء هذه الثلاث من عمله يدل على أنها منه فإنه هو الذي تسبب فيها. وفي صحيح مسلم أيضاً من حديث جرير بن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ في الإِسْلاَمِ سَنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ من أُجُورِهِم شَيْءٌ الخ**»

والدليل على انتفاعه بغير ما تسبب فيه القرآن والسنة والإجماع وقواعد الشرع.

أما القرآن فقوله تعالى: «**والَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بالإِيمَانِ**» فأثنى الله عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم، فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء. وقد دل على انتفاع الميت بالدعاء إجماع الأمة على الدعاء له في صلاة الجنازة، وكذلك الدعاء له عند زيارة القبر، والدعاء للميت بعد دفنه الخ.

وأما وصول ثواب الصدقة ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رجلا أَتَى النبيَّ ﷺ فقال يا رسول الله إنَّ أمي افْتُلتَتْ نَفْسُهَا ولَمْ تُوصِ ، وأَظُنُّهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصدَّقَتْ أَفَلَهَا أَجرٌ إنْ تَصدَّقْتُ عَنْها ؟ قال: « نَعَمْ » وفي ذلك احاديث كثيرة.

وأما وصول ثواب الصوم. ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: « مَنْ ماتَ وعَلْيه صِيَامٌ صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ ».

وفي الصحيحين أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أمي ماتَتْ وعليها صَوْم شَهْرٍ أَفَأَقْضِيهِ عَنْها ؟ قال: « نعم فَدَيْنُ اللهِ أحَقُّ أن يُقْضَى »

وأما وصول ثواب الحج. ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امْرأَةً من جُهَيْنَةَ جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن أمي نَذَرَتْ أن تَحُجَّ فَلَمْ تحج حتى ماتَتْ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا ؟ قال: « حُجِّي عنها أَرَأَيْتِ لو كان على أُمِّكِ دَيْن أَكُنْتِ قَاضِيَتَه؟ اقْضُوا اللهَ فاللهُ أَحَقُّ بالقَضَاءِ »

وأجمعوا على أن الحي إذا كان له في ذمة الميت حق من الحقوق فأحله منه أنه ينفعه ويبرأ منه كما يسقط من ذمة الحي ، فإذا سقط من ذمة الحي بالنص والإجماع مع إمكان أدائه له بنفسه ولو لم يرض به بل رده فسقوطه من ذمة الميت بالإبراء حيث لا يتمكن من أدائه أولى وأحرى ، وإذ انتفع بالإبراء والإسقاط فكذلك ينتفع بالهبة والإهداء ، ولا فرق بينهما ، فإن ثواب العمل حق المهدي الواهب ، فإذا جعله للميت انتقل إليه ، كما أن ما على الميت من الحقوق من الدين وغيره هو محض حق الحي ، فإذا أبرأه وصل الإبراء إليه وسقط من ذمته فكلاهما حق للحي ، فأي نص أو قياس أو قاعدة من قواعد الشرع يوجب وصول أحدهما ويمنع وصول الآخر ؟.

وقد نبه النبي ﷺ بوصول ثواب الصوم الذي هو مجرد تركٍ ونية تقوم بالقلب لا يطلع عليه إلا الله وليس بعمل الجوارح على وصول ثواب القراءة

التي هي عمل اللسان بطريق الأولى.

ويوضحه أن الصوم نية محض وكف عن المفطرات وقد أوصل الله ثوابه إلى الميت فكيف بالقراءة التي هي عمل ونية بل لا تفتقر إلى النية، فوصول ثواب الصوم إلى الميت فيه تنبيه إلى وصول سائر الأعمال.

والعبادات قسمان: مالية وبدنية. وقد نبه الشارع بوصول ثواب الصدقة على وصول ثواب سائر العبادات المالية، ونبه بوصول ثواب الصوم على وصول ثواب سائر العبادات البدنية، وأخبر بوصول ثواب الحج المركب من المالية والبدنية على وصول ثواب العبادات من هذا النوع، فالأنواع الثلاثة ثابتة بالنص والاعتبار، وبالله التوفيق.

وقال شارح الطحاوية: فإن قيل فرسول الله ﷺ أرشدهم إلى الصوم والحج والصدقة دون القراءة؟ قيل هو ﷺ لم يبتدئهم بذلك، بل خرج ذلك منه فخرج الجواب لهم فهذا سأله عن الحج وهذا سأله عن الصوم ولم يمنعهم مما سوى ذلك، وأي فرق بين وصول ثواب الصوم الذي هو الإمساك ووصول ثواب القراءة والذكر؟ اهـ ص ٣٤٨

وقال في إهداء العبادات إلى الرسول «ﷺ» قيل من المتأخرين من استحبه ومنهم من رآه بدعة لأن الصحابة لم يفعلوه. أهـ.

حكم زيارة القبور للرجال والنساء

عن بريدة قال: قال رسول الله ﷺ:

«قَدْ كنتُ نَهَيْتُكُمْ عن زِيَارَةِ القُبورِ فَقَدْ أُذِنَ لمحمد في زيارة قبر أمِّهِ فزوروها فإنها تذكِّرُ الآخِرَةَ» رواه الترمذي وصححه

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ: «لَعَنَ زَوَّارَاتِ القُبُورِ» رواه أحمد

والترمذي وصححه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ أتى المَقْبَرَةَ فقال:

« السلام عليكم دَارَ قَوْمٍ مُؤْمنينَ وإنا إنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقُون » رواه أحمد ومسلم والنسائي، ولأحمد من حديث عائشة مثله وزاد **« اللهمَّ لا تحْرِمْنَا أجْرَهُمْ ولا تفْتِنا بَعْدَهُمْ »**

وعن بريدة قال: « كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولوا: **السلام عليكم أهلَ الدِّيارِ مِنَ المؤمِنِينَ والمسْلمينَ وإنا إنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاَحِقُونَ، نسأل اللهَ لنا ولكُمُ العَافِيَةَ** » أحمد ومسلم وابن ماجة. وجاء في مسلم عن عائشة بلفظ: **« قولي السلامُ على أهْلِ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَيَرْحَمُ اللهُ المُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وإنَّا إنْ شَاءَ اللهُ بكُمْ لاَحِقُونَ »**.

هذه الأحاديث يؤخذ منها ما يأتي:

أ- كانت زيارة القبور ممنوعة في بداية الإسلام ثم أبيحت بعد ذلك، وحبب النبي ﷺ أمته في زيارتها لأنها تذكر الآخرة وتزهد في الدنيا، ويقف الزائر مستدبر القبلة مستقبلاً الميت.

ب- اتفق العلماء على جواز زيارة القبور للرجال، واختلفوا في حكم زيارة النساء للقبور، فذهب الأكثر إلى جواز الزيارة إذا أمنت الفتنة، واستدلوا بأدلة منها دخولهن تحت الإذن العام بالزيارة.

ومنها ما رواه مسلم عن عائشة قالت: كيف أقول يا رسول الله إذا زرت القبور؟ قال: قولي: السلام عليكم الخ وقد سبق.

ومنها ما أخرجه البخاري أن النبي ﷺ: **« مرَّ بامْرأَةٍ تَبْكِي عندَ قَبْرٍ فقالَ لها: « اتقي اللهَ واصْبِري، قالت: إليكَ عني الخ الحديث ولم ينكر عليها الزيارة.** ومنها ما رواه الحاكم: **« إن فاطمةَ كانَتْ تزور قبر عمها الحمزةَ كلَّ جُمُعَةٍ فتُصَلّي وتَبْكِي عندَه »**.

وذهب آخرون إلى أن زيارة النساء القبور مكروهة، وتمسكوا بحديث: لعن زوارات القبور وأمثاله، قال القرطبي: اللعن المذكور في الحديث إنما هو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصيغة من المبالغة، ولعل السبب ما يفضي إليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج وما ينشأ من الصياح ونحو ذلك، وقد يقال إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الزيارة لهن لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء.. انتهى. قال الشوكاني: وهذا الكلام هو الذي ينبغي اعتماده في الجمع بين أحاديث الباب المتعارضة في الظاهر. اهـ من الشوكاني جـ ٤ ص ١٢٥.

جـ- يستفاد من الأحاديث أيضاً أن يحاول زائر القبور أن يرد نفسه إلى الله ويزهدها في الدنيا مذكراً إياها بمصير المقبورين، ومآلهم الذي انتهوا إليه

د- يستحب أن يدعو زائر القبور بالأدعية المذكورة، أو بأحدها.

هـ- لا يجوز زيارة القبور إذا كان عندها منكر مثل القبور التي صنعت فوقها القباب واتخذ الناس منها أماكن للتجمع عندها والطواف حولها والقيام بطقوس وثنية شركية تقرباً إلى المقبورين، وخروجاً عن جادة الدين، واتباعاً للمغضوب عليهم والضالين.

ومما يؤسف له أن كثيرين من أدعياء الإسلام وقعوا فيما وقع فيه أهل الجاهلية المشركون، فصاروا ينذرون للأموات، ويتقربون إليهم بأنواع القربات، ويقربون إليهم الهدايا من ذبائح ونقود، وغلال وغيرها، أعاذنا الله من أفعالهم وهداهم سواء السبيل.

وإن تعجب فعجب استغاثتهم بالأولياء حسب زعمهم، ودعاؤهم إياهم في الشدائد، والالتجاء إليهم في المصائب والملمات، والقيام بأذكار وأوراد حولهم بطريقة لا يقرها شرع ولا عقل، بل هي بدع مستحدثة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وقد يقع في موالد من يسمونهم أولياء من المنكرات والفواحش ما يندي له جبين الحر ، ويبكي عليه المسلم الغيور تحسراً وتألماً ، وذلك مثل ترك الصلاة وشرب الخمور حول هذه الأضرحة ومن فيها ، والوقوع في الزنا ، وكثرة السرقات ، واستغلال المشعوذين هذه الفرصة للقيام بأعمال بهلوانية يدعون أنها من بركة الولي وكرامته ، وقل مثل ذلك في العرافين والمنجمين وجميع أنواع الدجالين ، وعلى رأسهم سدنة وخدام هؤلاء المقبورين والأولياء المزعومين.

ومن المؤسف أن وزارات الأوقاف في كثير من البلاد الإسلامية هي التي تصرح لهؤلاء الناس بالقيام بهذه الطقوس وأعمال الموالد ، ولها سرادقات تقام حول هذه الأضرحة تزعم أنها للوعظ والإرشاد ، وهذا حق ، ولكن من الذي قال: إنه يجوز لمسلم أن يسمح بارتكاب المنكرات ويفسح لها المجال ثم يذهب فيعظ الناس كي يقعوا فيها ؟ إنه تناقض عجيب لا مثيل له في دين الله تعالى. ولا في مفاهيم العقلاء الجادين في أمر الله.

أحكام الاحداد على الميت

قال تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ البقرة ٢٣٤

وعن أم سلمة أن النبي ﷺ قال:

« لاَ يَحِلُّ لامْرأةٍ مُسْلِمَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ واليومِ الآخرِ أن تُحِدَّ فوقَ ثلاثةِ أيامٍ إلا على زَوْجِها أربعة أشْهُرٍ وَعَشْراً » متفق عليه.

وعن أم عطية قالت:

«كُنَّا نُنْهى أن نُحِدَّ على ميِّتٍ فوق ثلاثٍ إلا على زوج أربعةَ أشهرٍ وعَشْراً، ولا نَكْتَحِلُ ولاَ نَتَطَيَبُ ولا نَلْبسُ ثوباً مصْبوغاً إلا ثوبَ عَصْبٍ (ثياب يمنية بعضها مصبوغ وبعضها غير مصبوغ)، وقد رُخِّصَ لنا عِندَ الطُّهْرِ إذَا اغْتَسَلَتْ إحْدَانَا مِن مَحِيضِها في نُبْذَةٍ من كُسْتِ أَوْ أَظْفَارٍ» متفق عليه

النبذة: المراد بها الشيء اليسير.

الكُسْت أو القسط: نوع من البخور.

الأظفار: نوع من البخور.

وعن أم سلمة عن النبي ﷺ قال:

«المُتَوفَّى عنها زوجُهَا لا تلبسُ المُعَصْفَر مِن الثياب ولا المُمَشَّقَةَ (المصبوغة بالمشق وهو المغرة). ولا الحُلِيَّ، ولا تَخْتَضِب ولا تكْتَحِل» رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

وعن أم سلمة قالت:

دخل عليَّ رسول الله ﷺ حين تُوُفِي أبو سَلَمَة وقد جَعَلْتُ عليَّ صَبْراً، فقال: «ما هذا يا أمَّ سَلَمة؟ فقلت: إنما هُو صَبْرٌ يا رسولَ اللهِ ليسَ فيهِ طِيبٌ، قال: «إنَّهُ يَشُبُّ الوَجْهَ (يُجَمِّلُه) فلا تَجْعَلِيهِ إلا باللَّيْل وَتَنْزِعِينَه بالنَّهارِ، ولا تَمْتَشِطِي بالطِّيبِ ولا بِالحِنَّاءِ (لا تستعملي أحدهما عند الإمتشاط) فإنَّهُ خِضَابٌ» قالت قلت: بأي شيء أمتَشِطِ يا رسول الله؟ قال: بالسِّدْرِ تُغَلِفِين بِه رَأْسَكِ» رواه أبو داود والنسائي وحسنه الحافظ في بلوغ المرام.

والسدر هو: ورق شجر النبق

تغلفين به رأسك: تستعملينه كالصابون بهيئة غلاف فوق الشعر

ما يؤخذ من الآية والأحاديث من الأحكام:

أ- الآية والأحاديث في مدة الإحداد، وكيفيته، وعلى من يجب وغير ذلك مما سيتضح تفصيلا.

ومعنى الإحداد شرعاً: هو منع المعتدة نفسها للزينة، وبدنها للطيب، ومنع الخطاب خطبتها. كذا قال الشوكاني.

ومعناه في اللغة المنع، ومنه تسمية البواب حداد، وتسمية العقوبة حداً وتأتي الكلمة ثلاثية ورباعية فيقال: حد يحد مثل نصر ينصر، وأحدَّ تحد مثل أقبل يقبل.

ب- دلت الآية والأحاديث على أن المرأة المتوفى عنها زوجها إذا لم تكن حاملاً وجب عليها أن تعتد لوفاة زوجها أربعة أشهر وعشراً، سواء كانت قد دخل بها زوجها أم لم يدخل بها، فقد ثبت أن النبي ﷺ عرضت عليه قضية بُروعٍ بنتُ واشِقٍ أن زوجها مات عنها قبل أن يدخل بها فقضى ﷺ بأن لها الصداق كاملاً، وعليها العدة ولها الميراث، أما إن كان المتوفى عنها زوجها حاملا فإن عدتها تنتهي بوضع حملها لقوله تعالى:

﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ الطلاق ٤

وروي عن علي بن أبي طالب وابن عباس أن تمام عدتها آخر الأجلين، من الوضع أو أربعة أشهروعشر، فإن كان الوضع أطول فعدتها تنتهي به، وإن كان الأربعة الأشهر والعشر أطول فعدتها تنتهي بانتهائها جمعاً بين الآيتين: آية البقرة وآية الطلاق، والجمع أولى من الترجيح باتفاق أهل الأصول. قال القرطبي: وهذا نظر حسن لولا ما يعكر عليه من حديث سُبيْعَةَ الأسلمية المخرج في الصحيحين من غير وجه أنها توفي عنها زوجها سعد بن خَوْلة وهي حامل فلم تنشب أن وضعت حملها بعد وفاته، وفي رواية: فوضعت حملها بعده بليال، فلما خرجت من نفاسها تجملت للخطاب، فدخل عليها أبو السنابل بن

بناكح حتى يمر عليك أربعة أشهر وعشر، قالت سبيعة: «فجمعت عليَّ ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله ﷺ فسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حَلَلْتُ حين وضعْتُ حَمْلِي وأمرني بالتزويج إن بدا لي» وقد روي أن ابن عباس رجع إلى حديث سبيعة لما علم به وأن أصحابه أفتوا به كما هو قول أهل العلم قاطبة.

وقد ذكر سعيد بن المسيب وأبو العالية وغيرهما أن الحكمة في جعل عدة الوفاة أربعة أشهر وعشراً لاحتمال اشتمال الرحم على حمل، فإذا انتظر به هذه المدة ظهر إن كان موجوداً فقد جاء في الصحيحين وغيرهما حديث:

«إنَّ أحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُه في بَطْنِ أُمِّه أَرْبَعِينَ يوماً نُطْفَةً، ثم يكونُ عَلَقَةً مثلَ ذلِكَ، ثم يَكونُ مُضْغَةً مثلَ ذَلِكَ، ثم يُبْعَثُ إليه المَلَكُ فيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ» فهذه ثلاث أربعينات بأربعة أشهر، والاحتياط بعشر بعدها لما قد ينقص بعض الشهور، ثم لظهور الحركة بعد نفخ الروح فيه والتأكد من وجود الحمل.

حـ- ظهر من الآية والأحاديث أن الإحداد الذي هو ترك الزينة والتطيبُ والحلي ولُبس ما يدعو المرأة إلى الأزواج ويرغبهم فيها واجب على المتوفى عنها زوجها قولاً واحداً أثناء عدتها، ولا يجب على المطلقة الرجعية في عدتها قولا واحداً، وأما المطلقة طلاقاً بائناً ففي إحدادها قولان، والراجح أنه لا إحداد عليها؛ لأنه لم يرد في إحدادها دليل ولا فعلته النساء في أيام النبوة والخلفاء الراشدين.

ويجب الإحداد على جميع الزوجات المتوفى عنهن أزواجهن سواء في ذلك الصغيرة والآيسة والحرة والأمة والمسلمة والكافرة لعموم الآية، وقال أبو حنيفة وأصحابه: لا إحداد على الكافرة والصغيرة. اهـ من ابن كثير جـ ١ ص ٢٨٥

د- **قال تعالى: «فإذا بَلَغْنَ أجلَهُنَّ فلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ في أَنْفُسِهِنَّ بالمَعْروفِ»** معناه ما ذكره ابن عباس حيث قال فيه: إذا طلقت المرأة أو مات عنها زوجها فإذا انقضت عدتها فلا جناح عليها أن تتزين وتتصنع وتتعرض

بعكك فقال لها: مالي أراك متجملة؟ لعلك ترجين النكاح؟ والله ما أنت للتزويج فذلك المعروف اهـ من ابن كثير حـ ١ ص ٢٨٦

هـ- جمهور العلماء وأئمة الفقهاء على أن المعتدة من طلاق أو وفاة إذا انقضت عدتها بوضع الحمل جاز لها التزوج ولو كانت في دم نفاسها غير أن زوجها لا يقربها حتى تطهر، وقال الحسن والشعبي والنخعي وحماد: لا تنكح النفساء ما دامت في دم نفاسها.

و- في قوله تعالى: « **يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً** » قال القرطبي: التربص: التأني والتصبر عن النكاح، وترك الخروج عن مسكن النكاح، وذلك بألا تفارقه ليلا، ولم يذكر الله تعالى السكنى للمتوفى عنها فى كتابه كما ذكرها للمطلقة بقوله تعالى: « **أَسْكِنُوهُنَّ** » وثبت أن النبي ﷺ قال للفُرَيْعَةِ بنت مالك بن سنان وكانت متوفى عنها « **امْكُثِي فِي بَيْتِكِ حتى يَبْلُغَ الكِتَابُ أَجَلَه** » (يعني تنقضي عدتها) قالت: **فاعْتَدَدْتُ فيهِ أربعَةَ أَشْهُر وعشْراً** » رواه الخمسة وصححه الترمذي وأعله ابن حزم وعبد الحق، وقد رد العلماء عليهما وأبطلوا إعلالهما له اهـ منه ص ٩٨٤ طبعة الشعب، وهو حديث معروف مشهور أخذ به جماعة فقهاء الأمصار بالحجاز والشام والعراق ومصر (أعني حديث فريعة المذكور).

واستدلوا بحديثها على أن المتوفى عنها زوجها تعتد في المنزل الذي بلغها نعي زوجها وهي فيه ولا تخرج منه إلى غيره، وقد ذهب إلى ذلك جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وإليه ذهب مالك والشافعي وأبو حنيفة وأصحابهم والأوزاعي وإسحاق وأبو عبيد، وعلى الورثة أن يمكنوها من السكن فإن لم يمكنوها، أو كانت في منزل ليس لزوجها ولا لورثته ولا لها ولم يرض أصحابه بسكناها معهم، أو كان معها من لا تأمنه على نفسها، فإن لها أن تنتقل إلى غيره. وكان داود وابن حزم يذهبان إلى أن المتوفى عنها زوجها ليس عليها أن

تعتد في المنزل الذي بلغها نعي زوجها وهي فيه، بل تعتد حيث شاءت، لأن حديث فُرَيْعَة معلول والآية لم تثبت لها سكن في المنزل المذكور، قال القرطبي وروي ذلك الرأي عن علي وابن عباس وجابر وعائشة وبه قال جابر بن زيد وعطاء والحسن البصري. قال ابن عباس: «إنما قال الله تعالى: «يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً» ولم يقل يعتدون في بيوتهن، ولتعتد حيث شاءت، وروي ذلك عن أبي حنيفة، وروي أن عائشة خرجت بأختها أم كلثوم حين قتل عنها زوجها طلحة بن عبيدالله إلى مكة في عمرة، وكانت تفتي المتوفى عنها زوجها بالخروج في عدتها، وثبت عكس ذلك عن عمر حيث كان يرد المتوفى عنهن أزواجهن من البيداء يمنعهن الحج، لأنه كان يرى اعتداد المرأة في منزل زوجها المتوفى عنها لازماً لها، فلا يجوز لها أن تبيت إلا فيه.

ويلاحظ أن المتوفى عنها زوجها ليس لها نفقة ولا سكنى، لأن المكلف بذلك زوجها وقد مات، فإن كان لها ميراث في المسكن سكنت فيه وإلا فعلى الورثة تمكينها من السكن حتى تنقضي عدتها، فإن أبوا فعليها أن تستأجر المسكن، وإلا خرجت منه إلى غيره، وهذا هو الراجح والمتفق مع الكتاب والسنة.

ز- قال القرطبي: ويجوز لمعتدة الوفاة من زوجها أن تخرج في حوائجها من وقت انتشار الناس إلى وقت هدوئهم بعد العتَمَةِ، ولا تبيت إلا في ذلك المنزل- وهذا على القول بلزوم بيت السكن الذي بلغها فيه نعي زوجها- وقد روي جواز خروج المتوفى عنها زوجها للعذر والحاجة عن عمر وزيد بن ثابت وابن عمر وابن مسعود وأم سلمة وغيرهم اهـ من القرطبي ونيل الأوطار للشوكاني.

ح- القول الراجح والذي عليه جمهور العلماء من السلف والخلف أن عدة الوفاة والطلاق تبدأ من يوم الوفاة ومن يوم الطلاق، وهناك قول آخر مرجوح

وهو أن عدتها تبدأ من يوم علمها بالوفاة أو بالطلاق. قال به الحسن البصري وقتادة وعطاء الخراساني وجُلاَّسُ بنُ عمرو.

ط- المعتدة عدة وفاة يحرم عليها في الملابس كل ما هو زينة للنساء، أما ما يعتبر حشمة وليس للزينة عادة فإنه غير محرم سواء كان لونه أسود أو أبيض أو غيرها، وسواء كان النسيج من الكتان أو القطن أو الحرير أو غيرها، لأن النبي ﷺ نهى عن الثوب المصبوغ، وقد كان ذلك من أجل الزينة قال في البحر: ويحرم من اللباس ما صبغ للزينة ولو بالمغرة، والحرير وما في منزلته لحسن صنعته. ويحرم عليها أن تشتري حلياً من الذهب أو الفضة، أو اللؤلؤ ونحوه لتتزين به أثناء العدة، وأما إن كانت تلبسه عند الموت فالأدلة على تحريمه غير متوافرة إلا إذا قيس على الثياب المزخرفة فإنه يحْرم. هذا ما رأيته وخرجت به من خلاف العلماء في الحلي.

والطيب بأنواعه حرام سواء استعمل في الرأس أو في الجسد أو في الثياب وسواء كان الطيب في الكحول أو في الزيوت المعطرة، أو في الماء، ولو كان صابوناً معطراً فإنه يحرم أثناء العدة.

ويحرم استعمال المعتدة أي نوع من أنواع تجميل الوجه واليدين والرجلين مثل الكريم والحناء والأصباغ المختلفة الألوان، ولا بأس بفعل شيء من ذلك بالليل وإزالته بالنهار، ويشترط إذا استعملته ليلاً أن لا يراها الناس، وإلا كانت متبرجة بهذه الزينة ومنتهكة حرمة العدة. ومن الزينة المحرمة في الوجه الكحل وهو منصوص عليه في عدة أحاديث.

ويمكن استعمال القطرة والمراهم، وإذا خيف لحوق ضرر بالعين بسبب ترك الكحل جاز استعماله ليلا فقد جاء في حديث أم سلمة في الموطإ: «**اجْعَلِيهِ بالليْلِ وامسَحِيهِ بالنهارِ**» ولفظ أبي داود «**فتَكْتَحِلِينَ بالليْلِ وتَغْسلِينهُ بالنَهارِ**» قال في الفتح: ووجه الجمع بين النهي عن الكحل وبين إباحته بالليل أنها إذا لم تحتج إليه لا يحل

ويجوز للمرأة عند تمشيط شعرها أن تستعمل من الزيوت والأدهان ما لا طيب له ولا لون زينة.

ى- يؤخذ من الحديث الأول أنه يجوز للمرأة أن تحد على غير زوجها ثلاثة أيام فقط والرجل كذلك يجوز له إظهار الحزن على الميت العزيز عليه ثلاثة أيام فقط، لا يزيد فإن زاد فقد ارتكب محرماً، لأنه إذا حرم ذلك على النساء فعلى الرجال من باب أولى، لأن تأثر النساء أكثر، وتمسكهن بعادات الجاهلية أشد، ومما يؤسف له أننا نرى كثيرين من المسلمين إذا مات لهم ميت قريب يظلون متمسكين بمظاهر الحزن فترة طويلة قد تزيد على السنة غير مبالين بحرام أو غيره، فترى الواحد منهم يلبس ملابس معينة تدل على الحزن عادة ويمتنع عن بعض المأكولات، ويحرم على الأقارب والجيران إقامة أفراح التزوج والأعياد والمناسبات السارة التي أباحها الشرع، ويحيل بيته إلى مأتم كذلك فيحرم على نفسه وعلى أولاده طيبات ما أحل الله، ويجلس لتعزية الناس له بعد مضي أربعين يوماً على وفاة قريبه، ويعمل على إحياء ذكرى موت قريبه كل سنة، وهكذا، مما لو توسع الناس فيه بحيث يتمسك به الجميع لاستحالت حياتهم إلى أحزان، ولتعطلت الأعمال، وذهبت نفقات كثيرة في غير طائل، أو فيما هو حرام.

ومما سبق في عدة المتوفى عنها زوجها ندرك أن المحرم عليها هو الخروج ليلا بمعنى ألا تبيت في منزلها، ولبس ما هو زينة، واستعمال الطيب، واستعمال ما يزين الجسد مثل الحناء والكريمات والكحل ونحو ذلك ولا شيء سوى ذلك.

ولها أن تأكل ما تشاء وتشرب ما تشاء مما أحل الله تعالى، ولها أن تجالس من النساء من تشاء، وأن تجالس من الرجال محارمها وأن يدخلوا عليها في أي وقت شاءوا، ويجوز أن يدخل عليها غير محرم وأن تكلمه في غير خلوة أو لين قول: والخلاصة أنها إذا امتنعت عن الأشياء المحرمة المذكورة فهي بعد ذلك امرأة عادية في كل شيء من أكل وشرب ونوم ومؤانسة ومكالمة وضحك

ومسامرة وجلوس أمام التليفزيون وسماع للإذاعة في غير ما هو حرام: فليفهم ذلك الذين أحيوا عادات الجاهلية فحرموا على المرأة أشياء ما أنزل الله بها من سلطان، حتى وصل الأمر إلى قولهم: إن المعتدة إذا رآها رجل أجنبي أو رأته فإن عليها أن تبدأ العدة من أولها، ألا ساء ما يقولون وما يفترون! وما أكثر ما يفعل الجهل بأهله!!! وقد ثبت عن أم حبيبة حين توفي أبوها أبو سفيان أنها دعت بطيب فمسحت به عارضيها بعد مضي ثلاثة أيام على وفاته واستدلت بالحديث الأول، اهـ

أهل الميت الضعاف أمانة عند المجتمع الإسلامي

إذا مات الميت وترك زوجة، وأولادا صغارا، ووالدين كبيرين عاجزين فان ترك الميت ميراثا يكفيهم فبها والا وجب على أهل الزوجة أن يعولوها، ووجب على الأقربين للصغار أن يقوموا بأمرهم حتى يكبروا ويستطيعوا الاعتماد على أنفسهم، وعلى الوصي على الصغار حقوق كفلها لهم الشرع، فإن لم يكن للصغار أقرباء يتكفلون بهم ولا وصي يرعى أمورهم وجب على الحاكم أن يعين لهم المال اللازم من بيت المال، والوصي الصالح للقيام بأمورهم حتى يكبروا. أما الوالدان العاجزان فإن وجد من الأقربين من يعولهم وجب عليه القيام بأمرهم من مطعم وملبس ومسكن وغير ذلك وإلا ففي بيت مال المسلمين حق لهما يجب أن يوصل إليهما وأن يعيِّن الحاكم على حساب بيت المال من يقوم بأمرهما ويرعى شئونهما والأدلة على ذلك كثيرة في الكتاب والسنة.

من ذلك قوله تعالى:

وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا

الاسراء ٢٦

وعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لرجل: «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيها، فإن فَضَلَ شَيْءٌ فَلِأَهْلِـك، فإن فَضَلَ عن أَهْلِك شيٌ فلذِي قَرَابَتِك، فإن فضل عن ذي قَرابتِكَ شيءٌ فهكذا وهكذا» أحمد ومسلم وأبو داود والنسائي.

وعن كُلَيْب بن مَنْفَعَة عن جده أنه أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله من أَبَرّ؟ قال: «أمَّك وأباك، وأختَك وأَخاكَ، ومَوْلاكَ الذي يلي ذاكَ حَقٌ واجِبٌ وَرَحِمٌ موصولة» رواه أبو داود وسنده لا بأس به.

وعن المقدام بن معد يكرب قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الله يوصيكم بأمَّهَاتِكم، ثم يوصيكم بآبائِكُمْ، ثم بالأَقْرَبِ فالأقْرَبِ» رواه البيهقي بإسناد حسن. في الآية والأحاديث دليل على وجوب النفقة على الأبوين والأقربين، وفي زاد المعاد لابن القيم كفاية لمن أراد المزيد، وأدلة بيت مال المسلمين معروفة مشهورة فإن هؤلاء وغيرهم من الفقراء هم أهل مصارف الزكاة وغيرها

الأحداث الخطيرة في رحلة الخلود

فيما سبق تكلمت معك أيها القارىء الكريم فيما يجب عمله على المسلم قبل موته لكي ينال رضاء الله تعالى وينجو من مخاطر رحلة الخلود بفضل الله تعالى ورحمته

كما ذكرت لك ما يجب على المسلمين نحو ميتهم من قبل وقت الاحتضار حتى الانتهاء من دفنه، ثم ما يجب عليهم نحو أهله الذين كان يعولهم ويرعاهم، وهذه كلها أحكام فقهية، ووصايا دينية، ونصائح أوجب الدين علينا ذكرها وتوضيحها ليكون كل مسلم على بصيرة من أمره، وبينة في شئون دينه.

وبقي الأهم والأخطر ، وهو كشف أحداث رحلة الخلود ، ووصفها حسبما جاء في الكتاب والسنة وأقوال الصالحين ، حتى تنجلي هذه الأمور وتتضح وتصير كأنها مشاهدة محسوسة ، تراها العين ، وتسمعها الأذن ، وتتجاوب معها جميع جوانب النفس من فكرية ووجدانية وروحية .

بقي أن ندخل في عالم الغيب هذا عن طريق ما قال الله تعالى في وصفه وما قاله رسول الله ﷺ فيه ، حتى لم يترك الكتاب والسنة جزئية من جزئياته ، ولا حركة من حركاته ، ولا جوا من أجوائه ، ولا مرحلة من مراحله إلا وأفاضا فيها تبيانا وتفصيلا .

وأنت لا تكاد تقرأ سورة طويلة أو قصيرة إلا وتجد فيها علما شامخا يذكرك باليوم الآخر ، ولقاء الله تعالى فيه ، والوقوف بين يديه لسماع الحكم منه تعالى إما بالنعيم الأبدي ، وإما بالشقاء الطويل العريض الذي لا ينتهي

والعجب كل العجب من إنسان أخبره الله تعالى أن يسلك طريقا شائكا وعرا مليئا بالمخاطر والمهالك ،وأن عليه أن يستشعر هذه المخاطر والمهالك ،ويتصور آثارها على مستقبله الأبدي ، ومع ذلك تراه غافلا منصرفا عن جميع المحاذير ، ومنشغلا بالتفاهات والدنايا في دنيا ملعونة وملعون ما فيها إلا ما هو خير ارتضاه الله وزكاه .وما أصيب الإنسان بمرض أشد عليه وبالا من مرض الغفلة الذي قد يتحول إلى جمود وقسوة ، ثم إلى لجاج وعناد ... ثم إلى كفران وجحود ...أعاذنا وأعاذكم الله!!!

وإذا كان الكتاب والسنة مهتمين الاهتمام كله بتفاصيل رحلة الخلود الإنساني فإن من الغباء والضياع والحمق الا يهتم الإنسان الاهتمام الكافي بما اهتم به الكتاب والسنة .

إن عدم الاهتمام بتفاصيل هذه الرحلة يعتبر قصورا في التصور ، وتقصيرا في حق الكتاب والسنة على الإنسان وفي حق نفس الإنسان عليه .كل امرىء عنده اندفاع ذاتي نحو تأمين مستقبله الدنيوي ، مع أنه سمع من الكتاب

الكريم وقرأ فيه أن مستقبله بيد الله وحده، وأن الله تعالى لن يعطيه إلا ما كتب له، وأن العالم كله لو اجتمع على نفعه بذرة لم يقدِّرْها اللهُ تعالى له لم يستطع، وأن عليه أن يسلم قياده لله وحده، ويقوم بدينه وشرعه، ويخضع لأمره ونهيه، وله بعد ذلك سعادة الدنيا والآخرة.

ومن أكبر الأدلة على حمق الإنسان وجهله أنه يكد ويشقى من أجل مستقبل مهما طال فلن يجاوز مائة سنة في الغالب ويهمل إهمالا كليا أو جزئيا العمل من أجل مستقبل لا نهاية له.. مستقبل الأبد.. مستقبل الخلود.. يا لها من خسارة لا عوض لها ولا جبر منها، ولا أمل في تلافيها. وصدق الله القائل

يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ يس ٣٠

والقائل:

وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ مريم ٣٩

إن الذين غمرا الإيمان قلوبهم، واستحوذت معرفتهم بالله على مشاعرهم ووجدانهم، وأيقنوا بلقاء الله تعالى وسماع الحكم منه في مصائرهم، هؤلاء هم الذين «تَتَجافى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوفاً وَطَمَعاً» «وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إلى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُم تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ، يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فاكتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ» و «إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوكَّلُونَ» وهم (الذينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً) وَيَقُولونَ (رَبْنَا اصرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كانَ غَرَاماً، إِنها سَاءَتْ مُسْتَقَراً وَمُقَاماً).

هؤلاء هم الذين احترموا آدميتهم وكرامتهم، وبنوا لأنفسهم صروح المجد الخالد، والعز الباقي، والسعادة الأبدية.

هؤلاء منهم القائل: نحنُ في لَذَّةٍ لو يَعْلَمها الملوكُ لَقَاتلونَا عَلَيْها بالسُيُوفِ»

ومنهم القائل حين قال له رجل أراك تكثر من حمد الله وشكره مع أن الله ابتلاك ابتلاء لا ابتلاء مثله ، فالجُذام في أطرافك ، ومُزَقُ الثياب على جسدك ، ولا زوجة لك ولا ولد ، ولا دار ولا أهل ، فما شأنك؟ فقال الرجل

حمِدْت اللهَ ربي إذْ هَداني ... إلى الإسلام والدِّين الحَنيفِ
فيذكُرُهُ لِسَاني كُلَّ وَقْتٍ ... وَيعرِفُهُ فُؤادي بِاللَّطِيفِ

وقال الآخر :

إن للهِ عِبادا فُطَناً ... طَلَّقُوا الدنيا وَخَافوا الفِتَنَا
نظروا فيها فَلَمَا عَلِموا ... أنها ليْسَت لِحَيٍّ وَطَناً
جَعَلوها لَجَّةً واتخَذوا ... صَالِحَ العَمَلِ فِيهَا سُفُناً

إذا فهذه الأحداث الخطيرة إلى أبعد حدود التصور هي التي لا تجد اهتماما كافيا في كلام الخطيب ، ولا في كتابة الكاتب ، ولا في محاضرة المحاضر ، ومن يتعرض لها فإنه يمسها مسا خفيفا ثم ينصرف ، وبعض القائمين على أمور الدعوة الإسلامية ينصح الدعاة بعدم الإكثار من ذكر الموت والجنة والنار وأهوال يوم القيامة فما السبب يا ترى؟ هل ذلك لأنهم دعاة دين من أجل الدنيا . ما لها ومناصبها وشهواتها؟ أم لأنهم يراءون الناس ولا يرضون إغضاب حزب الشيطان عليهم؟ أم لأنهم هم لا يفكرون في هذه الأحداث فلا يرضون أن يستدرك أحد عليهم قصورهم وتقصيرهم؟ أم لذلك كله؟!!

وسوف أحاول بمشيئة الله وتوفيقه أن أوفي كل حادث من أحداث رحلة الخلود حقه بقدر المستطاع ليكون عند القارىء تصور واضح عنه والله ولي التوفيق وبه الاستعانة وعليه التوكل .

ولكن قبل البدء في التفصيل سأقدم لك صورتين إحداهما صورة لرحلة السعداء الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه .

والأخرى صورة لرحلة الذين شقوا وغضب الله عليهم وطردهم من رحمته.

وما أذكره إجمالا في كلتا الرحلتين ستجده مفصلا بعد ذلك عند ذكر أحداث الرحلة بالتفصيل مدعما بالأدلة من الكتاب والسنة.

رحلة السعداء

إنها رحلة الأفراح والمسرات والسعادة التي لا يستطيع أي كاتب مهما أوتي من البيان تصويرها التصوير القريب من الحقائق.

ولو تخيل الإنسان جميع أسباب السعادة ثم رسمها في إطار معين فإن تخيله يكون ناقصا نقصا مضحكا ودليل قولي الحديث القدسي القائل في وصف الجنة.

« **أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالحين مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ ولاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ على قَلْبِ بَشَرٍ** » حديث صحيح

إذا هو نعيم فوق جميع التصورات وأبعد منها كلها «لم يخطر على قلب بشر» لأن البشر إنما يتصورون ويتخيلون مستمدين التصور والتخيل مما يحيط بهم، ومما علموا عن الله وعن رسوله، فإذا قال الله تعالى:

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ السجدة ١٧

وإذا قال في الحديث القدسي: «**ولم يخطر على قلب بشر**» فإن ذلك يفيد أن تصور الإنسان محدود، وكذلك جميع تخيلاته، أماما أعد الله تعالى لعباده الصالحين من النعيم المقيم الخالد فهو غير محدود، وهو أبعد وأعظم وأجمل وأكمل من أي تصور يتصوره أي إنسان أو يتخيله، مهما كان واسع الخيال طموحا.

هذا المؤمن الصالح الذي حضر موته وانتقاله إلى لقاء ربه، لا يرضى الله تعالى أن يأخذه من بين أهله وماله وولده أخذ الجبارين، وإنما يأخذه أخذا أجمل

وأرحم من أخذ جميع الرحماء والمحسنين من عباده. إنه كان بين أهله فلم يشغلوه عن حق ربه وطاعة رسوله. وكان مع أولاده فلم يفتنوه عن إرضاء خالقه ومدبر أمره. وكان ملىء اليد بالمال فلم ينس فيه حق ذي القربى واليتيم والمسكين وابن السبيل. وكان يعايش جميع ما في الحياة فلم يشغله شيء منها عن الله. كانت سعادة لسانه في ذكر ربه.

وسعادة قلبه في صلته بالله حباً له، وخوفا منه، وتوكلاً عليه. وكانت سعادة جسده وجوارحه في تسخيرها لعبادة الله ونفع البشر والجهاد الدائب في سبيل إعلاء كلمة الله.

لذلك عند قبض روحه وسكرات موته يرسل الله إليه وفدا من ملائكته يفيض النور من جميع جوانبه

ويرتسم الكمال والجمال والزينة على كل جزء من مظاهره. ويعبق بالطيب كل شيء معه ومن حوله. وتُشعِر بالعطف والحنان والرقة والرحمة كل كلمة من كلماته. إنه وفد الله ينادي روح حبيب الله فيقول أحدهم: أخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب. أخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان. أخرجي إلى لقاء الله ورحمته. أخرجي إلى عفو الله ومغفرته. أخرجي إلى رضوان الله وجنته.

يا لها من لحظات سعادة تذوب في سكرتها سكرات الموت وتتلاشى. ويشعر المؤمن ساعتها بأنه أوفى الملك والخلد والنعيم. ويدرك أن مصيره اللانهائي كله أفراح ومتع وملذات لا تفنى. ولو نطق لقال لأهله والمحيطين به «**لِمِثْلِ هٰذا فلْيَعْملِ العَامِلون**». إنها بداية فرحة الأبد، وعز الأبد، وكمال الخلود، وخلود الكمال. إنه هناك سيلتقي بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين. وله كل ما يتمناه في حياة يظلّلها رضوان الله ورحمة الله

له من الله تحيات، ومن ملائكة الرحمة تسليمات، ومن أحباب الله زيارات

الله أكبر.. فلبيك فرحا من نجا ونال من الله الرضى.

الله أكبر..فليطرب وليملاء الدنيا نغما وفرحا من بُشِّرَ بالعفو من العلي الأعلى.

الله أكبر.. فليهتف بالسعادة والبشرى من جاءه وفد الله ليزفه إلى السماوات العلا.

الله أكبر.. هذه ساعة كأن كل شيء فيها يهتف بقوله تعالى:

قد أفلح من تزكى، وذكر اسم ربه فصلى.

كان المؤمن حفيا بكتاب الله يقرؤه، وهو الآن ذاهب إلى الله يراه ويسمعه.

وكان محبا لرسول الله، وهو الآن تزفه الملائكة الى النعيم فيجالس الرسول ويحادثه.

إن فرحة اللقاء بالملاء الأعلى وبشرياته عند الموت لا تَعْدِلها فرحة في الدنيا ولا في الآخرة.

إنهم ينادون روح حبيب الله لتخرج إليهم، فإذا خرجت تلقفها وفد الله فوضعها في كفن من الجنة، وطَيَّبها بطيب من الجنة، وصعِد بها إلى الملأ الأعلى، وكلما مروا بملأ من، الملائكة أخبروهم بأن معهم روحا طيبة رضي الله عنها، فتحيي ملائكة الله روح ولي الله، ثم يستأذنون في دخول السماء الأولى فيؤذن لهم، ثم في الثانية والثالثة الى السابعة وهناك تسمع الروح نداء من قبل الله أن الله رضي عنها وأمر بأن تكون في الجنة فيزداد فرح الروح وسرورها، فإذا نزلتْ بها الملائكة بَشّرت الروحُ الجسدَ وهنأته فإذا حمل الجسد في نعشه كانت روحه من فوقه تهتف وتقول: أسرعوا بي. أسرعوا بي فإذا أهيل التراب على الميت في قبره أتاه الملكان يسألانه وقد عادت الروح إليه فيقولان:

من ربك؟ فيجيب سعيدا مطمئنا: ربي الله؛ لأنه كان معه يحبه ويخافه ويعبده.

من نبيك؟ فيجيب منشرحا راضيا: هو محمد ﷺ، لأنه كان يتبع سنته ويلزم طريقته.

وما دينك؟ فيجيب واثقا من نفسه متهللا: هو الإسلام؛ لأنه ما رضي بغيره دينا ولا قانونا ولا منهجا.

فيريه الملكان بعض ما أعده الله له من النعيم، ويملأ قبره نورا، ويوسع حتى يصير سبعين ذراعا في سبعين، ثم تؤخذ الروح لتعرف موضعها في الجنة حيث تسرح فيها وتمرح وتنطلق منها إلى القبر، ومن القبر إليها في حياة حرة رجية فسيحة، لا سدود فيها ولا قيود حتى إنها تأتي إلى أهلها وتتعرف أخبارهم وأحوالهم وهم لا يعلمون.

وتظل الروح كذلك لا تشعر بمرور الزمان كما يشعر به أهل الدنيا حتى ان مدة القبر مهما طالت لا تزيد في إدراكها عن مقدار صلاة ظهر أو صلاة عصر.

فإذا جاءت النفخة الأولى ومات العالمون، وصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، كانت الأرواح ممن شاء الله ألا تموت فقد ماتت قبل ذلك.

فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية خرجت الأرواح بإذن الله تعالى فذهبت كل روح إلى جسدها فوجدته قد اعاده الله كما كان يوم فارقته بالموت، فتدخل الأرواح في أجسادها، ويقوم الناس جميعا لرب العالمين، وهذا هو البعث الأكبر.

فيجد المؤمنون أنفسهم في راحة ورحمة، نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، ولا نور إلا نورهم، والملك القائد يمشي أمامهم ليوصلهم إلى أرض غير الأرض تحت سماء غير سماء الدنيا، ومن ورائهم ملائكة الله تسوقهم وتزفهم، فإذا وصلوا إلى أرض المحشر وجدوا الظلام الحالك والجو المفزع، والعالم الذي لا عهد لهم به، والأحداث التي يشيب لها الوليد وتضع بسببها كل ذات حمل حملها.

فتظهر شمس محرقة، وتدنو من رؤوس الخلائق حتى ما يكون بينها وبينهم

إلا مقدار ميل، فتغلي من حرارة الشمس الرؤوس، ويزدحم الناس أزدحاما شديداً، ويسيل عرقهم على الأرض كالأنهار. وتنشق السماء الأولى فينزل ملائكتها ويقفون صفا وراء الخلائق.

ثم تنشق السماء الثانية فينزل ملائكتها ويقفون صفا وراء الصف الأول.

ثم تنشق باقي السموات وتنزل ملائكتها فتقف صفوفا وراء صفوف.

ثم يأمر الله بالنار فيؤتى بها ولها سبعون ألف زمام يمسك بكل زمام سبعون ألف ملك وينسى المرء أمه وأباه وأبناءهُ وزوجته، واخوته وعشيرته،

ويأتي الجبار وقد غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله،

والأنبياء والملائكة كل منهم يقول: يا رب سلم يا رب سلم

ويطول الموقف في يوم مقداره خمسون ألف سنة

وفيه أحداث تخلع القلوب، وتزلزل النفوس، وتقصم الظهور

فإن الناس يبعثون ويوقفون في المحشر على ما ماتوا عليه، فمنهم من يخمش وجهه بأظافره لأنه كان يغتاب الناس، ومنهم من تدلى لسانه على صدره لأنه كان خطيب فتنة، وكان يقول ما لا يفعله، ومنهم يجر بطنه الكبير المنتفخ لأنه كان يأكل الربا ويأكل أموال الناس بالباطل، ومنهم من يحمل سرقته، ومن هو ملتصق بالزانية التي زنى بها، ومن ينادي يا رباه: خذ لي حقي من أبي وأمي لأنهما أضاعاني وما علماني ما أرضيك به، وهذه امرأة تتبرأ من زوجها وتطلب من الله أن يرحمها ويعذبه، لأنه هو الذي أمرها بالمنكر وأبعدها عن المعروف وأوقعها في المعاصي والفحشاء، والحاكم الظالم يحيط به المظلومون طالبين من الله أخذ حقوقهم منه وإنصافهم، وعاق والديه وقاطع رحمه، ومؤذي جيرانه، ومعذب زوجته، والقائم بالفتنة بين الناس، والساحر، والكذاب، والغادر، والخائن كل هؤلاء وغيرهم يصيحون ويولولون حين تنكشف الحقائق، ويعاينون هول الموقف، ويسمعون النداء من قبل الله تعالى: لِمَن الْمُلْكُ الْيَوْمَ؟ فيجيب جميع أهل المحشر: لله الواحد القَّهار، فيقول تعالى: (الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتَ لا ظُلْمَ اليومَ، إن الله سريعُ الحِسَاب)

وهؤلاء المعذبون في المحشر هم الذين لم يغفر الله لهم، ولم ينته عذابهم في قبورهم، والكافرون يلقون أشد الهول وأفظعه، وعرق الناس يسيل حتى يبلغ ركب البعض وخواصر البعض، وآذان آخرين.

وكل نبي له لواء يعرف به، واللواء الأعظم هو لواء النبي محمد ﷺ، وجميع الأنبياء بألويتهم تحت لواء النبي محمد عليه الصلاة والسلام.

والمؤمنون الذين نالوا رضاء الله تعالى لا يتأثرون بهذه الأهوال، فإن كل إنسان يتأثر بقدر عمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر

لذلك يحشر المؤمنون في نور وجوههم وأيمانهم، وترحب الملائكة بمقدمهم، ولا يزدحمون حيث يزدحم الناس، ولا يعرقون حيث يعرق الناس، ولا تحرقهم الشمس كما تحرق الناس، بل يظللون في ظل الله تعالى، وتغمرهم سعادة لا توصف.

فمنهم الجالسون عن يمين عرش الرحمن، ومنهم الواقفون بجوار النبي محمد ﷺ تحت لوائه بعد أن شربوا من حوضه، يفزع الناس وهم لا يفزعون، ولا خوف عليهم اليوم ولا هم يحزنون.

يمر عليهم الخمسون ألف كأنها صلاة ظهراً وصلاة عصر.يأخذون كتبهم بأيمانهم، وهم في غاية السرور والسعادة.وتثقل عند الميزان صحائف حسناتهم وعند الحساب يسمعون رضاء الله وعفوه عنهم

وهناك الذين يساقون إلى الجنة بغير حساب.والشهداء الذين يشفع كل منهم في سبعين من أهل بيته.ويشفع العلماء العاملون.هذا فضلا عن شفاعة الأنبياء والمرسلين.وشفاعة الأبناء الصالحين في الآباء والعكس

ويمر المؤمنون على الصراط: منهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالجواد السريع، ومنهم من يمر ماشيا، ومن يزحف على الصراط زحفا.

وهناك على أبواب الجنة يقف أهل الجنة طالبين أن تفتح لهم، ولكن

رئيس خزنتها يقول: إن الله أمرني ألا أفتح لأحد قبل محمد ﷺ وأمته فاذا دخلوا الجنة وجدوا جميع أسباب السعادة. تتلقاهم الملائكة قائلين: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين. وتتلقاهم الحور العين مغنيات قائلات: نحن الخالدات فلا نبيد، نحن المقيمات فلا نَظْعَنُ، طوبى لمن كان لنا وكنا له

والولدان خدم كاللؤلؤ المنثور. والخضرة الدائمة، والأنهار المطردة، والقصور المشيدة، والأسرة المرفوعة، والأكواب الموضوعة، والنمارق المصفوفة، كل ذلك لأهل الجنة. والوجوه ناضرة، والأعين إلى ربها ناظرة، والرب يسلم على أحبابه الذين كرمهم غاية التكريم، سلام قولا من رب رحيم.

وهناك فاكهة كثيرة، لا مقطوعة ولا ممنوعة. وأنهار من ماء غير آسن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، ولهم فيها من كل الثمرات. وفوق ذلك كله مغفرة من ربهم ورضوان. لا موت ولا فناء، ولا هِرَم ولا كبر، ولا بول ولا غائط، ولا حيض للنساء ولا نفاس، بل أزواج مطهرة ورضوان من الله. وحور حسان، لم يلمسهن من قبل أزواجهن إنس ولا جان. صدر الحورية مرآة لزوجها، وصدره مرآة لها. لا تمله ولا يملها، وتحبه وهو يحبها، لا ترغب في غيره ولا تطلب إلا سعادته، وأصحاب الجنة بالنعيم دائما مشغولون، هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون.

قصور الجنة من زمرد وزبرجد وياقوت، وملاطها المسك وترابها الزعفران، وجذوع الشجر وسيقانه من ذهب وفضة.

جمال أهل الجنة لا يوصف، سواء كانوا رجالا أم نساء. لهم ما تشتهي أنفسهم، وفوق ما تشتهي أنفسهم، وأعظم تحفة في الجنة أن يتكرم الحليم الكريم الرحيم بأن يراه عباده المؤمنون، فإذا رأوه نسوا كل سعادة سوى رؤيته سبحانه وتعالى. وفي الجنة يدعو الله تعالى جميع أهل الجنة إلى حفل في سوق الجنة، فيجلسهم على كراسي من نور، ومن زبرجد وياقوت وجواهر، كما يُجْلسُ قوما على تِلال المسك والعنبر، فيطعمهم الله ويسقيهم، ويلبسهم من حلل

الجنة كما يشتهون، وينيلهم كل ما يطلبون وفوق ما يطلبون، وفي آخر الحفل يقول الله لهم: بقي أن أرضى عنكم فلا أسخط عليكم بعد ذلك أبداً ويأمر الله تعالى أنْ يؤتى بالموت بين الجنة والنار في صورة كبش، ويأمر الله بذبحه ثم يأمر مناديا أن ينادي بينهما قائلا: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت، فيزداد أهل الجنة اطمئنانا، ويزداد أهل النار يأسا وحسرة وقنوطا. ويعيش أهل الجنة في حياتهم الأبدية تحت كنف الله ورحمته وكرمه ورضوانه وصدق الشاعر إذ يقول:

لا تَرْكَنَنَّ إلى الدُّنيا وما فِيهَا   فالمَوتُ لا شَكَّ يُفْنِينَا وَيُفْنِيهَا
واعْمَل لِدَارِ البَقَا رِضْوَانُ خَازِنُها   والجارُ أَحْمَدُ الجَبَّارُ بَانِيهَا

هذه هي رحلة الجمال والكمال والسعادة بالنسبة للمؤمنين.هي رحلة تبدأ بالموت وتنتهي بالاستقرار في الجنة والخلود بها.ينال فيها كل مؤمن ما يتمنى، وفوق ما يتمنى.فما خسر دنيا ولا آخرة.ولا خسر مالا ولا أهلا ولا ولداً ممن آمن معه وعمل صالحا.طابت دنياه بحبه لله، وطابت آخرته بنعيم الله ورضوانه وجوزي الجزاء الأوفى، الذي يليق بجلال العلي الأعلى.ويكفي أن يسمع من قبل الله أن الله تعالى قد قبله وغفر له ورضي عنه.وستأتيك الأدلة والبيان في كل ما ذكر مع تفصيله تفصيلا في غاية البيان

رحلة الأشقياء

إن الكافر والمنافق إذا جاء أجلهما فقد انتهى نعيمهما إلى الأبد، هذا إذا تجاوزنا وسمينا بعض متع الدنيا نعيما، فإن الأصل في الحياة الدنيا أنها دار التعب والنصب والمرض والحزن والحرب والخداع والمكر وجميع أنواع

المساوىء،فهي لا تخلص لأحد نعيما وترفا ، ولا تصفو لمخلوق متعة ولذة وراحة ، غير أن ما فيها بالنسبة لما يعقبها يعتبر متعة وراحة وسعادة لهم ، ولذا قال تعالى في الكفار:

ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ الحجر ٣

وقال:

لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ آل عمران ١٩٦-١٩٧

وقال:

وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ محمد ١٢

وشقاء هؤلاء يبدأ من أول الرحلة- من ساعة الموت ، حيث تنزل إلى الميت الكافر أو المنافق ملائكة سود الوجوه ، أشكالهم مزعجة ، وأصواتهم مفزعة ، ومعهم كفن كأنه الشوك فيقول رائدهم للروح: أخرجي أيتها الروح الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ، اخرجي إلى سخط الله وغضبه.اخرجي إلى عذاب الله ونقمته.اخرجي إلى.شقاء الأبد وذل الأبد. فإذا خرجت روحه أخذتها الملائكة فلفتها في كفنها الخشن إهانة لها ، ثم صعدوا بها الى السماء وطلبوا أن تفتح ، ولكن هيهات هيهات ، هذه روح أخلدت إلى الأرض فليس لها في السماء موطىء قدم ،لذلك تمنع من دخولها ، وتسمع نداء من قبل ربها. ألا إن الله قد سخط على عبده فاجعلوا روحه في سجين ، فترمي الملائكة بالروح ، فتهوى إلى مكان سحيق فإذا حملت جثة الكافر كانت روحه البائسة فوقها تولول قائلة: يا ويلها ، أين يذهبون بها فإذا دفن في قبره أتاه الملكان يسألانه

قائلين: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، ومن نبيك؟ فيقول: هاها هاه لا أدري. وما دينك؟ فيقول: هاها هاه لا أدري.

فيقولان له: لا دريت ولا تليت، ويضربانه بِمرْزَّبةٍ من حديد بين أذنيه لو ضرب بها جبل لصار ترابا، فيصيح صيحة يسمعها كل ما على وجه الأرض إلا الإنس والجن. ثم يضيق عليه قبره، ويشتعل عليه نارا، وتأتيه الحيات والثعابين تنهشه وتعذبه فيقول: رب لا تقم الساعة، لأنه يعلم أن عذابها أشد وأفظع، ويقول الملكان له: أنت هنا إلى يوم القيامة، فتمر عليه السنون كل يوم فيها كأنه ألف سنة من سني البشر، ولا ينفعه مال تركه، ولا سلطان كان فيه، ولا خلان ولا أقرباء. ولا أمل له في طريقة نجاة إذا كان قد مات كافرا.

فإذا بعث يوم القيامة وجد الظلمة الحالكة التي يمشي فيها متعثرا يحمل أوزاره، ويخشى الفضيحة والخزي والهوان أمام أهله وأصدقائه ومن يعرفهم ويعرفونه، وتسوق الملائكة الناس جميعا إلى أرض المحشر فلا يسمع الكافرون ولا يرون إلا ما هو زيادة في الشقاء والعذاب والهلاك، سواء في الموقف وطوله وأهواله، أو في شعورهم بغضب الله عليهم وسخطه، أو في حرمانهم من شفاعة نبي أو غيره، أو في إدراكهم ألا أمل في موت أو نجاة من عذاب. يعذبون في الموقف بالزحام، وبالشمس المحرقة التي تغلي منها الرؤس، وبلعنة الملائكة لهم، وبلوغ العَرق آذانهم، وتبرىء جلودهم وأيديهم وأرجلهم وأهليهم منهم، وانقطاع جميع وسائل الراحة والرحمة عنهم، وعطشهم عطشا يحرق أجوافهم، وحرمانهم من أي رسول أو نبي أو ملك يعطف عليهم، ويأسهم من أي كتاب أو سورة منه أو آية تشفع لهم.. كل ذلك وأكثر منه وأشد ملايين المرات في يوم طوله خمسون ألف سنة عليهم، ثم يساقون إلى الصراط فلا يمرون، ولكن كُبْكِبوا في جهنم هم وجنود ابليس أجمعون، فيعذبون فيها من أعلى إلى أسفل دركاتها، يستغيثون فلا يغاثون ويسترحمون فلا يُرحمون، يشتد الجوع عليهم فيؤتون بالزقوم، له شوك يمزق أشداقهم ويقف في حلوقهم، فيطلبون ماء

يبتلعون به ما غُصَّت به حلوقهم، فتأتيهم ملائكة العذاب بالماء المغلي فيقطع أمعاءهم.

ينادون خزنة جهنم طالبين منهم أن يشفعوا لهم عندَ الله ليخفف عنهم يوما، واحدا من العذاب، فيردون عليهم بأن نداءكم لن يفيدكم، ودعاءكم لن يستجاب لكم، «وما دُعاءُ الكافِرين إلا في ضَلَالٍ»

يستغيثون بمالك رئيس خزنة جهنم طالبين منه أن يسأل الله لهم أن يميتهم ويقضي عليهم، فيجيبهم «إنكُمْ مَاكِثُون» لقد جاءكم الحق من ربكم فرفضتموه، ونصحكم رسول من عند الله فحاربتموه، فلا أمل في موت أو تخفيف من عذاب. فينادون ربهم ما يقرب من ألف سنة فإذا أجابهم قالوا: ربَّنَا أَخْرجنَا مِنَ النار وأعدنا إلى الدنيا وسترى منا ما يرضيك عنا. فيقول الله لهم:« **اخْسَئُوا فِيهَا ولا تُكَلِّمُون** » فيعتريهم اليأس، وتنقطع منهم الآمال، ويلوم بعضهم بعضا، ويلعن بعضهم بعضا، ويقف إبليس فيهم خطيبا ولائما، ثم يقول لهم: لا نجاة اليوم لي ولا لكم، أنا أغويت وأنتم تبعتم، ما أرغمتكم على شيء ولكني فقط وسوست لكم، جاءكم من الله كتاب ورسول ودعاة إلى دينه فتمردتم وعصيتم.

ينادون أهل الجنة قائلين، أفيضوا علينا من الماء ولو قطرة،ومن الفاكهة ولو ثمرة، ومن اللحم ولو ذرة، فيرد عليهم أهلوهم في الجنة وأقرباؤهم: لا نستطيع ذلك لأن الله حرم كل ذلك على الكافرين. فيعذبون في نار أشد من نار الدنيا مائة مرة، سوداء مظلمة، لا يقضى عليهم فيها ولا يخفف عنهم من عذابها، خسروا فيها أنفسهم وأهليهم، وعاشوا في عذاب مقيم. أعاذنا الله جميعا وإليكم تفصيل ما أجمل من رحلة الخلود.

تفصيل الأحداث

أخطر ساعة في رحلة الإنسان

ساعة الموت

لا يتبادَرَنَّ إلى ذهن القارىء المعنى العامي لكلمات « خطير وخطورة وأخطر » بمعنى الشر والضرر والمصيبة فإن هذا المراد أحد معاني الكلمة، ولكنه عند عامة الناس لا يعرفون غيره مع أن من معاني هذه الكلمات أيضا القدْر والمنزلة والعِظم والمكانة، وهذا ما أردته، فقصدي من أخطر ساعة هو: أعظم وأهم ساعة يمر بها الإنسان في حياته،.. وكلمة « ساعة » يراد بها في اللغة الوقت الذي حدث فيه شيء ما، فيقال: ساعة حضورك، وساعة قراءتك، وساعة قمت أو قعدت أو أكلت بمعنى: وقت وزمن حدوث ذلك المذكور.

فالمراد باخطر ساعة: أهم وقت وزمن يمر به الإنسان في حياته كلها التي تبدأ من وجوده حيا في بطن أمه وتنتهي بحكم العلي الأعلى يوم القيامة على أهل الإيمان والصلاح بالنعيم الأبدي، وعلى أهل الكفر والفساد بالشقاء الأبدي.

وإنما كانت ساعة الموت أخطر ساعة في رحلة الإنسان الطويلة إلى ما لا نهاية للأسباب الآتية.

١ - لأنها بداية الانتقال من عالم الشهادة المحسوس الذي عرفه الإنسان وألفه إلى عالم كان غيبا في الحياة الأولى ويصير محسوسا في الحياة الجديدة التي تبدأ بالموت الجسدي ليحدث البعث الروحي، وفي هذه الرحلة الروحية يرى

الإنسان لأول مرة عوالم تختلف كل الاختلاف عن عوالم الدنيا التي عايشها وائتلف أو تنافر معها.

إن العالم الأخروي يختلف اختلافا كليا عن العالم الدنيوي في كل شيء. إنه سوف يلتقي بالملائكة، ويعيش بروحه في نعيم الله أو عذابه، أما جسمه فإنه يصير جيفة ثم ترابا، وله لقاء مع منكر ونكير، وانتظار للنفخ في الصور فبعث ثم حشر، ثم سؤال وحساب، ثم ميزان وكتب سطرت فيها نياته وأعماله وأقواله، ثم لقاء مع الله ووقوف بين يديه لسماع الحكم الإلهي الخ الخ الخ...

٢- في هذه الساعة ساعة الموت يرى ملائكة الله ويسمع منهم الكلمة الفاصلة النازلة إليه من عند الله تعالى، وهي الكلمة التي فيها نعيمه الأبدي أو شقاؤه الأبدي، ولو كان يملك العالم كله في هذه الساعة وقبل منه أن يضحي به، أو كان يملك ملء الأرض والسماء ذهبا وقبل منه أن يتصدق به في سبيل أن يسمع كلمة الرضى والعفو من الله في هذه الساعة لفعل وكان في منتهى السعادة وفي هذا يقول الله تعالى:

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ الزمر ٤٧

٣- حين يرى الإنسان ملائكة الموت ويوقن بأنه منقول إلى العالم الآخر، ومجازي على ما قدم من خير أو شر ولو كان مثقال ذرة فإنه يتمنى لو أجل دقيقة واحدة وسمح له بالإيمان وبالأعمال التي يرى فيها الخلاص والنجاة من هلاك محقق وشقاء أبدي، ولكن هذا التأجيل مستحيل في هذه الساعة، ولا ينفع رجاء، ولا تفيد استغاثة، ولا تستطيع أية قوة في العالم أن تؤجل هذه اللحظات أو أن تمكن الميت من فعل أو قول أي شيء ينفعه.. قضي الأمر - وجاءت رسل الله - وطوي كتاب العمل إلى الأبد، وبدأت ساعات الحساب والجزاء وفي ذلك يقول تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾

المؤمنون ٩٩ - ١٠٠

المراد بالبرزخ: القبر فهم في قبورهم يعذبون فيها إلى يوم البعث وهو يوم القيامة، والبرزخ في اللغة هو الحاجز، وسمي القبر حاجزا لأنه حجز الميت عن الدنيا فلا يحيا حياتها، وعن الآخرة فلا قدرة له على معرفة نهايته ومصيره فيها.

٤ - في هذه الساعة تنزل عليه ملائكة بهيئة تناسب حاله من إيمان أو كفر، ومن صلاح أو فساد وتخبره بالخبر الإلهي الفاصل، وتلقي على مسامعه الكلمة التي يعلم منها إن كان مرضيا عنه من الله أو مغضوبا عليه، وإن كان من أهل الجنة أو من أهل النار، وإن كانت الملائكة حملت إليه رحمة الله أو لعنته الأبدية، يا لها من ساعة فاصلة تحدد مصيرا لا ينتهي ومستقبلا أبديا لا يعتريه فناء.

٥ - كل ما جمعه الإنسان وكد فيه وسهر من أجله وقضى عمره في تخزينه وكنزه، وكل ما زرعه من حدائق غناء وبساتين فيحاء، وكل ما شيَّده من دور وما زخرفه من قصور، وكل من يحيط به من أهل وخدم وأتباع، كل ذلك ينظر إليه الإنسان حين تأتيه ملائكة الموت بحسرة وفزع، ويأس وجزع، فإنه مفارق للجميع، ومحروم حرمانا مطلقا من كل ما جمع فأوعى، وكنز فأبقى، ومن أي زينة للحياة الدنيا. إن شيئا واحدا هو الذي يبحث عنه هذا الإنسان في لحظة موته ويوقن أن فيها نجاته وسعادته وهو «العمل الصالح» فإن كان قدمه فلا يضره ما ترك، وإن كان لم يقدم صالحا فهو القائل:

﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ۝ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ﴾

الحاقة ٢٧ - ٢٩

٦- تزداد حسرة الميت ومصيبته وفجيعته حين يكون منكرا للحياة الآخرة أو مغرورا بسكله المضاد لدين الله، أو القائم على البدع والخرافات التي أبعدته عن العقيدة السليمة والطريق السوي الموافق للكتاب والسنة... إن مثل هذا النوع لم يكن يتوقع حياة أخرى بعد الموت أو كان يتوقعها ولكنه لغروره ظن أنه على الحق وأن غيره على باطل. اعتمادا على أوهام وخيالات، أو اتباعا للضالين والمغضوب عليهم بدون نظر أو بحث، أو تشبعا بهواه واستسلاما لشياطين الإنس والجن، وهو في كل ذلك رافض لكتاب الله وحكمته.

فإذا جاءه الموت كشفت له الحقيقة، ورأى عكس ما قدر، وفوجيء بأن جميع مقاييسه كانت مغلوطة، وجميع حقائقه كانت باطلا وزيفا، وفي هؤلاء وأمثالهم يقول تعالى:

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا الكهف ١٠٣- ١٠٤

ويقول:

وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ

سورة الزمر ٤٧

٧- وأخيرا وليس آخرا أقول: إن ساعة الموت فاصلة بين عمر مهما طال في عصرنا فلن يزيد عن مائة وخمسين سنة وهو يعتبر صفرا إذا قيس بآلاف السنين في القبر، وخمسين ألف سنة في الموقف، ثم إلى ما لا نهاية في نعيم لا يوصف أو في شقاء لا يتصور.

ففي هذا العمر القصير جدا يحدد المصير بالنسبة للمستقبل اللانهائي، وليس في عمر الدنيا كله يحدد مصير المستقبل، بل في سنين معدودة منه، وقد تكون

أياما ، وقد تكون ساعة واحدة أو أقل ، يتوب الانسان فيها ويندم على ذنوبه ، ويضرع إلى ربه ، ويتخلص من مظالمه فينال رضاء الله تعالى عند موته ويطمئن على مستقبله.

يا لها من سعادة في متناول الجميع ، ومن مستقبل لا نهائي يحدد الإنسان مصيره فيه في دقائق ، وصدق الله القائل:

سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ الأعلى ١٠ - ١٣

لذلك كله ولغيره مما لم أذكره كانت ساعة الموت أخطر ساعة في رحلة الإنسان.

ساعة الموت والحقائق المذهلة

من الذي يقبض الأرواح؟

قال تعالى:

وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ السجدة ١٠ - ١١

قال ابن كثير في تفسير هاتين الآيتين: يقول تعالى مخبرا عن المشركين في استبعادهم المعاد حيث قالوا: «أئذا ضللنا في الأرض» أي تمزقت أجسامنا وتفرقت في أجزاء الأرض وذهبت «أئنا لفي خلق جديد؟» أي أئنا لنعود بعد تلك الحال؟ يستبعدون ذلك ، وهذا إنما هو بعيد بالنسبة إلى قُدراتهم

العاجزة لا بالنسبة إلى قدرة الله الذي بدأهم من العدم، والذي إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، ولهذا قال تعالى: «**بل هم بلقاء ربهم كافرون**» ثم قال تعالى: «**قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم**» الظاهر من هذه الآية أن ملك الموت شخص معين من الملائكة كما هو المتبادر إلى الذهن من حديث البراء بن عازب الذي قال فيه رسول الله ﷺ

«**ثم يجيء مَلَكُ الموت حتى يجلسَ عند رأسه**»

وقد سمي في بعض الآثار بِعزْرَائيل وهو المشهور، قاله قتادة وغير واحد، وله أعوان، وهكذا ورد في الحديث أن أعوانه ينتزعون الأرواح من سائر الجسد حتى إذا بلغت الحلقوم تناد لها ملك الموت قال مجاهد: **حُوِيَتْ له الأرض فجُعِلت مثل الطَّسْتِ يتناول منها متى يشاء** ورواه زهير بن محمد عن النبي ﷺ مرسلا وقاله ابن عباس، رضي الله عنهما ا هـ منه

وقال تعالى:

وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ الأنعام ٦١ - ٦٢

ذكرت الآية الأولى أن الموت إذا حان وقته تولت رسل الله القيام بقبض روح المتوفَّى مع أن الآية السابقة ذكرت أن الذي يتوفى الأنفس هو ملك الموت فكيف التوفيق بين الآيتين؟ هناك جوابان: الجواب الأول أن الملائكة الذين هم أعوان ملك الموت ينزعون الأرواح وملك الموت الذي هو رئيسهم يقبضها إذا بلغت الحلقوم كما سبق. الثاني: أن أعوان ملك الموت يقومون بقبض الأرواح بأمر ملك الموت.

إن للموت لسكرات ما أشدها!!!

لو نجا أحد من سكرات الموت وشدته لنجا منه الحبيب محمد ﷺ وهو حبيب الله وخليله وصاحب اللواء المعقود والمقام المحمود، والقرب من الله الذي ما ناله أحد مثله، ومع ذلك حين حضره الموت كان ﷺ «**عِنْدَهُ قَدَحٌ مِنْ ماءٍ فجعَل يَدَه في الماء ثُمّ يَمْسَحُ بها وجهَه ويقول: «اللَّهُمَّ هَوِّنْ عليَّ سَكَراتِ الْمَوْتِ**» متفق عليه.

وحين رأت فاطمة ابْنَتَهُ رضي الله عنها ما نزل به ﷺ من الشدة كانت تقول: «**وَاكَرْبَاهُ لِكَرْبِكَ يَا أَبَتَاه! وهو يقول: «لاَ كَرْبَ عَلَى أَبِيكِ بَعْدَ الْيَوْمِ**» البخاري.

وهذه الشدة رحمة للمؤمن إذ بها تغفر ذنوبه أو ترفع درجاته عند الله، وأما الكافر فهي عذاب له لا أمل من ورائه؛ لأنه محروم من رحمة الله تعالى.

فعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: إذا بقي على المؤمن من درجاته شيء ولم يبلغه بعمله شُدِّدَ عليه الموتُ ليَبْلغ بسكراته وكربه درجته في الجنة وحين يموت إنسان فجأة بدون سكرات فإنه إن كان صالحا كان ذلك راحة له، وإن كان فاجرا كان وبالا عليه، وفي ذلك قال ﷺ:

«**مَوْتُ الْفَجْأَةِ رَاحَةٌ لِلْمُؤْمِنِ وَأَسَفٌ عَلَى الْفَاجِرِ**» رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح: كذا قال العراقي.

ومما يهون على المؤمن سكرات الموت رؤيته ملائكة الموت في صورة حسنة وتبشيرهم إياه بالمغفرة والجنة ورضوان الله تعالى فتنسيه الفرحة ألم السكرات.

ومما يزيد سكرات الموت شدة على الكافر، رؤيته ملائكة الموت في صورة مزعجة مفزعة وسماعه منهم سخط الله عليه وما أعده له من عذاب أبدي وإليك الأدلة على ذلك.

أفراح المؤمنين عند موتهم:

إن الفرحة التي يجدها المؤمن الصالح عند موته لا يعد لها شيء على الإطلاق، إنها فرحة بالسعادة الأبدية التي ينشدها كل من خلقه الله تعالى. إنها الشعور بأن جميع الآمال الحلوة قد تحقق. وأنه تخلص من الآلام والمتاعب إلى الأبد. وأنه نال أمنية العقل والقلب والروح والبدن. وأنه في ساعة واحدة صار بفضل الله أعظم وأفضل من أي ملك من ملوك الدنيا. وأنه صار بفضل الله يعبر الزمان والمكان ويتخطى جميع العوالم الفانية بسرعة مذهلة، فإن حياته في القبر مهما طالت فلن يشعر بأنها أطول من صلاة ظهر أو عصر، وكذلك يمر عليه يوم القيامة الذي طوله على الكفار خمسون ألف سنة. إنه قد تحقق له سماع كلمة الرضى والعفو من الله. وتحقق له النعيم المقيم في الجنة وزيادة رؤية. الله وتحقق له اللقاء مع النبيين والصديقين والشهداء وجميع أحباب الله. يا لها من ساعة في حياة المؤمن ورحلته كل شيء في سبيلها يهون. اللهم اجعلنا من أهلها وتقبل منا إنك أنت السميع العليم. اقرأ هذه البشارات في قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ۝ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ الفجر ٢٧ - ٣٠

المطمئنة: الساكنة الثابتة على الحق.

ارجعي إلى ربك: إلى ثوابه وقربه وما أعده لأوليائه. راضية مرضية: راضية بثواب الله مرضيا عنك من الله. فادخلي في عبادي: انضمي إلى جملة عبادي المقربين وعيشي معهم في رحمة الله إلى يوم البعث. وادخلي جنتي: جنة البرزخ قبل البعث وجنة المأوى بعد البعث كما سيأتي.

قال ابن كثير: وهذا يقال لها عند الاحتضار وفي يوم القيامة أيضاً.

قال ابن عباس: نزلت هذه الآيات في عثمان رضي الله عنه. وعن بريدة بن

الحصيب أنها نزلت في حمزة بن عبد المطلب. وروى ابن أبي حاتم بسنده عن سعيد بن جبير قال: مات ابن عباس بالطائف فجاء طير لم يُرَ على خِلقته فدخل نعشه ثم لم يُرَ خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآيات على شفير القبر لا يُدْرى من تلاها: «يأيتها النفس الخ...» وروى هذه القصة الطبراني بسند آخر. وذكر الحافظ ابن المنذر الهروى بسنده عن قُباث بن رزين أبي هاشم قال: أسِرتُ في بلاد الروم، فجمعنا الملك وعرض علينا دِينهُ على أن من امتنع ضُرِبت عنقه فارتد ثلاثة وجاء الرابع فامتنع فضُرِبت عنقه وألقي رأسه في نهر هناك فرسب في الماء ثم طفا على وجهه الماء ونظر إلى أولئك الثلاثة فقال: يا فلان ويا فلان ويا فلان يناديهم بأسمائهم، قال الله تعالى:

«يأيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك الخ الآيات)

ثم غاص في الماء قال: فكادت النصارى أن يسلموا، ورُفع سرير الملك، ورجع أولئك الثلاثة إلى الإسلام، قال: وجاء الفداء من عند الخليفة أبي جعفر المنصور فخلصنا ا هـ من ابن كثير باختصار جـ ٤ ص ٥١٠

وقال تعالى:

ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ النحل ٣٢

قال ابن كثير: اخبر تعالى عن حال المتقين عند الاحتضار أنهم طيبون، أي مخلصون من الشرك والدنس وكل سوء، وأن الملائكة تسلم عليهم وتبشرهم بالجنة ا هـ.

وقال تعالى:

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ

أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ فصلت ٣٠ - ٣٢

هكذا تتنزل ملائكة الرحمة بالبشرى على الذين آمنوا بالله ثم استقاموا على هذا الإيمان حتى الموت.. تتنزل عليهم عند موتهم فتقول لهم بأمر الله «لا تخافوا مما أنتم قادمون عليه في القبر وعند البعث والحشر، ولا تحزنوا على ما خلّفتم من أمر الدنيا من مال وولد وأهل فإنا نُخلفكم فيه، وأبشروا بأن الله رضي عنكم وكتب لكم الجنة. وهذه البشرى عند الموت أمَّنت للمؤمن مستقبله الزاهر السعيد.وأمنت له الحفظ والزعاية يأمر الله تعالى في أهله وماله وولده وكل ما خلفه.

فهل بقي شيء تتوق إليه نفس إنسان؟

وهل توجد أي شركة عالمية، أو أي سلطة أرضية تستطيع أن تُؤَمِّن لأي إنسان مستقبل ما بعد الموت على المدى اللانهائي أو على أي مدى؟؟؟

وهل توجد أي شركة أو أي سلطة تستطيع أن تؤمن لميت على أهله وأولاده وأمواله؟ وأن يكون هذا التأمين على مدى بعيد جدا؟...الجواب: لا يستطيع ذلك ولا يقدر عليه إلا الله وحده، وكفى بالله وكيلا وحفيظا.

اقرأ تأكيد هذا التأمين في قول الملائكة: إننا بأمر الله تولينا أموركم في الدنيا بحفظكم ومساعدتكم، وعلينا أن نتولاكم من ساعة الموت إلى أن نأخذ بأيديكم وندخلكم الجنة، فنحن أعوان لكم في القبر، وفي الحشر، وعلى الصراط حتى تسكنوا القصور التي أعدت لكم في الجنة وتسمعوا كلمة الرضى من الله ربكم، وتنالوا كل ما تشتهون..هذا هو مقتضى هذه الآيات.وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« مَنْ أَحبَّ لقاءَ اللهِ أحب اللهُ لقاءَهُ، ومن كَرِهَ لقاءَ الله كرهَ اللهُ لقاءَهُ، قلنا يا رسولَ اللهِ، كُلنا يَكْرَهُ الموتَ، قال: ليسَ ذلِكَ كراهِيَةَ المَوْت، ولكن المؤمِنَ إذا حُضِرَ (حضرته ملائكة الموت لقبض روحه) جاءَهُ البَشِير من اللهِ، فليسَ شيءٌ أحبَّ إليهِ من أن يكونَ قد لقي اللهَ، فأحبَّ اللهُ لقاءَهُ، وان الفاجِرَ أو الكافِرَ إذا حُضِرَ جاءهُ ما هُو صَائِرٌ إلَيْهِ من الشَّرِّ أو ما يَلْقَى مِنَ الشَّرِّ (بأن تخبره الملائكة بغضب الله عليه) فكَرِهَ لِقَاءَ اللهِ فكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ » أحمد ورواته رواة الصحيح والنسائي بإسناد جيد، وروى مثله البخاري ومسلم والترمذي عن عائشة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

« إن المؤمِنَ إذا قُبِضَ (أي حضر وقت قبض روحه) أتَتْه ملائكةُ الرحمةِ بحَرِيرَةٍ بيضاءَ فيقولون أخْرُجي إلى رَوْحِ الله (نعيمه) فتخرجُ كأطْيَبِ رِيح المِسْكِ حتى إنه ليُنَاوِلُهُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً فَيشمُّونَه (تشم الملائكة الروح) حتى يأْتوا بِهِ بَابَ السماءِ، فيقولون: (أي أهل السماء) ما هذِهِ الريحُ الطيبةُ التي جاءَتْ من الأَرْضِ؟ ولا يأتون سَماء إلا قالوا مثل ذَلِكَ حتى يأتوا به أرْواحَ المؤمِنِينَ، فَلَهُمْ أشَدُّ فرحاً به من أهْلِ الغائب بِغَائِبهم، فيقولون: ما فَعلَ فُلاَنٌ؟ فيقولون؟ دَعُوه حتى يَسْتَريحَ فإنَه كان في غمِّ الدُّنْيَا (هذا رد الملائكة) فيقول: (أي المؤمن) قَدْ ماتَ أما أَتَاكُمْ؟ فيقولون: ذُهِبَ بِهِ إلى امِّهِ الهَاوِيةُ. وأما الكافر، فيأْتيهِ ملائكةُ العَذابِ الخ رواه بن حبان في صحيحه وهو عند ابن ماجه بنحوه بإسناد صحيح. وفي الصحيحين من حديث عُبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال:

« إن المؤمنَ إذا حَضَرَهُ الموتُ بُشِّرَ بِرضْوانِ اللهِ وكَرَامَتِه، وإن الكافِرَ إذا حُضِرَ بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وعُقُوبَتِهِ.. الحديث »

أحزان الكافرين والمنافقين عند الموت:

كل ما قيل في أفراح المؤمنين عند الموت يقال عكسه في أحزان الكافرين عنده، إن هذه الساعة في رحلتهم ساعة فاصلة بين دنيا نعموا بها قليلا نعيما تافها لا قيمة له، وبين أخرى ليس فيها بالنسبة لهم إلا الشقاء الأبدي والعذاب اللانهائي، في غضب الله تعالى وسخطه، وفي نار أعدت لهم خصيصا لا يقضى عليهم فيها فيستريحوا ولا يخفف عنهم من عذابها ساعة فيستروحوا. وكل ذلك يبدأ من ساعة الموت.

قال تعالى:

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ الأنعام ٩٣- ٩٤

الظالمون: المراد بهم هنا الكافرون غمرات الموت: سكراته وشدائده. باسطو أيديهم: أي بالضرب في وجوههم وأدبارهم كما في الآية الأخرى. تجزون عذاب الهون: تهانون غاية الإهانة بالعذاب النازل بكم. ما خولناكم وراء ظهوركم: ما أعطيناكم من مال وولد في الدنيا وحرمتم منه عند الموت.

وقال تعالى:

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ الأنفال ٥٠- ٥١

قال الضحاك وأبو صالح في ضرب الملائكة لهم وفي أحوالهم عند الموت: إن

الكافر إذا احتُضِرَ بشرته الملائكة بالعذاب والنَّكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم وغضب العلي العظيم فتَفرَّق روحه في جسده وتعصي وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم: أخرِجوا أنفسكم الخ.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

« إن المَيتَ تَحضُرُهُ الملائكَةُ، فإن كانَ الرجلُ الصَّالِحُ قالوا اخْرُجي أيَّتُها النفْسُ الطيبةُ كانَتْ في الجسَدِ الطيب، اخرجي حَمِيدَةً وأبْشِري بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وربٍّ غَيْر غَضْبَان، قال: فلا يزال يقال لها ذلك حتى تَخْرُجَ، ثم يُعْرَجُ بها إلى السماءِ فَيُسْتَفْتَحُ لَهَا، فيُقال: مَنْ هذا؟ فيُقال فُلاَنٌ، فيقُولونَ مَرْحَباً بالرُّوحِ الطيِّبَةِ كانَتْ في الجَسَدِ الطيِّب، ادْخُلِي حَمِيدَةً وأبْشري بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وربٍّ غَيْرِ غَضْبَان، فلا يَزَالُ يُقالُ لها ذَلِكَ حتى يُنْتَهىٰ بها إلى السماءِ التي فيها اللهُ عَز وَجل..

وإذا كان الرجلُ السوءُ قالوا اخرجي أيتها النفسُ الخَبيثَةُ كانتْ في الجسدِ الخَبيثِ، اخرجي ذَميمَةً وأَبْشِري لِحَمِيمٍ (ماء مغلي) وغسَّاقٍ (صديد أهل النار) وآخَرَ من شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (أنواع من شكلٍ واحد) فلا يزال يقال لها ذَلكَ حتى تَخْرُجَ، ثم يُعْرَجُ بها إلى السماءِ فيُسْتَفْتَحُ لَهَا فيقالُ مَنْ هذا؟ فيقالُ فلانٌ، فيقالُ: لا مَرْحَباً بالنَّفْسِ الخَبِيثَةِ كانَتْ في الجَسَدِ الخَبِيثِ، ارْجِعي ذَمِيمَةً فإنَّهُ لا تُفَتَّحُ لَكِ أبوابُ السماءِ، فيُرْسَلُ من السَّماءِ ثم يَصِيرُ إلى القَبْرِ الخ، » وسيأتي مزيد لذلك في نعيم القبر وعذابه، والحديث السابق رواه الإمام أحمد ورواه النسائي وابن ماجه بنحوه وإسناده صحيح.

ومما يدل على ما يصير إليه الإنسان من نعيم أو عذاب بعد خروج روحه ما جاء في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إذَا وُضِعَتْ الْجَنَازَةُ (أي وضع الميت في النعش) واحْتَمَلَها الرجالُ على أعْنَاقِهِم فإنْ كانتْ صالحةً قالت: قدموني، وإن كانَتْ غيرَ صالحةٍ قالت: يا وَيلها أيْنَ يذْهَبُونَ بها، يَسْمَع صوْتَها كلُّ شيءٍ إلا الإنسانُ، ولو سَمِعَه لَصُعِق ».

ماذا نلاقي في قبورنا؟

يجب الإيمان بأن حياتنا الحقيقية التي تتكشف فيها الأمور الغيبية على ما هي عليه، تبدأ عند بداية الرحلة بالموت ويقبض الروح وتبشيرها بالخير، أو إنذارها بالشر، وتمتد حياة النعيم أو العذاب في القبر بعد الموت سواء كان النعيم أو العذاب للروح والجسد معا أو للروح فقط كما سيأتي إيضاحه في موضعه إن شاء الله، فالقبر، أو البرزخ أول مرحلة من مراحل رحلة الخلود، فإن كان الإنسان صالحا فهو له روضة من رياض الجنة، وما بعده يكون خيراً منه وأجمل وأكثر راحة ورحمة وسعادة وإن كان كافراً أو منافقا فهو له حفرة من حفر النار، وما يأتي بعده من مراحل يكون شرا منه وأسوأ وأشد عذابا وشقاء، أعاذنا الله ونجانا.

لذلك كان عثمان رضي الله عنه إذا وَقَفَ على قَبْرٍ بَكى حتى يَبُلَّ لِحْيَتَه، فقِيلَ له: أتَذكُرُ الجنةَ والنارَ فَلاَ تَبْكِي وتذكرُ الْقَبرَ فتَبْكي؟ فقال: سمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «القَبْرُ أوَّلُ منزِلٍ من مَنَـازِلِ الآخِرَةِ، فإنْ نجَا مِنْـه فَمَـا بعْـدَه أيسَر منـهُ، وإن لَمْ يَنْـجُ منـهُ فما بَعْـدَه أشَدُّ مِنْه» رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه وابن ماجه. وكان ﷺ إذا فَرَغَ من دَفْنِ الميتِ وَقَفَ على قَبْرِه وقال: «اسْتَغْفِروا لِأَخيكُم واسْألوا لَهُ التثبِيْتَ فإنهُ الآنَ يُسْأَلُ» أخرجه أبو داود والبزار والبيهقي والدارقطني والحاكم وصححه. وقال ﷺ: «لَوْلا أنْ لا تَدَافَنَوا لدعَوْت اللهَ أن يُسْمِعَكم مِن عَذَابِ الْقَبَر» أحمد ومسلم والنسائي.

وأحداث القبر وأحواله فصلتها الأحاديث الصحيحة تفصيلاً وافياً فعن

أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن العبدَ إذا وُضِعَ في قَبْره وتَوَلَّى عنهُ أصْحابُهُ- حتى إنه لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهم إذَا انصَرَفوُا- أَتَاه مَلَكانِ فيُقْعِدانِه فيقولان له: ما كُنتَ تَقولُ في هذا الرجل، لمحمد ﷺ؟ فأما المؤمِنُ فَيَقولُ: أَشْهَدُ أنه عبْدُ اللهِ وَرَسُولُه. فيُقَالُ لَهُ: انْظُر مَقْعَدَكَ من النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ به مَقْعَداً مِنَ الجَنَّةِ، فَيَراهُما جَمِيعاً ويُفْسَحُ له مِن قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذرَاعاً ويُملأُ عَلَيْه خُضَرا إلىٰ يَوْمِ يُبْعَثون، وأما الكافِرُ أو المنافقُ فيُقال لَهُ: مَا كنتَ تقولُ في هذا الرجل؟ فيقول: لا أَدْري إني كنتُ أقولُ ما يقولُ النَّاس. فيُقَالُ لَهُ: لا دَرَيْتَ ولاَ تَلَيْتَ، وَيُضْرَبُ بِمَطارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يسمعُها مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ، ويُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حتى تَخْتَلِفَ أَضْلاعُه» أحمد والشيخان وغيرهما واللفظ للبخاري. وأوفى حديث ذكر حادث الموت وحالة الميت في القبر، وحالة النعيم والعذاب فيه بتفصيل لم يأت في غيره من الأحاديث هو حديث البراء بن عازب ويشهد لما جاء فيه أحاديث كثيرة كل منها ذكر هذه الأحداث بتفصيل أقل، وبشرح أقصر، وقد مر بعضها، وإليك حديث البراء بأكمله.

عن البراء بن عازب قال: خَرَجْنا مع رسول الله ﷺ في جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصارِ، فجلَسَ رسولُ اللهِ ﷺ علىٰ قَبْرِهِ مُنَكِّساً رَأْسَهُ، ثُم قال: «اللهمَّ إني أعوذُ بكَ من عَذابِ القَبْر، ثلاثا، ثم قال: «إن المؤمنَ إذَا كانَ في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ مِنَ الآخِرَةِ نَزَلَ إليهِ مَلائكةٌ مِنَ السماءِ بيضُ الوُجُوهِ،كأنَّ وجُوهَهُمْ الشَمسُ، مَعَهم كفنٌ مِنْ أكفانِ الجنةِ، وَحَنُوطٌ من حَنُوطِ الجنةِ (طيب يُطَيَّب به الميت) حتى يَجْلِسوا مِنهُ مدَّ البَصَر، ويَجيءُ مَلَكُ الموتِ عَلَيْه السلامُ حتى يَجْلِسَ عندَ رَأْسِهِ فيقولُ: أَيَّتُها النفسُ الطيبةُ اخْرُجي إلى مَغْفِرَةٍ من اللهِ ورِضْوانٍ، قال: فتَخْرُجُ فتَسيلُ كما تَسِيلُ القَطْرَةُ مِنْ في السِّقاءِ (فم القربة) فيأخُذُهَا، فإذَا أَخَذَها لَمْ يَدعُوهَا في يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حتى يأخُذوهَا فيجْعلوها في ذلك الكَفَنِ وفي ذلك الحَنُوطِ،

ويَخْرجُ منه (من روحه) كأطيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدت علىٰ وَجْهِ الأرْضِ، قال: فيصْعَدُونَ بِها فلا يمرون على مَلإٍ مِنَ الملائكَةِ إلا قالوا: مَا هَذَا الروحُ الطيبُ؟ فيقولون: فلانُ ابنُ فلانٍ بأحْسَنِ أَسْمائِه التي كانَ يُسَمَّى بِها في الدنْيَا حتى ينْتَهُوا بِهَا إلى السماءِ الدنْيَا، فيَسْتَفْتِحونَ له، فيُفْتَحُ لَهُ، فيُشَيِّعُه مِنْ كُلِّ سَماءٍ مُقَرَّبُوهَا إلى السماءِ التي تليها حتى يُنْتَهَىٰ بها إلى السماءِ السابعةِ، فيقولُ الله عز وجَل:

«اكتُبُوا كتابَ عَبْدِي في عِلِّيِّينَ وأعيدوهُ إلى الأرضِ في جَسَدِه» فيأتيهِ مَلَكانِ (أي في قبره) فيُجْلسَانِه فيقولاَنِ: «من ربُّك»؟ فيقول: ربيَ اللهُ. فيقولان: ما دينُك؟ فيقولُ: ديني الإسلامُ، فيقولان: ما هذا الرجلُ الذي بُعِثَ فِيكم؟ فيقول: هو رسولُ اللهِ، فيقولان: ما يُدْرِيكَ؟ فَيقول: قرأت كتابَ اللهِ وآمنتُ به وصدَّقْتُه، فينادي منادٍ من السَّماءِ: أنْ قَدْ صَدَقَ عبدي فأَفْرِشُوهُ من الجنة، وافْتَحوا لَه باباً إلى الجنةِ. قال: فَيأتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا (نعيمها) وطيبِها، ويُفْسَحُ لَهُ في قَبْرِه مَدَّ بَصَرِه، قال: ويَأْتِيهِ رجلٌ حَسَنُ الوَجْهِ، حَسَنُ الثيابِ طَيِّبُ الرِّيحِ فيقول: أَبْشِر بالذي يَسُرُّكَ، هذا يَوْمُكَ الذي كَنْتَ توُعَدُ، فيقولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فوجْهُكَ الوجْهُ الحَسَنُ يَجيءُ بِالخَيْرِ؟ فيقول: أنا عَمَلُكَ الصالحُ، فيقول: ربِّ أقِمِ الساعَةَ، ربِّ أقم الساعةَ حتى أَرْجعَ إِلى أَهْلي وَمَالي.

وإن العبدَ الكافِرَ إذا كانَ في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ مِنَ الآخِرَةِ نَزَلَ إليهِ ملائكةٌ سودُ الوُجوهِ، مَعَهم المُسُوحُ (الخشن من الثياب) فيجلسون مِنْه مدَّ البَصَرِ، ثم يجيءُ مَلَكُ الموتِ، حتى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأسِه فيقول: أَيَّتُها النفسُ الخبيثَةُ اخرجي إلى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وغضبٍ، فَتَفرَّقُ في جسَدِهِ، فيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُودُ من الصُّوفِ المبلولِ (السفود: الحديدة ذات الشوكات) فيأخُذُهَا، فإذَا أَخذَهَا لم يدَعُوها في يَدِهِ طَرْفَةَ عينٍ حَتَّى يَجْعلوها في تِلكَ المُسُوحِ، وتَخرجُ مِنْهَا كأنْتَن جِيفَةٍ وُجِدَتْ علَىٰ وَجهِ الأرضِ، فيَصْعَدُونَ بها

فَلاَ يَمُرونَ بِها عَلى مَلأٍ مِنَ المَلائكةِ إلا قالوا: مَا هٰذه الريحُ الخَبيثةُ؟ فيقولون: فلانُ ابنُ فلانٍ بأَقبحِ أسْمَائه التي كانَ يُسَمى بها في الدنيا حتى يُنْتَهى بِها إلى السَّماءِ الدُّنْيا فيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلاَ يُفْتَحُ لَهُ، ثم قَرأَ رسولُ الله ﷺ: «لاَ تُفْتَحُ لَهُمْ أَبوابُ السَّماءِ وَلاَ يَدْخُلونَ الجنةَ حَتَّى يَلِجَ الجملُ في سَمِّ الخِيَاطِ» (ثقب الإبرة) فيقولُ الله عز وجل: اكتُبوا كِتَابَهُ في سِجِّينٍ في الأَرْضِ السفلَى، ثم تُطرحُ رُوحُه طَرْحاً، ثم قرأ: «وَمَنْ يُشْرِكُ باللهِ فَكَأَنما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أوْ تَهْوى بِهِ الرِّيحُ في مكانٍ سحيقٍ» فتُعَادُ رُوحه في جَسَده ويأتيهِ مَلَكانِ فيُجْلسانِه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هَاهْ هَاهْ لا أدري (يقول ذلك توجعا وتحسرا). قال: فيقولان له: ما دينُك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. قال: فيقولان له: ما هـذا الرجلُ الذي بُعِثَ فيكُم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فينَادِي منادٍ من السماء: أَنْ كَذَبَ فَأَفْرِشُوه مِنَ النَّارِ، وافتَحُوا لَهُ باباً إلى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ من حَرِّها وسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فيه أضْلاَعُهُ، ويأتيهِ رَجُلٌ قَبيحُ الوجْهِ قَبيحُ الثِّيابِ مُنْتَنُ الرِّيح فيقول: أَبْشِرْ بالذي يسوءُكَ، هذا يَوْمُك الذي كنتَ تُوعَد، فيقول: من أنتَ فوجْهُكَ الوجْهُ القَبِيحُ يجيءُ بالشر: فيقول: أنا عَمُلكُ الخبيثُ، فيقول: ربِّ لاَ تُقِمِ الساعةَ» رواه المنذري في الترغيب والترهيب جـ٤ ص ٣٦٦ وقال: قال الحافظ: هذا الحديث حديث حسن ورواته محتج بهم في الصحيح.

وقال ابن القيم في كتابه «الروح» ص ٧٠: هذا حديث ثابت مشهور مستفيض صححه جماعة من الحفاظ، ولا نعلم أحداً من أئمة الحديث طعن فيه، بل رووه في كتبهم وتلقوه بالقبول وجعلوه أصلا من أصول الدين في عذاب القبر ونعيمه ومساءلة منكر ونكير وقبض الأرواح وصعودها الخ. إلى أن قال: وقد جمع الدارقطني طرقه في مصنف مفرد، وسائر الأحاديث الصحيحة صريحة في ذلك ا هـ.

وجاء في أحاديث صحيحة أن الملكين اللذين يسألان الميت في القبر أحدهما

يسمى مُنكراً والآخر يسمى نَكِيراً، وجاء أن أصواتهما كالرعد القاصف وأيضاً هما كالبرق الخاطف عندما يجيئان الكافر.

فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا قُبِرَ المَيْتُ أَوْ قال أحدُكُمْ أتاهُ مَلَكانِ أسْوَدَان أزْرَقَان يقال لأَحَدِهما المنكَرُ وللآخر النَّكير، (اسمان لهما وقيل وصفان) فيقولان: مَا كُنْتَ تَقُولُ في هذا الرجلِ؟ فيقولُ ما كان يقول: هو عبدُ اللهِ ورسولُه، أشهد أن لا إله إلا اللهُ وأشهدُ أن محمدا عَبْدُه ورسولُه، فيقولان: قد كنا نَعْلَم أنكَ تقولُ هذا، ثم يُفْسَحُ له في قَبْرِه سَبْعونَ ذِرَاعا في سَبْعِينَ، ثم يُنَوَّرُ لَهُ فيهِ، ثم يقالُ له: نَمْ. فيقولُ: أَرْجعُ إلى أهْلِي فأُخْبِرُهُمْ، فيقولان: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرْوسِ الذي لا يوقِظُهُ إلا أَحَبُّ أهْلِه إليه حتى يَبْعثَه اللهُ من مَضْجَعِهِ ذلكَ وإن كان منافقا قال: سمعت الناس يقولونَ قولا فقُلْتُ مثلَه. لا أدري، فيقولان: قدكُنا نعلَمُ أنك تقولُ ذلك، فَيُقَال للأرض: الْتَئِمي عليه فَتَلْتَئِمْ عَلَيْهِ فَتَخْتَلِفُ أضلاعُه، فلاَ يزالُ فيها مُعَذَّبا حتى يَبْعَثَه اللهُ من مَضْجَعِهِ ذلك» الترمذي وقال: حديث حسن وابن حبان في صحيحه.

وجاء في روايات أن الكافر يضرب بِمِرْزَبَّةٍ من حديد لو ضُرِب بها جبل لصار ترابا، وأن قبره يشتعل منها نارا ومثله المنافق «ومن شهد بالشهادتين على غير يقين يرجع إلى قلبه. ولكن كان يسمع الناس يقولون شيئاً فيقوله» هكذا قال حماد بن سلمة حين سئل: هل يعذب أحد من أهل القبلة هذا العذاب في قبره؟ فقال: نعم: من شهد الخ. كذا ذكر المنذري في الترغيب جـ٤ ص ٣٧٣ وهذا معناه أن الذي يشهد بالشهادتين تقليدا بدون أن تخالط بشاشة الإيمان قلبه، وبدون أن يكون لإسلامه وإيمانه الذي يدعيه أي أثر في نفسه وفي سلوكه وأعماله وأخلاقه فإنه يعذب في قبره العذاب المذكور لأن هذا النوع لا يعتبر مؤمنا حقا، فلا يستحق جزاء المؤمنين الصادقين، والله أعلم.

الموت للبدن لا للروح:

إتضح من الأيات والأحاديث الكثيرة التي ذكرنا بعضها أن الموت يكون للجسد فقط، وأن الروح لا تموت، بل تظل حية في نعيم أو في عذاب حتى تعود إلى البدن ليبعث الإنسان من جديد جسداً وروحاً، ويقف في أرض المحشر ثم يسمع حكم الله تعالى فيه، ثم يُساق إلى النعيم أو العذاب، ولا عبرة بقول من قال: إن الموت للبدن والروح معا بعد ظهور الأدلة التي لا تحتمل التأويل، قال ابن القيم: والصواب أن يقال: موت النفوس المذكورُ في قوله تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ ذَائقةُ الْمَوْتِ».

المراد منه مفارقة النفوس لأجسادها وخروجها منها، فهي ذائقة الموت بهذا القدر.

قال أبو عبد الله: وقال شيخنا أحمد بن عمر: إن الموت ليس بعدم محض، وإنما هو انتقال من حال إلى حال، ويدل على ذلك أن الشهداء بعد قتلهم وموتهم أحياءٌ عند ربهم يرزقون. فرحين مستبشرين، وإذا كان هذا في الشهداء كان الأنبياء بذلك أحق وأولى الخ.

صلة الروح بالبدن بعد الموت:

وثبت من الأحاديث الصحيحة الكثيرة أن الروح تعود إلى البدن عند السؤال في القبر، وقد قال بذلك جميع أهل السنة والحديث من سائر الطوائف ولم يشذ إلا ابن مرة وابن حزم حيث قالا: إن السؤال للروح بلا بدن، وهناك قول أكثر شذوذا وهو أن السؤال للبدن بدون روح.

قال شيخ: الإسلام ابن تيمية: الأحاديث الصحيحة المتواترة تدل على عود الروح إلى البدن وقت السؤال.

وسئل: هل عذاب القبر ونعيمه للنفس والبدن جميعا أم للنفس فقط أم للبدن فقط؟ فأجاب: بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس (الروح) وتعذب منفردة عن البدن، وتنعم وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين كما تكون على الروح منفردة عن البدن.

وقال ابن القيم: فلتعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحياناً، ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين ا هـ من كتاب الروح لابن القيم.

وذهب فريق من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم إلى القول بأن نعيم الأبدان وعذابها مع الأرواح لا يكون إلا يوم القيامة، أما في الحياة البرزخية

(حياة القبر قبل البعث الأكبر) فإن المنعم والمعذب هو الروح فقط كما سبق، وهو اختيار ابن حزم وابن مرة وطوائف من أهل الحديث وغيرهم.

ومما سبق تستطيع أن ترد على القول الشاذ الذي قال به بعض المعتزلة وغيرهم وهو أن القبر لا نعيم فيه ولا عذاب ولا سؤال، وبنوا رأيهم هذا على رأي آخر وهو: أن الروح لا تبقى بعد فراق البدن، وهؤلاء اعتبرهم ابن تيمية وغيره ضالين ولم يعتبرهم كافرين، لأنهم متأولون مخطئون، ولأنهم يؤمنون بالبعث والجزاء يوم القيامة، وقد عرفت أن الأدلة متوافرة ومتواترة في إثبات سؤال القبر ونعيمه وعذابه كما قال ابن تيمية وابن القيم وغيرهما من أهل السنة والجماعة.

حكم من لم يدفن في قبر

الأدلة الصحيحة أثبتت أن هناك حياة برزخية بعد الموت قبل البعث، وأثبتت أن الميت بعد موته يجازى على ما قدمت يداه في دنياه، فينعم أو يعذب، وأن هذه الحياة البرزخية تحدث فيها أمور لا يستطيع العقل أن يصل إلى فهمها على وجهها الحقيقي حتى يشاهدها، وذلك مثل اتساع القبر وضيقه، ووجود الخضرة والطيب والنور والاتساع إلى مد البصر في القبر بالنسبة للمنعمين، والضيق في القبر وامتلائه بالنار إلى آخره بالنسبة للمعذبين،وهذه كلها أمور برزخية غيبية علينا أن نؤمن بها كما وردت، وإن كانت عقولنا لم تستوعبها، لأن العقل إنما يستوعب ما جربه وما وصل إليه عن طريق الحواس أما غير ذلك فإن العقل يؤمن بالدليل لأنه ثبت عنده صحته، ويؤمن بما دل عليه الدليل، ولكن هذا المدلول منه ما يستوعبه العقل ومنها ما لا يقدر على استيعابه ومعرفة كنهه وحقيقته، وكل الغيبيات كذلك فالبعث والحشر والنشر

والميزان والصراط والجنة والنار نعرف أدلتها ونؤمن بها ونعرف بعض صفاتها ، أما حقائقها فلن نعرفها حتى نشاهدها عيانا ونحس بها احساسا كافيا . وبناء على ذلك نستطيع الإجابة على سؤال كثيرا ما يرد على العقل الإنساني وهو: هل من مات غريقا فأكلته الأسماك ، أو في حريق فالتهمته النار ، أو في فلاة أو غابة فأكلته السباع ، أو في غارة حربية حديثة ، فأذابته حرارة القنبلة الذرية مثلا ، يحاسب ويسأل وينعم أو يعذب أم لا ؟

والجواب واضح جدا الآن: لأن كل ذلك ثبت أنه يكون بعد الموت ، وذكر القبر في الأحاديث لأنه هو المستقر للأبد ان قبل البعث الأكبر حسب الغالب ، فاذا لم يحدث دفن للميت في قبر فإن ذلك لا ينفي حدوث جميع ما قرره الشرع وأثبت حدوثه بعد موت الإنسان،لأن الجزاء بعد الموت هو الأصل ، وهو مصير مقرر للإنسان ، وأما القبر فمسكن فقط ، فلا يؤثر مطلقاً في هذه الأمور كلها من سؤال ونعيم وعذاب الخ . والحديث الصحيح شاهد على ذلك كله فقد أخبر النبي ﷺ عن رجل ممن كان قبل أمتنا أنه كان مسرفا على نفسه في الذنوب ، فلما قرب موته قال لأبنائه: لئِنْ قَدَر الله عليَّ ليُعَذِّبَنِّي عذابا شديدا ، فإذا أنا مت فأحْرِقوا جثتي وذرُّوا نصف رمادها في البر والنصف الآخر في البحر ، ففعلوا فأمر الله البر فجمع ما فيه والبحر فجمع ما فيه ثم أحياه الله وسأله فقال، له: ما حملك على هذا؟ فقال: خشيتك يا رب وأنت أعلم ، فأمر الله به إلى الجنة .

والأمر كله خاضع لقدرة الله الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء . فعلينا أن نؤمن وأن نسلم ونخضع.إننا نعيش في عالم مليء بعوالم أخرى لها بنا اتصال وثيق فهل عرفنا حقيقة هذه العوالم وحقيقة صلتنا بها؟ هل عرفنا حقيقة الملائكة وحقيقة صلتهم بنا؟ وهل عرفنا حقيقة الجن وحقيقة صلتهم بنا؟ وهل عرفنا حقيقة الشياطين وحقيقة صلتهم بنا؟ وهل عرفنا حقيقة الأرواح وحقيقة صلتها بنا؟

إننا نعيش في عالم من الغيبيات التي لا تحصى ونشعر بذلك، ونحاول أن نكيف أنفسنا معه ولا ندري من حقائق هذه الغيبيات شيئاً يذكر.

أسباب العذاب في القبر

إن أسباب نعيم القبر معلومة، وتنحصر في الإيمان بالله تعالى والعمل الصالح، فما أسباب عذاب القبور؟ هل هي الكفر والنفاق والفجور فقط أم هي جميع الذنوب إذا لم يتب الإنسان منها ولم يغفرها الله له؟

الأحاديث التي وردت في عذاب القبر تدل على أن هذا العذاب سببه الذنوب سواء كانت قليلة أم كثيرة، إذا كانت من الكبائر.

فقد جاء في الأحاديث الصحيحة أن الله يعذب في القبر من يسعى بين الناس بالنميمة، ومن لا يستبرىء من البول، ومن يأكل مال اليتيم، ومن يأكل الربا، ومن تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة، ومن وقع في الزنا، ومن اغتاب أخاه المسلم (ارجع إلى رؤيا النبي ﷺ المنامية المذكورة في صحيح البخاري والتي شاهد فيها أهل المعاصي على اختلاف أنواعهم وهم يعذبون أشد العذاب في حياتهم البرزخية) وأقرأ حديث الذي مشى تكبرا فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة. وحديث الذي سرق من الغنيمة شملة في غزوة خيبر فاشتعلت الشملة عليه نارا في قبره، وأمثال ذلك كثير، لذلك كانت النجاة من عذاب القبر قليلة جدا، وهذه كلها ذنوب دون الكفر.

الذين لا يسألون في قبورهم ولا يعذبون

المرابط في سبيل الله لا يسأل في قبره. والمرابط هو الذي يحرس حدود البلاد الإسلامية وثغورها، ومواطن الخطر فيها سواء كان في البر أو في البحر أو في الجو. والشهيد الذي يقتل في المعركة التي تدور بين المسلمين والكافرين لا

والذي يقرأ سورة الملك كل ليلة ينجيه الله من عذاب القبر ويغفر له. والذي يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة يحفظه الله من فتنة القبر. ومن مات بسبب وجع بطنه لا يعذب في قبره. والصديق أعلى منزلة من الشهيد والمرابط لذلك قال أبو عبد الله القرطبي: إذا كان الشهيد لا يفتن فالصديق أجل خطراً و أعظم أجراً فهو أحرى أن لا يفتن في قبره؛ لأنه مقدم ذكره في القرآن على الشهيد، وقد صح في المرابط الذي هو دون الشهيد أنه لا يفتن فكيف بمن هو أعلى رتبة منه ومن الشهيد؟ قال ابن القيم: «والأحاديث الصحيحة ترد هذا القول وتبين أن الصديق يسأل في قبره كما يسأل غيره» يقصد أن الأحاديث عامة فلا نخصص إلا ما خصصته ا هـ.

وكما اختلفوا في الصديق اختلفوا في الأنبياء. هل يسألون في قبورهم أم لا؟ والجواب أنها رأيان في مذهب الإمام أحمد وغيره، والذي يترجح عند الكثيرين أن الأنبياء لا يسألون، لأن المسئول يسأل عنهم، ولأن السؤال للفتنة وهؤلاء معصومون، ولأنه اذا كان بعض أفراد أممهم لا يسأل فهم أولى بذلك، والله أعلم.

واختلفوا أيضاً في سؤال الأطفال في القبر، والراجح أنهم لا يسألون، لأن السؤال للمكلفين له معنى، ولا معنى له لغير المكلفين.

وهل السؤال لهذه الأمة فقط أم كان لغيرها؟ هما رأيان والقوي أنه لها وكان لغيرها والله أعلم. وإليك الأدلة على من ذكرت أنهم لا يفتنون ولا يعذبون في قبورهم:

عن سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رِبَاطُ يوم وليلة خيرٌ من صِيَامِ شهرٍ وقيامه، وإن مَات أُجْرِيَ عليه عَمَلُه الذي كان يعمله، وأُجْرِيَ عليه «رزْقُه وأَمِنَ الفَتَّان» مسلم. وجاء في حديث رواه الترمذي وقال فيه هذا حديث حسن صحيح، ونصه: «كلُّ ميتٍ يُخْتَم على عمله إلا الذي مَاتَ مُرَابِطا في سبيل الله، فإنه يُنَمَّى له عملُهُ إلى يَوْمِ القيامَةِ، ويَأْمنُ مِنْ فِتْنَةِ القَبْر». وعن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله ﷺ: «للشَّهِيدِ عند اللهِ ستُّ خِصَال: يُغْفَر له في أول دَفْعَةٍ مِنْ دَمِه، ويَرَى مَقْعَده مِنَ الجنة، ويُجَار من عَذابِ القَبْر، ويأمَنُ من الفَزَعِ الأكْبَر، ويوضعُ على رأسِهِ تاجُ الوَقَارِ الياقوتَةُ منهُ خيرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيها، ويُزَوَّجُ سَبْعِينَ زَوْجَةً مِنَ الحُورِ العِين، ويَشْفَعُ في سَبْعِينَ مِن أَقَارِبِهِ» الترمذي وقال: حديث حسن صحيح وابن ماجه. وصح عن رسول الله ﷺ قوله: «إن سورةَ ثَلاثينَ آيةً شَفَعَتْ في صَاحِبِها حتى غُفِرَ لَه (تبارك الذي بيده الملك)

وجاء في سنن النسائي حديث: «من قَتَلَهُ بَطْنُه لَمْ يُعَذَّبْ في قَبْره».

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ مُسْلِمٍ يموتُ يومَ الجمعة أو ليلَةَ الجمعة إلا وَقَاهُ اللهُ فِتْنَةَ القَبْرِ» رواه الترمذي وقال: حسن غريب وليس إسناده بمتصل.

مستقر الأرواح بعد الموت إلى يوم القيامة

اختلف العلماء والباحثون قديما وحديثا، إسلاميين وغير اسلاميين في المكان الذي تستقر فيه الأرواح بعد الموت حتى تقوم الساعة، والذي يهمنا هنا هو آراء علماء الإسلام.

وقد عقد ابن القيم بحثا لهذا الموضوع في كتاب «الروح» وذكر فيه الأقوال المختلفة، ورد على كل قول لا يوافق رأيه، ثم أعطى خلاصة رأيه في النهاية، وهذا هو ملخص ما كتبه بتصرف (وما قاله ابن القيم قاله بالنص شارح الطحاوية وسبقهما به الغزالي)

قال ابن القيم: هذه مسألة عظيمة تكلم فيها الناس واختلفوا فيها، وهي إنما تتلقى من السمع فقط (يقصد من الكتاب والسنة) واختلف في ذلك.

فقال قوم: أرواح المؤمنين عند الله في الجنة شهداء كانوا أم غير شهداء إذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دَيْن وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم.

وقالت طائفة: هم بفناء الجنة على بابها يأتيهم من روحها ونعيما ورزقها.

وقالت طائفة: الأرواح على أفنية قبورها.

وقال مالك: بلغني أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت.

وقالت طائفة: أرواح المؤمنين عن يمين آدم وأرواح الكافرين عن شماله.

وقالت طائفة: منهم ابن حزم: مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها.

وقالت فرقة: مستقرها العدم المحض، وهذا قول من يقول: إن النفس عرض تموت بموت البدن ثم رد قول كل طائفة ردا عنيفا أو خفيفا حسب قربها أو بعدها مما يراه ابن القيم ثم لخص رأيه قائلا.

فإن قيل: فقد ذكرتم أقوال الناس في مستقر الأرواح ومأخذهم فما هو الراجح من هذه الأقوال حتى نعتقده؟.

قيل: الأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت. فمنها أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء.

ومنها أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، ترد أنهارها وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل تحت العرش هي أشبه بالأوكار للطيور، وهؤلاء هم الشهداء الذين رضي الله عنهم. ولم يحبسهم عن الجنة بسبب دين، أو غلول، أو غيرهما.

ومنازل الشهداء هذه هي منازلهم في البرزخ، وهي غير منازلهم ودورهم وقصورهم في الجنة قطعا، فهم يرون منازلهم ومقاعدهم من الجنة، ويكون مستقرهم في تلك القناديل المعلقة بالعرش، فإن الدخول التام الكامل التام إنما يكون يوم القيامة، ودخول الأرواح الجنة في البرزخ أمر دون ذلك.

ومنها أرواح تصير على هيئة طير يَعْلُق في شجر الجنة، وهي أرواح المؤمنين الذين رضي الله عنهم وغفر لهم، وهم على منازل ودرجات شتى مثل الشهداء والصديقين والأنبياء، فهم ليسوا في درجة واحدة.

ومنها أرواح تعذب عذابا مؤقتا قد ينتهي في القبر، وقد يمتد إلى ما بعده وقد يكون عذابها بالنار، وقد يكون بالألم والحسرة والندم حسب أعمالها وهذه هي أرواح المؤمنين الذين ماتوا على كبيرة من الكبائر بغير توبة ولم يغفر الله لهم.

ومنها أرواح تكون في سجين في عذاب دائم وهي أرواح الكافرين.

والأرواح المؤمنة على اختلاف أنواعها ودرجاتها تكون في الجنة ولها ارتباط بالقبر وتعلق به، وهي سريعة الحركة جدا نزولا وصعودا فتكون

أحيانًا على أفنية القبور، وأحيانا تنزل لترد سلام المسلم على أهل القبور، ولها حرية في الحركة تذهب حيث شاءت حسب مقامها عند الله تعالى كما قال الإمام مالك فتأتي أهلها وتعلم عنهم أشياء قد لا يعلمونها، وتلتقي هذه الأرواح بأرواح الأحياء النائمين في الرؤيا الخ. كل ذلك في الحياة البرزخية وما يراه الناس من أرواح الموتى ومجيئهم إليهم من مكان بعيد أمر يعلمه عامة الناس ولا يشكون فيه، والمنامات في ذلك متواترة لا يجهلها أحد.

والأدلة على ذلك كثيرة متوافرة. فهذا سيد ولد آدم الذي روحه في أعلى عليين مع الرفيق الأعلى ﷺ يسلَّم عليه عند قبره، ويرد سلام المسلم عليه، وأرواح الشهداء في الجنة ويسلَّم عليهم عند قبورهم كما يسلَّم على غيرهم وكذلك تكون روح الكافر في سجين ولها تعلق بالقبر وبالجسد الذي فيه، وفي الآخرة يدخلها الله النار في الدكة التي تستحقها اهـ.

معرفة الأموات بزيارة الأحياء:

هذا موضوع تكلم فيه كثير من علماء المسلمين مثل القرطبي في التذكرة والغزالي في الإحياء وابن القيم في كتاب الروح وغيرهم.

والأدلة الصحيحة أثبتت أن الميت في قبره يعرف من يزوره وينتفع بزيارته ويسمع سلام الزائر ويرد عليه حسبما يتفق مع حياته البرزخية التي لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى.

قال ابن عبد البر: ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: **مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُر على قَبْر أخيهِ كان يَعْرِفُه في الدنيا فيُسلم عَليه إلا رَد اللهُ عَلَيْه رُوحَه حتى يَرد عَلَيْهِ السَّلامَ**. وفي الصحيحين عنه ﷺ من وجوه متعددة أنه أمر بقتلي بدر فألقوا في قليب ثم ناداهم بأسمائهم، وأخبر أنهم يسمعونه ولكنهم

لا يستطيعون جوابا. وسبق ما ثبت عنه ﷺ: «**إن الميتَ يَسْمعُ قرعَ نعالِ المشيعين له إذا انصرفوا**». وشرع ﷺ السلام على أهل القبور بأسلوب التخاطب: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين الخ» وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل. قال ابن القيم: والسلف مجموعون على هذا، وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحي ويستبشر به.

وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله: إذا مر الرجل بقبر أخيه يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه، وإذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام. وهذه الأدلة التي ذكرت لا معارض لها فوجب القول بها. وقد ذكر القرطبي وابن القيم والغزالي منامات ومرائي كثيرة تدل على أن الأحياء يعرفون زائريهم، ويسرون بزيارتهم، ويأنسون بهم، والمجربون لذلك في كل عصر أكثر من أن يُحصَوْا، كما جاءت أدلة بأن أرواح الموتى تتلاقى وتتزاور وتجتمع وتتحادث، راجع في ذلك الكتب السابقة ففيها مزيد لمن أراد.

قال ابن القيم: صح عن عمرو بن دينار أنه قال: ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده، وإنهم ليغسلونه ويكفنونه وهو ناظر إليهم (يعني روحه حاضرة بعد عودتها من عند ربها كما سبق)

قال: وصح عن مجاهد أنه قال: إن الرجل ليبشر في قبره بصلاح ولده من بعده، ويدل على هذا أيضاً ما جرى عليه الناس قديما وحديثا من تلقين الميت في قبره، ولولا أنه يسمع ذلك وينتفع به لم يكن فيه فائدة وكان عبثا.. وقد سئل عنه الإمام أحمد رحمه الله فاستحسنه واحتج عليه بالعمل ا هـ ص ١٦، ١٧. واتصال الأحياء بالأموات، واتصال الأموات بعضهم ببعض، ومعرفة الأموات بفعل الأحياء إذا كانت أرواحهم منطلقة: جعل كثيرين يقولون بجواز قراءة القرآن على القبور ليأتنس بها الميت وينتفع بثوابها إذا نواها القارىء وان تكون هدية له، وقال: اللهم أوصل ثواب ما قرأت إلى فلان، أو إلى روح فلان وذكر اسمه. قال ابن القيم والغزالي والقرطبي ما خلاصته:

وقد جاء عن جماعة من السلف أنهم أوصوا أن يقرأ عند قبورهم وقت الدفن.

قال عبد الحق: يروى أن عبد الله بن عمر أمر أن يقرأ عند قبره سورة البقرة، وكان الإمام أحمد ينكر ذلك أولا حيث لم يبلغه فيه أثر ثم رجع.

قال الخلال: وأخبرني الحسن بن أحمد الوراق قال حدثني علي بن موسى الحداد، وكان صدوقا قال: كنت مع أحمد بن حنبل ومحمد بن قدامة الجوهري في جنازة فلما دفن الميت جلس رجل ضرير يقرأ عند القبر، فقال له أحمد: يا هذا إن القراءة عند القبر بدعة، فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر الحلبي؟ قال ثقة، قال كتبت عنه شيئاً؟ قال نعم: أخبرني مبشر عن عبد الله بن اللجلاج عن أبيه أنه أوصى إذا دفن يقرأ عند رأسه بفاتحة الكتاب وخاتمها، وقال: سمعت ابن عمر يوصي بذلك، فقال له أحمد: فارجع وقل للرجل يقرأ ا هـ من الروح والإحياء للغزالي. وذكر الخلال عن الشعبي أن الأنصار كانوا يقرأون القرآن على قبر ميتهم ا هـ من الروح ص ١٣.

من أقوال الصالحين ومناماتهم في شأن القبور

قال أبو ذر: ألا أخبركم بيوم فقري؟ يوم أوضع في قبري.

وقال يحيى بن معاذ: ابن آدم، دعاك ربك إلى دار السلام فانظر من أين تجيبه؟ إن أجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة إليه دخلتها، وإن أجبته من قبرك منعتها.

وقال ثابت البناني: دخلت القبر فلما قصدت الخروج منها إذا بصوت قائل يقول: يا ثابت، لا يغرنكِ صُموتُ أهلها، فكم من نفس مغمومة فيها. ووجد مكتوبا على قبرٍ هذان البيتان:

تناجيك أجداث وهُن صُمُوت | وسكانُها تحتَ التراب خُفُوتُ
أيا جامِعَ الدنيا لِغيْرِ بَلاغِهِ | لِمَنْ تَجْمَعُ الدنيا وأنتَ تموتُ

وذكر ابن أبي الدنيا بسنده إلى رجل من آل عاصم الجحدري قال: رأيت عاصما الجحدري بعد موته بسنتين فقلت: أليس قد مُتَّ؟ قال بلى، قلت فأين أنت؟ قال: أنا والله في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى بكر بن عبد الله المزني فنتلقى أخباركم، قال: قلت أجسادكم أم أرواحكم؟ قال: هيهات بليت الأجسام، وإنما تتلاقى الأرواح، قال قلت: فهل تعلمون بزيارتنا إياكم؟ قال: نعم، نعلم بها عشِيَّةَ الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس، قال قلت: فكيف ذلك دون الأيام كلها؟ قال: لفضل يوم الجمعة وعظمته.

وصح عن مجاهد قوله: إن الرجل ليُبَشَّر في قبره بصلاح ولده من بعده. ويذكر عن الفضل بن الموفق قال: كنت آتي قبر أبي المرة بعد المرة فأكثر من ذلك فشهدت يوما جنازة في المقبرة التي دفن فيها فتعجلت لحاجتي ولم آته، فلما كان من الليل رأيته في المنام. فقال لي يا بني لم لا تأتيني؟ قلت له: يا أبت وإنك لتعلم بي إذا أتيتك؟ قال: اي والله يا بني، لا أزال أطَّلع عليك حين تطلع من القنطرة حتى تصل اليَّ وتقعد عندي ثم تقوم، فلا أزال أنظر إليك حتى تجوز القنطرة.

وذكر عبد الحق عن بعض الصالحين قال: مات أخ لي فرأيته في المنام فقلت يا أخي ما كان حالك حين وضعت في قبرك؟ قال: أتاني آت بشهاب من نار فلولا أن داعيا دعا لي لهلكت. وقال عبد الله بن المبارك: رأيت سفيان الثوري في النوم فقلت: ماذا فعل الله بك؟ قال: لقيت محمدا وحزبه. وقال يزيد بن مذعور: رأيت الأوزاعي في المنام، فقلت يا أبا عمرو، دلني على عمل أتقرب به إلى الله تعالى، قال: ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلماء، ثم درجة المحزونين، قال: وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى أظلمت عيناه.

وعن ابن عيينة قال: رأيت سفيان الثوري في النوم كأنه في الجنة يطير من شجرة إلى شجرة يقول: لمثل هذا فليعمل العاملون، فقلت أوصني، فقال: أقلل من معرفة الناس.

نقلت لك ما سبق من كتابي «الروح» و«إحياء علوم الدين» وأكثره مذكور في الكتابين لأن كلا منهما ناقل عن ابن أبي الدنيا. والله أعلم.

النفخ في الصور

قال تعالى:

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ الزمر ٦٨ - ٧٠

وقال تعالى:

وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ (صاغرين أذلاء) النمل ٨٧

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصُّورُ؟ قال: «قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ» أبو داود والترمذي

وحسنه. وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « كَيْفَ أَنْعَمُ وَقَدْ الْتَقَمَ صاحبُ القَرْنِ القَرْنَ وحَنَى جَبْهَتَه، وأصْغَي سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ أن يُؤْمَرَ فَيَنْفُخَ، فكأنَ ذلك ثقُلَ على أصحابِهِ فقالوا: فكيفَ نفعل يا رسولَ الله أو نقول؟ قال: قولوا حسبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوكيلُ، عَلَى اللهِ تَوكَّلْنا » رواه الترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه. وعن عُقْبَةَ بنِ عامرٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: « تَطْلُعُ عليكم: (أي على الاحياء من بني آدم) قبلَ الساعةِ سَحابةٌ سَوْداءُ مِنْ قِبَلِ المَغْرِبِ مِثْلُ التُّرْسِ فلا تَزال ترتفِعُ في السماءِ وتَنْتَشِرُ حتى تملأ السماءَ، ثم ينادِي منادٍ: يأيُّها الناسُ أَتَى أمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلوه، قال رسول الله ﷺ: فوالذي نفسي بيَدِه إن الرَّجُلَيْن يَنْشرانِ الثوبَ فلا يطويانه، وإن الرجلَ ليمدُرُ حَوضَهُ (يطينه لئلا يتسرب منه الماء) فلا يَسْقِي مِنْه شيئاً أبدا، والرجلُ يَحْلُبُ ناقته فلا يَشْرَبه أبداً » رواه الطبراني بإسناد جيد رواته ثقات مشهورون، كذا قال المنذري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « ما بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أرْبَعُونَ، قيل: أربعون يَوْما؟ قال أبو هريرة أَبَيْتُ، قال: أربعون شهرا؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنةً؟ قال: أبيت (امتنعت عن التعين لأني لا أعلم) ثم يَنْزِلُ مِنَ السَّماءِ ماءٌ فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كما يَنْبُتُ الْبَقْلُ (النبات) ولَيْسَ مِنَ الإنْسَانِ شَيْءٌ إلا يَبْلَى إلا عَظْمٌ واحدٌ، وهو عَجْبُ الذَّنَبِ (عظم صغير جدا من أسفل الصلب) مِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ القِيامَةِ » البخاري ومسلم.

ما يؤخذ مما سبق

١ - أن الصور موجود وموكل به ملك عظيم جدا معين ينتظر الإذن من الله تعالى بالنفخ فيه.

٢ - هذا الصور عبارة عن قرن كما جاء في الحديث، وهو يشبه البوق كما ذكر البخاري عن مجاهد، وجاء في الأثر أنه من نور، وأن فيه ثقوبا تخرج منها الأرواح يوم القيامة.

٣- المشهور أن صاحب الصور هو إسرافيل، قال القرطبي: والأمم مجمعة على ذلك.

٤- الآية الأولى دلت على أن النفخ مرتان: مرة يصعق بعدها من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ومرة ثانية يحيي الله بعدها الخلائق وبين النفختين أربعون يوما، أوشهراً أو سنة وجاءت رواية ذكرها القرطبي أنها أربعون سنة فقال: روى ابن المبارك عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ: «**بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أربعون سَنَةً، الأولى يُمِيتُ اللهُ بها كلَّ حَي، والأُخْرى يُحْيِي اللهُ بِها كلَّ مَيِّت**» وكذلك قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وابن زيد وغيرهم، قال مجاهد: هما صيحتان: أما الأولى فتميت كل شيء بإذن الله، وأما الاخرى فتحيي كل شيء بإذن الله، والقائلون بأن النفخ يكون مرتين فقط يقولون إن الآية الثانية في النفخ دلت على الفزع عند النفخ، وهذا الفزع يصاحب النفخة الأولى، ولذلك استثنى كما استثنى في الآية السابقة فقال: «**إلا مَنْ شَاءَ اللهَ**» وقال بعضهم: إن الفزع بعد النفخة الثانية إذا عاينوا من الأهوال ما لم يخطر لهم على بال.

قال القرطبي: والصحيح في النفخ في الصور أنها نفختان لا ثلاث، وأن نفخة الفزع إنما تكون راجعة إلى نفخة الصعق، لأن الأمرين لازمان لها، أي فزعوا فماتوا من الفزع، أو إلى نفخة البعث، وهو اختيار القشيري وغيره؛ فإنه قال في كلامه على هذه الآية: والمراد النفخة الثانية؛ أي يحيون فزعين يقولون «**مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنا؟**» وبذلك قال الماوردي أيضاً في الآية الثانية: إن المراد بالنفخ فيها هو النفخ يوم النشور من القبور، وقال القرطبي أيضاً: والسنة الثابتة من حديث أبي هريرة وحديث عبد الله بن عمرو تدل على أنها نفختان لا ثلاث أخرجها مسلم. وابن كثير ممن يرى أن النفخ ثلاث وقال بعضهم: إنها أربع: نفخة الفزع ثم بعدها نفخة الموت ثم نفخة البعث ثم نفخة الصعق بعد البعث بمعنى الغشى والسقوط ثم الإفاقة.

٥- بين نفخة الموت وقبل نفخة البعث يجمع الله جسد كل مخلوق على عجب ذنبه ثم ينزل الله مطرا خاصا يصير به التراب طينا ثم يتحول إلى جسد ذي عظم ولحم ودم.

ليصلح لاستقبال الروح بعد النفخة الثانية الخاصة بالأحياء،

قال تعالى:

كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ الأنبياء ١٠٤

بين الله تعالى أنه بعد نفخة الموت يصعق من في السموات والأرض إلا من شاء الله، وقد اختلف العلماء فيمن لا يصعق حيث لم يرد دليل يعتمد عليه في تعيينهم. فقيل هم الشهداء: وهذا قول أبي هريرة وابن عباس وسعيد بن جبير وفيه حديث صححه ابن العربي وهذا يدل على أن جميع الأرواح تموت بالنفخة الأولى، وهو قول يعوزه دليل.

وقيل هم: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وهو قول مقاتل وغيره.

وقد نص الإمام أحمد على أن الحور والولدان لا يمتن عند النفخ في الصور.

وقد أخبر الله تعالى أن أهل الجنة لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى وهذا نص على أنهم لا يموتون غير تلك الموتة.

٧ - دلت الأحاديث على أن النفخة الأولى إذا سمعتها الخلائق عاجلها الموت فلا يتم أحد عملا كان يعمله حتى طي الثوب الذي نشره وشرب اللبن الذي حلبه، وسقي الإبل من الحوض الذي طيَّبه، وهذا مأخوذ من مثل قوله تعالى:

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (أي متى يوم البعث والحساب) مَا يَنظُرُونَ

إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ يس ٤٨- ٥٤

فقد رد الله على الكافرين المنكرين للبعث السائلين عن موعده بأنه آت لا ريب فيه ، وأنهم لا ينتظرون إلا صيحة عظيمة واحدة تأخذهم بالفزع فتميتهم ولا تمهلهم أي إمهال حتى إنها تأخذ المتخاصمين أثناء التخاصم والتنازع فلا يستطيع أحد أن يرجع إلى أهله فيوصيهم بأمر من الأمور أو بما له من الحق على غيره ، ولا يستطيع أن يوصي وهو في مقام الخصومة ، لأن الصيحة أذهلتهم وعاجلتهم فأماتتهم ، ثم ينفخ في الصور بعد ذلك فإذا هم من الاجداث (القبور) يخرجون مسرعين مسوقين إلى ربهم ، وحينئذ يقولون في حسرة وحزن يا ويلنا وهلاكنا !!! من الذي بعثنا من مكان رقودنا ؟ فإذا قالوا ذلك وعاينوا وقوع كل ما جاءت به الرسل أجابوا أنفسهم وقالوا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ، ثم قال تعالى مبينا ما يحدث لإحياء الجميع .. إن كانت إلا صيحة واحدة الخ ... فالأمر جد خطير ولكن الناس لا يشغلهم إلا مفاتن الحياة الدنيا ومآسيها ، وقليل منهم الموفق لمرضاة الله تعالى فاللهم وفقنا لما تحبه وترضاه آمين .

أحداث البعث والحشر وأهوالها

يأمر الله جل جلاله إسرافيل أن ينفخ في الصور نفخة البعث والإحياء فتخرج الأرواح من الصور بإذن ربها، وتذهب كل روح إلى جسدها وتُزَلْزِلُ الأرض زلزالها، فتخرج من جوفها ما أثقلها من الأنس والجن والحيوان؛ لأنها أجابت أمر ربها ووحيه لها، ويومئذ تحدث تغييرات كونية في جميع العالم ويجد الإنسان نفسه أمام عالم سمع به وقرأ عنه في كتب الله ولكنه لم يشاهده من قبل، ولم يرِ له مثيلا، ولا هو بما يستطيع أي إنسان أن يتخيله أو يتصوره مهما أوتي من سعة الخيال وقوة التصور.

إنه الله تعالى بقوته وعظمته، وجلاله وكماله وجبروته، يحدث تغييرا في الكون كله، أرضه وسمائه، شمسه وقمره، نجومه وكواكبه، جباله وسهوله، بحاره وأنهاره ومحيطاته، وما من شيء يحدث يومئذ إلا بإذنه أو أمره، والكل خاضع ذليل ينتظر حكم الله فيه، وما من نبي مرسل ولا ملك مقرب إلا ويقول يا رب سلم. سلم.

وفي أمر هذا البعث يقول الله تعالى[1]:

فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ۝ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ **الحاقة ١٣ - ١٨**

وقال تعالى(٢):

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ
وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝ الإنفطار ١ – ٥

وقال تعالى(٣):

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ۝
يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ
أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝
وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝ سورة الزلزلة

وقال تعالى (٤):

وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ
إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ۝ النمل ٨٨

وقال تعالى(٥): يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ
وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ۝ ابراهيم ٤٨

وقال تعالى(٦):

يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝
يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ
يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝ القيامة ٦ – ١٣

وقال تعالى (٧):

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا طه ١٠٥ - ١١١

وقال تعالى (٨):

زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ التغابن ٧

وقال تعالى (٩): أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ المطففين ٦٤

وقال تعالى (١٠):

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا الكهف ٤٧

وقال تعالى (١١):

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ طه ١٢٤ - ١٢٦

وقال تعالى [١٢]:

وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ۝ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ۝ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ق ٤١ - ٤٤

وقال تعالى [١٣]:

يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا مريم ٨٥ - ٨٦

وقال تعالى [١٤]:

ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ الصافات ٢٠ - ٢٣

وقال تعالى [١٥]:

وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ۝ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا الفرقان ٢٥ - ٢٦

وقال تعالى [١٦]:

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ۝ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ۝ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا النبأ ١٧ - ٢٠

وقال تعالى [١٧]:

ٱلْقَارِعَةُ ۝ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ

كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ
القارعة ١ - ٥

وجاء في الأحاديث الصحيحة ما يزيد ما سبق بيانا وإيضاحاً

فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« يُحْشَرِ النـاسُ يومَ القيامةِ على أرضٍ بيضاءَ عَفْراءَ كقُرْصَةِ النَّقيِّ ليس فيهَا عَلَمٌ لِأَحدٍ » البخاري ومسلم. والعفراء: هي البيضاء ليس بياضها ناصعا. والنقي: هو الخبز الذي نقى دقيقه من قشره. ومعنى: «ليس فيها علم لأحد؟ يعني لم توطأ قبل ذلك فليس فيها أثر لأحد. وعن أنس رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله قال الله تعالى: الذين يحشرون على وُجُوههمْ إلى جهنم. » أيُحشَر الكافر على وجهه؟ قال رسول الله ﷺ:

« أَلَيسَ الَّذِي أمشاهُ عَلى الرِّجْلَيْنِ في الدنيا قادراً على أَنْ يُمْشِيَه عَلى وَجْهِهِ؟ قال قتادة حين بلغه: بَلَى وعزةِ رَبِّنا » البخاري ومسلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ بِمَوْعِظَةٍ فقال: « يا أيها الناسُ، إنكم محشورون إلى اللهِ حُفَاةً عُراةً غُرْلاً (بدون ختان) (كَمَا بدَأْنَا أَولَ خَلْقٍ نُعيدُهُ وعداً علينا إنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) ألا وإنَّ أَوَّلَ الْخلَائِقُ يُكْسَى إبْراهيمُ عَلَيْهِ السلام، ألا وإنه سَيُجَاءُ بِرِجالٍ من أُمَّتِي فَيُؤْخَذُ بِهِمْ ذاتَ الشِّمالِ فأقولُ: يا ربِّ أصحابي، فيقول: إنك لا تَدْرِي ما أَحْدَثوا بَعْدَك،، فأقول كما قال العبدُ لِصَالحُ: وكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدا ما دُمْتُ فِيهِمْ إلى قوله « العزيزُ الحكيمُ » قال: فيقال لي: إنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ على أعْقَابِهِم مُنْذُ فَارَقْتُهُمْ » زاد في رواية: فأقول سُحْقاً سُحْقاً (أي بعدا بعدالهم) رواه البخاري ومسلم

وعن عائشةٍ رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يُحْشَرُ الناسُ حفاةً عراةً غُرْلاً. قالت عائشة: فقلت: الرجالُ والنساءُ جميعاً ينظرُ بعضُهم إلى بعضٍ؟ قال: « الأمرُ أشدُّ أن يُهِمَّهُمْ ذَلِكَ. وفي رواية « من أَنْ يُنْظُرَ بَعْضُهُمْ إلىٰ بَعْضٍ .. البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القيامةِ ثَلاثَةَ أصْنَافٍ: صِنْفاً مُشَاةً، وصِنْفاً رُكْباناً، وصِنْفاً عَلىٰ وُجُوهِهِمْ. قيل: يا رسول الله وَكَيْفَ يَمْشُونَ على وُجُوهِهِم؟ قال: إنَّ الذي أمْشَاهُمْ على أَقْدامِهِمْ قَادِرٌ عَلىٰ أنْ يُمْشِيَهُمْ عَلىٰ وُجُوهِهِم، أمَا إنَّهُمْ يَتَّقُونَ بِوُجُوهِهِمْ كُلَّ حَدَبٍ وَشَوْكٍ**» رواه الترمذي وقال حديث حسن.

إيضاح لما سبق من الآيات والأحاديث. يتضح مما سبق أن البعث الذي هو إحياء جميع الأموات بالنفخ في الصور يترتب عليه تغيير كوني عظيم هائل ولا ندري هل هذا التغيير كائن في العالم كله بجميع ما فيه من كواكب ونجوم ومجرات وسماوات ومخلوقات؟ أم هو خاص بعالمنا معشر سكان الأرض وبما يحيط بهذا العالم ويعلوه من كواكب وشموس ونجوم وسماوات؟ الله أعلم.

وهذا التساؤل سببه أن هذا التغيير الكوني سواء كان شاملا أم محدودا نتيجته توقيف سكان هذه الأرض بين يدي الله ومحاسبة الله لهم، ثم مجازاتهم بالجنة أو بالنار، فالأمر في الآخرة خاص بسكان الكوكب الأرضي، وهذا الكوكب في الكون يشبه ذرة في قارة، فهل من أجل ذرة يغير الله كل العالم ويبدله؟ سؤال... وإذا قرأنا القرآن وجدنا تعبيرات تفيد أن السماء ستزال وتطوى، وأن النجوم ستسقط وأن السموات ستنشق ويستبدل بها غيرها، الخ. مما قد يدل على تغيير شامل. والواجب الإيمان بما ورد وتفويض الأمر إلى الله فيما غاب عنا أو لم تحدده النصوص. كما يتضح مما سبق ما يأتي

١ - أن البعث يحدث بعد النفخ في الصور نفخة الإحياء.

٢ - أن الأرض عند البعث تضطرب من داخلها الباطني وتزلزل زلزلة عظيمة تخرج كل ما في باطنها من كنوز ومن أموات بعد أن أحياهم الله، وما في باطنها هو أثقالها المذكورة في الآية، ثم تخبر الأرض بعد ذلك بما عمله كل إنسان عليها من خير وشر بأمر من الله تعالى:

٣ - إذا خرج الناس من قبورهم وعرفوا أنهم بعثوا للوقوف بين يدي رب العالمين فزع الجميع وجزع إلا أحباب الله وأولياءه فإنهم «لا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الأَكْبَر وتتلقاهم الملائكة قائلين لهم: هذا يومكم الذي كنتم توعدون، والكل يرى الظلام حالكا حتى لا يستطيع امرؤ أن يرى كفه إلا المؤمنون الصالحون فإن نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم، ولا يمشي في نورهم أحد غيرهم، ونور كل مؤمن بحسب عمله،

٤ - بعد البعث يسمع الجميع صوت إسرافيل يدعوهم أن يتبعوه ليصلوا إلى أرض المحشر التي يجتمع عليها الخلائق أجمعون فيتبعونه لا ينحرف منهم أحد عن طريقه، وخشعت الأصوات لجلال الرحمن وعظمته فلا تسمع عندئذ إلا همسا، وهو صوت وطء الأقدام ومشيها

٥ - من الأمور الكونية التي تحدث بعد البعث تساقط النجوم «وإذا النجومُ انْكَدَرَتْ» وذهاب ضوء الشمس والقمر ثم جمعها وإلقاؤهما في مكان يعلمه الله تعالى «إذا الشمسُ كوِّرتْ وإذا النجومُ انْكَدَرَتْ» «وخَسَفَ القَمَرَ، وجُمِعَ الشَّمْسُ والْقَمَر» ويومها تنفجر البحار بعضها في بعض.

٦ - ومنها أن الله ينسف الجبال بعد تسييرها ونقلها من أماكنها، ثم يجعلها الله كالصوف المنفوش ثم هباء منتشرا كانه السراب، ثم تقع على الأرض فتسويها. فلا يرى الرائي فيها انخفاضا وارتفاعا، فيذَرُها قاعاً صَفْصَفاً - أي منبسطة مستوية - لا ترى فيها عِوَجاً ولا أَمْتاً - أي لا ترى في الأرض ارتفاعاً وانخفاضاً

٧ - يحشر المتقون ويجمعون في أرض الموقف مكرمين كما تكرَّم الوفود العزيزة، أما الكفار فإنهم يحشرون أذلاء عطاشا لا يرتوون ولا يرحمون، ويكون مشيهم على وجوههم زيادة في إذلالهم وتعذيبهم.

٨ - ما من نفس تساق إلى أرض المحشر إلا ومن ورائها ملك يسوقها ومعها شهيد يشهد عليها، كما قال تعالى:

﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ﴾ ق ٢٢

٩ - في هذا اليوم تبدل الأرض غير الأرض، فيصير الخلائق على أرض بيضاء نقية مستوية كأنها قرص من خبز الدقيق الأبيض المشوب بغبرة خفيفة.

١٠ - وفيه تنشق السماء الأولى وتكون الملائكة على أطرافها، ثم تنزل الملائكة فتقف صفا من وراء الخلائق، ثم تنشق السماء الثانية والثالثة إلى السابعة وتنزل الملائكة كما حدث للسماء الأولى.

١١ - الناس يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا لا ينظر أحد إلى عورة أحد لأن كل واحد جاءه ما يشغله، ولأن الهول أشد من أن يترك لأحد فرصة ليفكر في شيء آخر غيره

الموقف وأهواله وأحوال الناس فيه

الموقف هو المكان الذي يقف الناس فيه، والمراد هنا وقوف الخلائق يوم القيامة في أرض المحشر حيث يجمع الله الأولين والآخرين على أرض غير الأرض وتحت سماء غير السماء، ومعهم من العوالم ما لم يشهدوه من قبلُ من الملائكة، والجن والشياطين، والوحوش والطيور وسائر ما خلق الله تعالى،

هناك تنشق السماوات، وتتنزل ملائكتها فتحيط بالخلائق صفوفا متراصة، ويأمر الله تعالى بجهنم أن يؤتى بها، فتسحبها الملائكة الموكلون بها ولها سبعون ألف زمام يمسك بكل زمام سبعون ألف ملك. وتدنو الشمس من رؤوس الخلائق دُنوّاً فيجعل الرؤوس تغلي من شدة حرارتها.

ويزدحم الناس في الموقف ازدحاما شديداً يصير نوعاً من العذاب الذي لا يحتمل، ويسيل عرق الناس في الأرض، ويرتفع لكثرته وطول الوقوف حتى يصل إلى آذان بعض الناس ويلجمهم. ويطول الموقف في هذا الحال على المعذبين حتى يكون طول هذا اليوم خمسين ألف سنة ويفر المرء من أمه وأبيه، وزوجته وبنيه، لكل امرىء منهم يومئذ شأن عظيم يلهيه عن غيره ويغنيه، ولا تملك نفس لنفس شيئاً، ولا تحمل نفس ذنوب نفس أخرى، بل كل نفس بما كسبت رهينة ومحبوسة في العذاب الشديد والهول العظيم.

من شدة الهول تخر الأمم على ركبها، وترى كل أمة جاثية، كل أمة تدعى إلى كتابها، ويقول الأنبياء والمرسلون والملائكة أجمعون حين يرون الأهوال وغضب رب العالمين يا رب سلم. يا رب سلم.

وجاء ربك والملك صفاً صفاً، وجيء يومئذ بجهنم، يوْمَئِذٍ يَتَذَكَّر الإنسانُ وأنَّى له الذكرى. هناك تُجْزَى كُلُّ نفس بما عمِلت بعد أن رُدَّت إلى الله، وسقطت جميع موازين البشر وظهر ميزان الله، ووقف الجميع أمام الملك الجبار، وذلت جميع الرؤوس للواحد القهار، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأُزْلِفَت الجنةُ للمتقين، وبُرِّزَتْ الجحيم للغاوين، وقيل لكل من عبدَ غير الله، أين من عبدتموهم لينقذوكم إن كنتم صادقين، إنكم وما تعبدون من دون الله حَصَبُ جهنم أنتم لها واردون.

في هذا اليوم يفضح الله أهل الكفر والنفاق والمجترئين عليه بفعل الكبائر والفواحش، فبعضهم يحمل على ظهره ذنوبه وأوزاره، وبعضهم يقرن ويربط مع شيطانه الذي أضله وأراده، ومنهم من يقرن بالمرأة التي فجر بها وبسببها أغضب الله، والمضلون للناس يحملون أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم. وعلماء السوء يراهم الناس في خزي وعار وعذاب شديد بسبب أنهم كتموا ما علموا، أو نافقوا وجاملوا على حساب دين الله أو قالوا ولم يعملوا، والله تعالى وحده له الحمد في الأولى وفي الآخرة، وله الكلمة

المسموعة في شأن الخلائق كلهم، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه، ولا يتحرك متحرك في شأن من الشئون إلا بأمره

يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا

سورة النبأ ٣٨ - ٤٠

إنَّ الأمر يومَ القيامة جد خطير، حيث نُنْقَل إلى عالم جديد وخطير وغريب عنا كل الغرابة، ولا ينجو من هوله إلا أحباب الله وأولياءه، فهم وحدهم لا خَوْفٌ عليهم في هذا اليوم ولا هم يحزنون، ولا يحزنهم الفزع الأكبر ولا يفزعون، وتتلقاهم ملائكة الله مطمئنة لهم ومبشرة بخير ما ينتظرون، حيث تقول لهم: إنكم اليوم أهل العز والكرامة، وأهل النجاة والسعادة، وأهل الراحة والرحمة. لدينا لكم من هول الموقف ما تخافون، ولن تروا من الله إلا العفو والمغفرة وكل ما تشتهون.

اليوم مظللون في ظل عرش الله، وملائكة الرحمة محيطة بكم بأمر من الله، ومكانكم مع أنبيائكم في خير موقف، وهنالك أحواض الرسل اشربوا منها ما شئتم، ويكفيكم رضاء ربكم ومغفرته لذنوبكم، ومنكم من يكرمه ربه فيجلسه عن يمينه والناس ينظرون، ومنكم من يشفع في أهله وإخوانه كما يشفع النبيون، ولن تشعروا بطول هذا اليوم كما يشعر المجرمون، لأن الله يهونه عليكم حتى تروه كأن طوله طولُ صلاةٍ مما كنتم تُصلُّونَ، اجتمعوا مع ازواجكم وأولادكم وأبائكم لتنالوا كلكم عفو رب العالمين، لقد آمنتم بربكم ولم تشركوا به شيئاً، وعبدتموه وحده ولم تعبدوا غيره أحداً. وكنتم من الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس. فافرحوا اليوم كثيراً أيها المؤمنون، وفوزوا برضوان الله أيها الصادقون، وأبشروا بسعادة الأبد أيها العابدون المجاهدون المخلصون.

لكم فرحة الأبد، وعز الأبد، ونجاة الأبد، ورحمة الأبد، ولن تروا أبداً إلا النعيم المقيم، ورضاء الرحمن الرحيم، وصدق الله القائل «لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ »

إقرأ بعض تفاصيل هذا اليوم في السور والآيات التي ذكرت وفصّلت ما يحدث فيه تفصيلا واضحا، وكذلك اقرأ أحاديث رسول الله ﷺ في نفس الموضوع فإنك واجد فيها ما يؤثر في الحجر، وتقشعر له أبدان البشر،، وتلين له قلوب المؤمنين، وتبكي خوفاً منه عيون الصادقين.

قال تعالى:

سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ (ذائب الفضة) وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ (الصوف في الخفة والطيران) وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا (قريب قريباً له) يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ وَصَٰحِبَتِهِۦ (زوجته) وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ (أي عشيرته التي انفصل منها) وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ المعارج ١ - ١٥

وقال تعالى:

هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ المرسلات ٣٦ - ٤٠

وقال تعالى:

﴿كَلَّآ﴾ (أي حقا) ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ۝ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾

الفجر ٢١ - ٢٦

وقال تعالى:

﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ مريم ٩٤ - ٩٦

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يَعْرَقُ الناسُ يومَ القيامةَ حتى يذهبَ في الأرضِ عرَقُهُم سبْعينَ ذِراعاً، وإنَّهُ يُلْجِمُهُمْ حتى يبلُغَ آذانَهُمْ**» رواه البخاري ومسلم. وعن ابن عمر عن النبي ﷺ (يومَ يقومُ الناسُ لِربِّ العالمين) قال: «**يقومُ أحدُهُمْ في رَشْحِهِ إلى أنْصافِ أُذنَيْه**» رواه البخاري ومسلم واللفظ له. وعن المقداد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تُدْنىَ الشَّمْسُ يومَ القيامَةِ من الخَلْق حتى تكونَ منهُم كمِقْدار ميل. قال سَليمُ بنُ عامرٍ؛ واللهِ ما أَدْري ما يعني بالميل: مَسافَةَ الأرض أو الميلَ الذي تُكْحَلُ به العينُ؟ قال فتكونُ الناسُ على قَدْرِ أعمالِهِم في العرَق، فمِنْهُمْ مَنْ يكونُ إلى كَعْبَيْهِ، ومنهُم من يكونُ إلى رُكْبَتَيْهِ ومنهم من يكون إلى حَقْوَيْه (خاصرته) ومنهم من يُلْجِمُه العرَقُ إلجاماً وأشارَ الرسولُ ﷺ بيدِهِ إلى فَمِهِ**» رواه مسلم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**يومَ يقومُ الناسُ لربِّ العالمين**) **مقدارَ نِصفِ يومٍ مِنْ خَمْسينَ أَلْفَ سَنَةٍ فيَهُونُ ذَلكَ علَىٰ المؤْمِنِ**

كَنَدَلِّي الشَّمْسِ لِلْغُروبِ إلىٰ أنْ تَغْرُبَ » رواه أبو يعلى باسناد صحيح وابن حبان في صحيحه وفي رواية لأحمد وأبي يعلى وابن حبان عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال لما قيل له « مَا أَطْولَ هَذا الْيَوْمَ؟: « إنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَى الْمؤْمِنِ حتى يَكونَ أخفَّ عَلَيْهِ مِنْ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ »

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « سبعةٌ يُظِلُّهُم اللهُ في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلا ظلُّه. إمامٌ عادِل، وشابٌّ نَشأَ في عبادَةِ الله، ورجلٌ قلبُه معَلَّقٌ بالمساجدِ، ورجلان تحابَّا في الله اجْتَمعَا عَلَيْه، وتَفَرَّقا عليْه، ورجُلٌ دَعَتْهُ امْرأةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فقالَ إني أَخَافُ الله، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فأَخْفَاها حتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمالُهُ ما تُنْفِقُ يمِينُهُ، ورجلٌ ذكرَ الله خالياً فَفاضَتْ عَيْنَاه » رواه البخاري ومسلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه قال: « مَا مِنْ رَجُلٍ وَلِيَ عَشْرةً إلا أُتِيَ بِهِ يومَ القيامَةِ. مَغْلولةً يَدُهُ إلى عُنُقِه حتى يُقْضىٰ بَيْنَه وَبيْنَهُمْ » رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجاله ثقات. كذا قال المنذري.

وعن ابن مريم عمرو بن مُرَّة الجهَنِيَّ رضي الله عنه أنه قال لمعاوية: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: « مَنْ وَلاهُ اللهُ شيئاً مِنْ أمورِ المُسْلِمينَ فاحْتَجبَ دُونَ حَاجَتِهِم وخَلَّتِهِمْ وفَقْرِهِمْ احْتَجَبَ اللهُ دُونَ حَاجَتِهِ وخَلَّتِهِ وَفَقْرِه يَوْمَ القِيَامَةِ: فَجعَلَ مُعَاوِيَةُ رَجُلاً علىٰ حَوائجِ المُسْلِمينَ » رواه أبو داود واللفظ له والترمذي

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللهِ ﷺ قال: « أَتَدْرُونَ مَا المُفلِسُ؟ قالوا: المُفْلِسُ فِينَا من لا دِرْهَمَ لَهُ وَلاَ مَتَاعَ: فقال: إنَّ المُفْلِسَ مِنْ أُمّتي مَنْ يأتي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيأتِي وَقَدْ شَتَمَ هٰذَا، وَقَذَفَ هذَا، وَأَكَلَ مَالَ هٰذَا، وَسَفَكَ دَمَ هٰذَا، وَضَرَبَ هٰذَا، فَيُعْطى هٰذَا مِنْ حَسَناته وهٰذَا مِنْ حَسَناتِه، فإنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَياهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ » رواه مسلم والترمذي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدنيا نَفَّسَ اللهُ عنه كُرْبَةً من كُرَبِ يَوْم القيامةِ، ومن يَسَّرَ عَلى مُعْسِرٍ في الدنيا يَسَّرَ الله عَلَيْهِ في الدنيا والآخِرَة، ومَنْ سَتَرَ على مُسْلِمٍ في الدنيا سَتَرَ اللهُ عَلَيْهِ في الدُّنيا والآخِرَةِ، واللهُ في عَوْنِ العَبْدِ مَا كانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ » رواه مسلم وغيره.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى يقول يوم القيامة « أَيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلاَلي؟ (من أجل عظمتي) اليَوْمَ أُظلهم في ظِلِي يَومَ لا ظِلَّ إلا ظِلِّي » رواه مسلم

عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عز وجل:

« المُتَحَابُّونَ في جَلالي لَهُم مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ » الترمذي وقال: حسن صحيح. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً (أجله بالدين) أو وَضَعَ لَهُ (تنازل عن دينه عنده) أظَلَّهُ اللهُ يومَ القِيَامةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إلا ظِلُّه » رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح. وعن أبي مسعود البدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّن كانَ قَبْلَكُمْ فلَمْ يُوجَدْ لَه مِنَ الخَيْرِ شَيْءٌ إلا أَنَّهُ كانَ يُخَالِطُ النَّاسَ، وكانَ مُوسِراً، وكان يأمُرُ غِلمانَه أن يَتَجاوَزُا عن المُعْسِرِ، قال الله تعالى: « نَحْنُ أَحَقُّ بِذلكَ تَجاوَزُوا عَنْهُ » رواه مسلم والترمذي.

لقد أثبت هذه النصوص في هذا الموضوع ليدرك القارئ أن الناس يختلفون في الموقف باختلاف أعمالهم ،وأن أهوال الموقف لا تنال كل من فيه بنسبة واحدة إنما ذلك حسب القرب والبعد من الله، وحسبما قدم المرء من عمل صالح أو لم يقدم وسيأتي لذلك مزيد في ذكر أحداث الموقف المختلفة مثل تناول الكتب، والميزان والحساب والصراط وورود الحوض والشفاعة وغيرها مما سنفصله تفصيلا وافياً إن شاء الله تعالى قدر الإمكان.

الحساب

وهو توقيف الله سبحانه وتعالى عباده قبل الإنصراف من المحشر على أعمالهم تفصيلا بعد أخذهم كتبهم.

وكيفيته لا يعلمها إلا الله تعالى، لأنه لم يرد من النصوص ما يدل عليها. فالواجب التوقف فيها،وإلا كان الكلام رجما بالغيب لم يؤذن لنا فيه. والناس فيه متفاوتون: فمنهم من يعرض عمله عليه، فيطلعه الله على سيئاته سراً ثم يعفو عنه ويأمر به إلى الجنة، ومنهم من يناقشه الله تعالى في كل صغيرة وكبيرة، ويشهد عليه الشهود ثم يأمر به إلى النار، ومنهم من يعترف لله بعظم جرمه وكبر خطاياه ثم يطلب العفو من ربه بسبب أنه فرج عن مسلم كربة، أو يسر عن مؤمن في عسره فيعفو الله عنه ويدخله الجنة، ويدخل الله من أمة محمد الجنة سبعين ألفاً بغير حساب فضلا منه ورحمة.

ويُسأل الأنبياء عن أممهم، وتُسْألُ أمة محمد ﷺ عن جميع الأمم وهل أجابت أنبياءها أم لم تفعل،فيشهد المؤمنون شهادة الحق كما عرفوا من القرآن الكريم، وكلام النبي محمد ﷺ إلى آخر ما هنالك. ولا يكون حساب حتى يأتي الله تعالى إلى أهل الموقف، ويعلم الجميع أنهم أمام رب العالمين وأسرع الحاسبين، سبحانه وتعالى: لا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه مثقال ذرة، نسأله اللطف يوم العرض عليه، والرحمة في الدنيا ويوم الوقوف بين يديه. وإليك بعض ما ورد في شأن الحساب يوم القيامة:

قال تعالى:

فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ الإعراف ٥ و٦

يخبر تعالى أنه يوم القيامة يسأل الأمم عن رسالة الرسل وموقفهم منها، ويسأل المرسلين عن أممهم وتبليغ رسالات ربهم إلى هذه الأمم، ويخبر الله الجميع بما حدث لأنه عالم بكل شيء ولن يغيب عنه مثقال ذرة.

وقال تعالى:

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا النساء ٤٠- ٤١

والمعنى فكيف يكون حال الكفار يوم القيامة إذا شهد كل نبي على أمته وجاء الله بمحمد ﷺ ليشهد على هؤلاء الذين كفروا بدعوته، ورفضوا قبول رسالته، ثم يبين تعالى أنهم يومئذ يودون لو تسوى بهم الأرض بعد أن يكونوا تراباً حتى ينجو من عذاب الله تعالى.

وقال تعالى: **وكَذَلِكَ جعلناكُمْ أُمَّةً وسطاً لِتكونوا شهداء على الناس ويَكون الرسول عليكم شهيداً.**

ومعنى الآية يظهر في حديث رواه الإمام أحمد والبخاري وغيرهما عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: « **يُدْعَى نُوحٌ يوْمَ القِيامَةِ فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فيقول: نعَمْ، فَيُدْعى قَوْمَهُ فَيُقَالُ لَهُمْ هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ وَمَا أَتَانَا مِنْ أحَدٍ، فَيُقَالُ لِنوح مَنْ يَشهدُ لك؟ فيقول: محمدٌ**

وأمتُّه، قال: فذلكَ قولَه (وكذلك جعلناكم أمةً وَسَطاً) قال: والوَسَطُ العَدْلُ، فتُدْعوْن فتَشْهَدُونَ لَهُ بِالبَلاَغِ ثم أَشْهَدُ عليْكُمْ »

وقال تعالى:

إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم الغاشية (٢٥، ٢٦)

وقال تعالى؛

وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ الرعد ٤٣

وقال تعالى:

فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا الإنشقاق ٧ - ٩

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « من نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ » فقلت أَلَيْسَ يقولُ اللهُ (فَأَمَّا مَنْ أُوتِي كِتَابَهُ بِيَمينهِ فَسَوْفَ يُحاسَبُ حِسَاباً يَسيراً وَيَنْقَلِبُ إلى أَهْلِهِ مسروراً؟) فقال: إنما ذَلِكِ الْعَرْضُ، وليس أحَدٌ يُحَاسَبُ يوْمَ القيامة إلا هَلَكَ » الشيخان والترمذي. وعن أبي بُرْدَةَ الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « لا تَزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسْأَلَ عن أربعٍ: عن عُمْرِهِ فِيمَ أفناه؟ وعن عِلْمه ما عمِلَ به؟ وعن ماله من أيْنَ اكتَسَبَه وفِيمَ أَنْفَقَه؟ وعن جِسْمِهِ فِيمَ أبلاه؟ » الترمذي وقال حديث حسن صحيح. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « لتُؤَدَّنَّ الحقُوقُ إلى أهْلِها يوْمَ القِيامةِ حتى يُقَادَ للشاةِ الجَلْحَاءِ من الشاةِ القَرْنَاءِ » مسلم والترمذي. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بَيْنَا رسولُ الله ﷺ جالسٌ إذْ رَأَيْنَاهُ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ ثَنَايَاهُ، فقال له عمر: مَا أَضْحَكَكَ يا رسول الله بأبي أنتَ

وأمي (أي أفديك بهما) قال: رجلان من أمتي جَثَيَا بَيْنَ يَدَي ربِّ العِزَّة، فقال أحدهُما: يا ربِّ خُذْ لي مَظْلَمْتي مِنْ أخي، فقال اللهُ: كيْفَ تَصْنَعُ بأخِيكَ ولم يَبْقَ مِنْ حَسَناته شَيءٌ؟ قال: يا رَبِّ فَلْيَحْمِل مِنْ أَوْزَارِي: وَفَاضَتْ عَيْنَا رَسولِ الله ﷺ بالبُكاءِ، ثم قال إنَّ ذَلِكَ لَيَوْمٌ عَظِيمٌ يَحْتَاجُ الناسُ أن يُحْمَل عنهم من أَوْزَارِهِم» رواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قالوا يا رسول الله هَلْ نَرى رَبَّنَا يَوْمَ القيامةِ؟ فقال: «هل تضارُّونَ (تشكون) في رُؤْيَةِ الشمسِ في الظهيرة (وقت الظهر) لَيْسَتْ في سَحَابَة؟ قالوا: لا. قال: فهَلْ تُضَارُّونَ في رُؤْيَةِ القمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ في سحابةٍ؟ قالوا: لا. قال: «فوالذي نَفْسِي بِيَده لا تُضَارُّونَ في رؤيةِ رَبِّكُمْ إلا كما تضارون في رؤية أحدِهما، فَيَلْقى العبدُ ربَّهُ فيقول؛ أيْ قُلُ (يا فلان) ألم أكْرِمْكَ وأسَوِّدْكَ (أجعلك سيداً) وأزَوِّجْكَ وأسَخِّرْ لَكَ الخيلَ والإبِلَ وأذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ (وتغنم مما أعطاك الله وخلق لك) فيقولُ: بلىٰ يَا رَبِّ، فَيقولُ: أَظَنَنْتَ أنكَ ملاقِيَّ؟ فيقولُ: لا. فيقولُ: إني أَنْسَاكَ كما نَسِيتَنِي، ثم يَلْقىٰ الثانيَ فيقولُ: أيْ قُلُ، ألم أكْرِمْك وأسوِّدْك وأزوجْك وأسخرْ لك الخيلَ والإبلَ، وأذَرْكَ تَرْأَسُ وَتربعُ؟ فيقول: بلى يا رب. فيقول: أظننتَ أنكَ ملاقِيَّ؟ فيقول: أي ربِّ آمنتُ بك وبكتابك وبرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ وصمتُ وتصدقتُ، ويُثْني بخيرٍ ما استَطاع، فيقولُ: هَهُنَا إذاً، ثم يقول: الآنَ نَبْعَثُ شاهِداً عليكَ، فيتفكرُ في نَفْسِهِ. مَنْ ذا الذي يَشْهَدُ عليَّ؟ فيُخْتَمُ عَلى فيهِ، ويقالُ لِفخذِهِ: انْطِقي، فيَنْطِق فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وعِظَامُهُ بعملهِ وذلك ليُعذَر مِنْ نَفْسِهِ، وذلك المنافق، وذلك الذي يَسْخَطُ الله عَلَيْهِ. رواه مسلم

وعن أنس رضي الله عنه قال: كنا عندَ رسول الله ﷺ فضَحكَ فقال: «هَل تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قلنا الله ورسوله أعلم. قال: مِنْ مُخَاطَبَةِ العبدِ ربَّه فيَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تَجُرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ يقول: بلىٰ. فيقول: إني لا أجيزُ اليومَ

على نفسي إلا شاهداً منِّي، فيقول: كَفَى بِنَفْسِكَ اليَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ويا لكَرامِ الكَاتِبِينَ شهُوداً، قال فَيَخْتِمُ علىٰ فِيهِ وَيَقُولُ لأَرْكَانِهِ انْطقي، فَتَنْطِقُ بأعمالِهِ، ثم يُخَلَّى بينه وبيْنَ الكلامِ فيقول: بُعْداً لكُنَّ وسُحْقاً، فَعَنكُنَّ كُنْتُ أُناضِلُ » رواه مسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَرَأَ رسولُ الله ﷺ هذه الآية « يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَها، قال: أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟ قالوا اللهُ ورسولهُ أعْلَم، قال: « فإن أخبارَها أنْ تَشْهَدَ على كلِّ عَبْدٍ وأَمَةٍ، بما عَمِل علىٰ ظَهْرِها، تقول: عمل كذا وكذا. » رواه ابن حبان في صحيحه والترمذي وصححه وأحمد. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إن هٰذَا المالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، ونِعْمَ هُوَ لِمنْ أعطى مِنْه المِسْكينَ واليتيمَ، وابن السَّبيل، وإنَّهُ مَنْ يَأْخُذُه بغَيْرِ حَقِّه كانَ كالذي يَأْكُلُ ولاَ يَشْبَعُ، ويكونُ شَهِيداً عَلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ » مسلم. وفي الحديث الذي أخرجه أبو نعيم: مَا مِنَ يَوْمٍ يَأتي على ابْنِ آدم إلا يُنَادىٰ فيه يا ابْنَ آدم. أنتَ خَلْقٌ جديدٌ وأنا فيما تَعْمَلُ عليكَ شهِيد، فاعمَل خيْراً أشْهَدْ لكَ به غداً فإني لو مَضَيتُ لن تراني أبداً ويقول الليلُ مثلَ ذلك » فيكون الشهود الذين يشهدون على الإنسان يوم القيامة أربعة عشر شاهداً سوى الناس، وهم: اللسان، والأيدي، والأرجل، والفخذ، والسمع، والبصر، والجلد، والعظم، واللحم، والأرض، والليل، والنهار، والحفظة الكرام، والمال. وقد سبقت الأدلة وبقي آيتان لاستكمال العدد وهما:

قوله تعالى:

يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ النور ٢٤

وقوله تعالى:

حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ

فُصلت ٢٠

ويدخل الجنة من أمة محمد ﷺ سَبْعونَ ألفاً بِغَيْرِ حساب وهم الذين لا يَرْقُون، ولا يَسْتَرقُون (يطلبون الرقية) ولاَ يَتَطَيَّرون (يتشاءمون بالطيور) وعلى ربِّهم يتوكلون» كما جاء في حديث طويل رواه البخاري ومسلم

تسلم كتب الأعمال وصحائفها

وصحائف الأعمال هي الكتب التي كتب فيها الملائكة ما فعله العباد في الدنيا من اعتقادات وأقوال وأفعال، وهي ثابتة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة مثل غيرها من أحداث الموقف كالميزان والحساب والورود على جهنم والشفاعة ورؤية الله تعالى في الموقف بالنسبة للمؤمنين، وهذه الصحف لا يأخذها الأنبياء والملائكة ومن يدخلون الجنة بغير حساب، لأنهم لا حساب عليهم، فيا سعادتهم حين تأتيهم البشرى من رب الأرباب، ويقال لهم ادخلوا الجنة بغير حساب، قال تعالى في شأن صحف الأعمال مبينا أن السعيد من يأخذها بيمينه والشقي من يجبر على أخذها بشماله من وراء ظهره:

﴿يَوْمَئِذٍ (يوم القيامة) تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ۝ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ۝ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۝ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۝ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ۝ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (أدخلوه) ۝ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا (طولها بالذراع)

سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ (اربطوه بها) الحاقة ١٨ - ٣٢

وقال تعالى:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا الانشقاق ٦ - ١٢

والآيات في ذلك كثيرة.

والمعنى: يا أيها الإنسان إنك جاهد في عملك إلى يوم لقاء ربك فملاقٍ عملَك المذكور يوم القيامة من خير أو شر، فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً سهلا بأن تعرض أعماله على الله بدون مناقشة أو تدقيق، فإن من نوقش الحساب عذب كما سبق في الحديث، وعن عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول في بعض صلاته: «اللهمَّ حَاسِبْنِي حِسَاباً يَسِيراً» فلما انصَرَفَ قلتُ: مَا الحِسَابُ اليَسِيرُ؟ قال: أن يَنْظُرَ في كِتَابِهِ فيَتَجَاوَزَ لَهُ عَنْهُ، إنه من نُوقِشَ الحِسابَ يا عائِشَةُ يَوْمَئِذٍ هَلَكَ» قال ابن كثير: صحيح على شرط مسلم، رواه أحمد.

وأما من أوتي كتابه وراء ظهره، فذلك بأن يجبر على أخذه بشماله من وراء ظهره، وذلك أمارة شؤمه وشقائه والعياذ بالله، لذلك ينادي بالويل والثبور وهو الهلاك - ولا ينفع نداء ولا صياح بعد أن سبق القضاء وحل الشقاء في دار الجزاء.

ومن صور الحساب اليسير مع أخذ الكتاب باليمين ما جاء في الصحيحين عن صفوان ابن مُحرزٍ قال: كنتُ آخذاً بِيَدِ ابنِ عُمَر إذْ عَرَض له رجُلٌ فقال: كَيْفَ سمعتَ رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة؟ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إن اللهَ يُدْني المؤمِنَ فيضَعُ عَلَيْه كنَفَهُ ويَسْتُرُه

من الناس ، ويُقرِّره بذُنوبهِ ويَقُولُ له: أتعْرِفُ ذَنبَ كَذَا؟ أتعرِفُ ذَنبَ كَذَا؟ أتعرِفُ ذَنْبَ كَذا؟ حتى إذا قرَّرَهُ بِذُنُوبِه ورأى في نَفْسِه أنْ قَدْ هَلَكَ قال: فإني سَتَرْتُها عَلَيْكَ في الدُّنيا وأنا أغفِرُها لَكَ اليوْمَ، ثم يُعطى كتَابَ حَسَنَاته، وأما الكفار والمنافقون فيقولُ الأشهادُ: هؤُلاءِ الذينَ كَذَبُوا عَلى رَبِّهِمْ ألاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلى الظَّالِمينَ »

الميزان

وهو ذوَ كَفَّتَينِ ولسان كالميزان المعهود. قال شارح الطحاوية: والذي دلت عليه السنة أن ميزان الأعمال له كفتان حسِّيَّتان مشاهدتان، واستدل بحديث التسعة والتسعين سجلاً، وسيأتي. وقال القرطبي: قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال،لأن الوزن للجزاء،فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها.

قال تعالى:

وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ الأنبياء ٤٧

وقال تعالى:

فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ

المؤمنون ١٠٢-١٠٣

قال القرطبي: وجمع الموازين في الآية إما لأن هناك موازين متعددة توزن فيها الأعمال، وإما التعددُ لتعددِ الأعمال التي توزن وتنوعها

وأما كيف توزن الأعمال وهي أعراض لا ثقل لها ولا حجم ولا شيء من الأمور المادية المعلومة؟ والجواب،أن ذلك أمر متروك لله تعالى يكيفه كيف يشاء، فيزن تعالى الأعمال بوزن كتبها،أو يجعل الله لكل عمل صورة وحجماً رمزياً ثم يزنها، كما يأمر بأن يأتى بالموت في صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار فعلينا أن نؤمن بالميزان ونترك الكيفية والعلم بها وحقيقتها لله سبحانه وتعالى.

جاء عن الحسن عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت النارَ فَبكَتْ، فقال رسول الله ﷺ: « ما يُبْكِيكِ؟ قَالَتْ: ذَكَرْتُ النارَ فَبكَيْتُ فَهَلْ تَذْكُرونَ أهْلِيكُمْ يَوْمَ القِيامَةِ؟ فقال رسول الله ﷺ:« أمَّا في ثَلاثَةِ مَواطِنَ فَلاَ يَذْكُرُ أَحَدٌ أحداً، عِنْدَ المِيزَان حَتَّى يَعْلَمَ أَيَخِفُّ مِيزَانُهُ أَمْ يَثْقُلُ؟ وَعِنْدَالكِتابِ حِين يُقالُ: هَاؤُمُاقْرَءُواكِتَابِيَة، وَعِنْدَ الصِّرَاطِ إذا وُضِعَ بَيْنَ ظَهْرَيْ جهَنَّمَ حَتَّى يجوزَ » رواه أبو داود .وعن سلمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « يُوضَعُ المِيزَانُ يَوْمَ القِيامَةِ فَلَوْ دُرِّي فِيهِ (وضع فيه) السَّمواتُ والأرضُ لَوسِعَتْ، فتقولُ الملائكة يَا رَبِّ لِمَنْ يَزِنُ هَذَا؟ فيقول اللهُ لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي، فيقولون سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبادتِكَ » رواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلى اللسانِ، ثَقِيلَتَانِ في المِيزَانِ، حبيبتَان إلى الرَّحْمٰن ، سبحانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ سُبْحانَ اللهِ الْعَظِيمِ » أخرجه أحمد والشيخان.

وعن ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: « إن اللهَ عز وجلّ يَسْتَخْلِصُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتِي على رُؤُسِ الْخلائقِ يَوْمَ القِيامَةِ فَيَنْشُرُ لَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سجلاً(كتاباً) كُلُّ سجلٍّ مَدَّ الْبَصَر فيقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هذا شَيْئاً؟ فيقولُ: لا يَا ربِّ، فيقولُ: أَظَلَمَكَ كَتبَتِي الحافِظُون؟ فيقُولُ: لا يا ربِّ.

فيقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ أو حَسَنَةٌ؟ فيقولُ: لا يَا رَبِّ. فيقولُ اللهُ عز وجل: بَلىٰ إنَّ لَكَ عِندَنا حَسَنَةً، وإنَّهُ لا ظُلْمٌ عَلَيْكَ الْيَومَ، فَيُخْرِجُ بِطَاقَةً له فِيها: أَشْهَدُ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله، فيقول: احْضُرْ وَزْنَكَ، فيقول: مَا هٰذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هٰذِهِ السِّجِلاَّتِ؟ فيقول: إنَّكَ لَنْ تُظْلَمَ، فَتُوضَعُ السِّجِلاَّتُ فِي كِفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ في كِفَّةٍ، فَطَاشَتْ السِّجِلاَّتُ وَثَقُلَتْ الْبِطَاقَةُ، وَلاَ يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ تَعَالى شَيْءٌ» رواه أحمد وابن ماجه والترمذي وقال: حسن، والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم

الصراط

الصراط جسر ممدود على ظهر جهنم يمر عليه الأولون والآخرون، كلٌّ حسب عمله، فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح العاصف، ومنهم من يمر كالجواد السريع، ومنهم من يمر هرولة، وناس يمرون حبوا، وآخرون يمرون زحفاً، وكثيرون يتساقطون في النار ثم يخرجون منها بعد مدة، وأكثرون يقعون فيها فلا يخرجون أبداً،وعلى جوانب الصراط كلاليب مثل الخطاطيف تخطف أهل النار وتوقعهم فيها بإذن الله تعالى:

قال تعالى في جهنم:

وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا مريم ٧١ - ٧٢

وعن ابن مسعود قال: الصِّراط على جهنم مثلُ حَدِّ السيف » وقال شارح الطحاوية في الآية السابقة: واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور ما هو؟والأظهرُ الأقوى أنه المرور على الصراط، قال تعالى: « ثم ننجي الذين اتقوا الخ » وفي الصحيح أنه ﷺ قال:«والذي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ بلجُ النارَ أحَدٌ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ » قالت حفصة فقلت يا رسول الله أليس اللهُ يقول: وإن منكم إلا واردها؟ فقال ألم تسمعِه قال: ثم نُنَجِيِّ الذينَ اتقَوْا ونَذَرُوا الظالمين فيها جِثِيّاً؟ أشار ﷺ إلى أن ورود النار لا يستلزم دخولها، وأن النجاة من الشر لا تستلزم حصوله، بل تستلزم أنعقاد سببه، فمن طلبه عدوه ليهلكه ولم يتمكن منه يقال: نجاه الله منه.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: يوضَعُ الصراط على سواء جهنم (وسطها) مثل حد السيف المرهَف (الحاد) مَدْحَضَةٌ مَزَلَّةٌ (موضع انزلاق وسقوط) عليه كلاليب من نار يخطَفُ بها، فمُمْسَكٌ يهوى فيها، ومَصْرُوعٌ، ومنهم من يمر كالبرق فلا ينشب ذلك أن ينجو (أي لا يلبث عليه ولكن ينجيه الله) ثم كالريح فلا ينشب ذلك أن ينجو، ثم كجري الفرس، ثم كرمَل الرجل (أي السرعة في السير) ثم كمشي الرِّجْل، ثم يكون آخرهم إنسانا رَجُلٌ قد لَوَّحَتْه النارُ ولَقِي فيها شرا حتى يدخله الله الجنة بفضل رحمته فيقال له تَمَنَّ وسَلْ (اطلب ما تشاء) فيقول: أي ربِّ أَتَهْزَأُ مني وأنت ربُّ العزة؟ فيقال له تمن وسل، حتى إذا انقطعت به الأماني قال: لك ما سألت ومثلُه مَعَه » أي فيتمنى حتى إذا انتهى من الأماني والمطالب قيل له ذلك » رواه الطبراني بإسناد حسن كذا قال المنذري وله شبيه في الصحاح.

وعن حذيفة وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا قال رسول الله ﷺ: « يَجْمَعُ اللهُ النـاسَ، فذكر الحديث إلى أن قالا فيأتونَ محمداً ﷺ فيقُومُ ويُؤْذَنُ لَهُ، ويُرسَلُ معه الأمَانَةَ والرَّحِمُ (حقوق الأقرباء) فيقومان جَنْبَتي الصراط يمينا

وشمالاً ،فيَمُرُ أولكم كالبَرقِ، قال: قلت: بأبي أنتَ وأمي أيُّ شيء كمَرِّ البرقِ؟ قال: ألم تروا إلى البرقِ كَيْفَ يَمُرُّ ويَرْجعُ في طَرْفَةِ عينٍ؟ ثم كمر الرِّيح، ثم كمر الطَّيْرِ وشدِّ الرِّجَال (جريهم) تجري بهم أعْمَالـهُمْ، ونبيُّكم ﷺ قَائِم على الصِّراط يقول: يا ربِّ سَلِّم سلِّم حتى تعْجِزَ أعْمَالُ العِبَادِ حتى يجيء الرجلُ فلا يَسْتطيعُ السَّيْرَ إلا زاحفاً، قال: وفي حافَتَي الصِّراطِ كَلَالِيبُ مُعلقَةٌ مأْمُورَةٌ تأخذُ من أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ (مجروح لم يُلْق في النار) ومَكْدُوشٍ في النارِ (مأخوذ بشدة ليقع فيها) والذي نَفْسُ أبي هريرة بيَدِهِ إن قَعْرَجَهَنَّمَ لَسَبْعِينَ خَرِيفاً (إن عمقها يصل الساقط فيها اليه في سبعين سنة) رواه مسلم. هذا الحديث صريح وواضح في أن الصراط على متن جهنم، وفي أن الناس يمرون عليه حسب أعمالهم، وفي أن الكلاليب تسقط في النار من قدر الله تعذيبه فيها فلا داعي للخلاف بعد ذلك في أمر الصراط وأين هو؟ وما كيفيته؟ وهل جميع الناس يدخل النار ثم يخرج الناجون أم لا يدخلها إلا المعذبون عذاباً مؤقتا أو دائماً. فقد أجابت الأحاديث عن هذه التساؤلات وأجابت عن كل شيء يخص الصراط والحمد لله

الحوض

يجب الإيمان بأن لكل رسول حوضا يرده الطائعون من أمته، وأن حوض النبي محمد ﷺ أكبرها وأعظمها. طوله مسيرة شهر وكذلك عرضه، مربع الشكل، له ميزابان يصبان فيه منالكوثر، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، كيزانه أكثر من نجوم السماء، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً ظمأ ألم، يرده الأخيار، وهم المؤمنون بالنبي ﷺ الآخذون بسنته وسنة الخلفاء

الراشدين المهديين من بعده، ويطرد عنه الكفار، والمنافقون والمبتدعون في العقيدة، وكل من أبعد الناس عن دين الله وقانونه وحكمه، وكل من فتن المسلمين في دينهم ولبَّس عليهم فيه، وجلب عليهم الشهوات والأهواء والفتن ليضلهم عن سبيل الله ودينه الحق.

والحوض ثابت بأحاديث مشهورة تفيد التواتر المعنوي منها حديث ابن عمرُ أن النبي ﷺ قال: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وزَواياه سَواءٌ، وماؤُهُ أبيضُ من اللبَن، وريحُه أطيبُ من المِسْك، وكيزانهُ كنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ يَشْرَبُ مِنْهُ فَلاَ يَظْمَأُ أبداً» أخرجه البخاري ومسلم.

وعن ثوبان أن النبي ﷺ قال: «إني لبِعُقْر حَوْضي أَذُودُ الناسَ عنه لأهْلِ اليَمَن أضْرِبُ بِعَصَايَ حتَى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ. فَسُئِلَ عن عَرْضِه؟ فقال: «مِنْ مقامي إلى عَمَّان، وسُئِلَ عَنْ شِرَابِه؟ فقال: أشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ وأحْلَى مِنَ الْعَسَل، يُغتُّ فيهِ ميزَابان يُمِدَّانِه مِنَ الْجَنَّةِ، أحَدُهُمَا من ذَهَبٍ وآخَرُ مِنْ وَرِقٍ» رواه مسلم وأحمد والبغوي

عُقْر الحوض: مُؤَخَّرُه.

أذودُ الناس لأهل اليمن: أطردهم ليَرِدَ أهل اليمن ويشربوا إكراما لهم

يَرْفضَّ: يسيل عليهم وينالهم من رشاشه.

يُغِدَّ فيه ميزابان: يدفقان الماء فيه دفقا متتابعا له صوت خرير الماء الكثير المتساقط.

من ورق: من فضة.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن اللهَ وَعَدَني أن يُدْخِلَ الجنةَ من أمَّتِي سَبْعِينَ ألفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ، فَقَالَ يَزِيدُ بنُ الأُخْنَس: واللهِ مَا اولئك في أُمَّتِك إلا كالذُّبَابِ الأصْهَبِ (الأحمر) في الذُّبَابِ، فقال رسول الله ﷺ: «قَدْ وَعدَني سَبْعِينَ ألفاً مع كلِّ ألف سبعين ألْفاً وَزَادَني ثَلاثَ حَثَيَاتٍ، قال فما سَعَةُ حَوْضِكَ يا نَبِيَّ اللهِ؟ قال: «كَمَا بَيْنَ عَدَنٍ إلى عَمَّان وَأوْسَع

وأوسعُ، يُشِيرُ بِيَدِهِ، قال: « فيهِ مَثْعَبَانِ (مكانان يسير الماء منهما) مِن ذَهَبٍ وَفِضةٍ، قال: فماءُ حَوْضِكَ يا نَبِيَّ اللهِ؟ قال: « أشَدُّ بياضاً مِنَ اللبَن، وأحْلَى مِن العَسَلِ، وأطيبُ رائحةً من المِسْكِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شَرْبَةً لَمْ يَظْمأْ بَعْدَهَا أبَداً ولَمْ يَسْوَدَّ وَجْهُهُ » رواه أحمد ورواته محتج بهم في الصحيح. كذا قال المنذري في الترغيب والترهيب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « وَبيْنَا أَنَا قَائِمٌ عَلَى الْحَوْضِ إذَا زُمْرَةٌ (جماعة) حَتَّى إذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِم فقال: هَلُمَّ (أقبلوا) فَقُلْتُ: إِلَى أيْنَ؟ قال: إِلَى النَّارِ واللهِ، فقلتُ: ما شَأْنُهُم؟ فقال: إنهُمْ ارْتَدُّوا علَى أَدْبَارِهِمْ القَهْقَرَى (رجعوا وراءهم متأخرين عنك مغيِّرين في عقائدهم بعيدين عن صالحات الأعمال) ثم إذا زُمْرَةٌ أخرى، حتى إذا عَرَفْتُهم خَرَجَ رَجُلٌ من بَيْنِي وبينهم فقال لَهُم: هَلُمَّ قلتُ إلى أيْنَ؟ قال: إلى النارِ واللهِ. قلت ما شَأْنُهُم؟ قال: إنهم ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ فَلاَ أَرَاهُمْ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إلا مثلُ هَمَلِ النَّعِيمَ (إلا مثل الضالة من الأنعام أي إلا قليل جداً) البخاري ومسلم وجاء في رواية لمسلم: قالوا يَا نَبِيَّ الله تَعْرِفُنَا؟ قال: نَعَمْ لَكُمْ سِيما (علامة) لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرَّاً (بيض الجباه: أي في وجوههم نور) مُحَجَّلِينَ (أي في أرجلهم نور) مِنَ آثارِ الوضُوء ». وعن أنس رضي الله عنه قال: بَيْنَا رسُول الله ﷺ في المسجد إذْأَغْفَى إغْفَاءَةً، ثم رَفَعَ رأسَه ضاحكا، فقيل: ما أضْحَكَكَ يا رسولَ الله؟ قال: « نَزَلَتْ عليَّ سُورة آنفاً، فقرأ (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحيمِ إنَّا أعْطيناك الكوثرَ الخ) فقال: أتَدْرونَ مَا الْكَوْثَرُ؟ قلنا: اللهُ ورسولهُ أعلَمَ. قال: « إنَّه نَهْرٌ وَعَدَنِيهُ رَبِّي عَزَّ وجَلَّ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ وَهُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتي يَوْمَ القِيَامَةِ آنيَتُه عَدَدُ نُجُومِ السَّماءِ، فَيَخْتَلِجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ (يؤخر ويمنع) فأقولُ: « رَبِّي إنَّهُ مِنْ أمَّتِي. فيقُولُ: مَا تَدرِي ما أحْدَثَ بَعْدَكَ » رواه الشيخان.

قال المؤلف في كتاب تبسيط العقائد الإسلامية ص ٢٢٩ ما يأتي.

فائدة: صحح الإمام الغزالي أن الحوض قبل الصراط وكذلك القرطبي وقال: المعنى يقتضيه فإنَّ الناس يخرجون من قبورهم عطاشا فناسب تقديم الحوض، وأيضاً فإنه من جاز الصراط لا يتأتى طرده عن الحوض فقد كملت نجاته ولم يبق إلا أن يدخل الجنة، ورجح القاضي عياض أنه بعد الصراط، وأن الشرب منه يقع بعد الحساب والنجاة من النار، ويؤيده من جهة المعنى أن الصراط يسقط منه من يسقط من المؤمنين، ويخدش فيه من يخدش، ووقوع ذلك للمؤمن بعد شربه من الحوض بعيد،فناسب تقديم الصراط على الحوض حتى إذا خلص من خلص شرب من الحوض: وقيل يشهد له ما تقدم من أن للحوض ميزابين يصبان فيه من الكوثر. ولو كان قبل الصراط لحالت النار بينه وبين وصول ماء الكوثر إليه، ولكن وصول ذلك ممكن والله على كل شيء قدير، ويمكن الجمع بأن يكون الشرب من الحوض قبل الصراط لقوم وبعده لآخرين بسبب ما عليهم من الذنوب.

هذا. ولم يقم دليل صريح على شيء مما ذكر فالواجب اعتقاده هو أن النبي ﷺ له حوض تعدد أو اتحد، تقدم على الصراط أو تأخر، ولا يضرنا جهل ذلك.

الشفاعة

الشفاعة معناها في اللغة: الوسيلة والطلب: ومعناها عرفاً: سؤال الخير للغير وهي تكون من الأنبياء والعلماء العاملين والشهداء والصالحين.

يشفع كل لأهل الكبائر على قدر منزلته عند الله تعالى كما تحصل شفاعات لغير ذلك مما سيرد ذكره إن شاء الله تعالى

قال شارح الطحاوية ص ١٥٤: إن الناس في الشفاعة على ثلاثة أقوال: فالمشركون والنصارى والمبتدعون من الغلاة في المشايخ وغيرهم يجعلون شفاعة من يعظمونه عند الله كالشفاعة المعروفة في الدنيا، والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة نبينا ﷺ وغيره في أهل الكبائر، وأما أهل السنة والجماعة فيقرون بشفاعة نبينا ﷺ وشفاعة غيره في أهل الكبائر، لكن لا يشفع أحد حتى يأذن الله له ويحد له حداً كما في الحديث الصحيح. حديث الشفاعة وفي آخره: فيقول:

أَيْ مُحمدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعُ لَكَ واشْفَعْ تُشَفَّعْ فأقولُ ربِّي أمَّتي، فَيَحُدُّ لي حَدًّا فَأَدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ ثم أنْطَلِقْ فَأَسْجُدُ فَيَحُدُّ لي حَدًّا. ذكر هذا ثلاث مرات.

قال شارح الطحاوية في الشفاعة كلاماً قيما أحببت أن ألخصه للقارىء وهو: ص ١٤٨ الشفاعة أنواع: منهَا ما هو متفق عليه، ومنها ما خالف فيه المعتزلة ونحوهم من أهل البدع.

النوع الأول: الشفاعة العظمى وهي الخاصة بنبينا ﷺ من بين سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين، وهي المقام المحمود المذكور في قوله تعالى:

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾
الإسراء ٧٩

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

« سُئِل النبيُّ ﷺ عن المَقَامِ المحمودِ في الآية فقال: هُوَ الْمَقَامُ الذي أَشْفَعُ فيهِ لِأُمَّتِي » أحمد والترمذي والبيهقي في الدلائل.

وعن ابن عمر أن النبي ﷺ قال:

« إن الشَّمْسَ تَدْنُو يَوْمَ القِيَامَةِ حتى يَبْلغَ العرقُ نصفَ الأُذُنِ، فبينَمَا هُمْ كذلِكَ استغاثوا بآدم فيقول: لستُ بِصَاحِبِ ذلِكَ، ثم بموسى فيقول كذلِكَ، ثم بمحمد ﷺ فَيَشْفَعُ ليُقْضَى بَيْنَ الْخَلْقِ، فَيَمْشِي حَتَّى يأخُذَ بِحَلْقَةِ بَاب الجنةِ، فيومَئِذٍ يَبْعَثُهُ اللهُ مَقَاماً محموداً يَحْمَدُه أَهْلُ الجَمْعِ كلُّهُم » أخرجه البخاري وابن جرير.

(وجاء مثله كثير وسأذكر لك طرفاً من ذلك بعد ذكر كلام شارح الطحاوية).

الثاني والثالث من أنواع الشفاعة: شفاعته ﷺ في أقوام قد تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة، وفي أقوام آخرين قد أمر بهم إلى النار لا يدخلونها.

النوع الرابع: شفاعته في رفع درجات من يدخل الجنة فيها فوق ما كان يقتضيه ثواب أعمالهم، وقد وافقت المعتزلة على هذه الشفاعة خاصة وخالفوا فيما عداها من المقامات مع تواتر الأحاديث فيها.

النوع الخامس: الشفاعة في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب كما في حديث عُكَّاشَةَ بن مُحْصِنٍ.

النوع السادس: الشفاعة في تخفيف العذاب عمن يستحقه كشفاعته في عمه أبي طالب أن يخفف عنه عذابه. قال القرطبي في التذكرة بعد ذكر هذا النوع: فإن قيل قال تعالى في الكافرين « فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ؟ » قيل له لا

تنفعه في الخروج من النار، كما تنفع عصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة.

النوع السابع: شفاعته أن يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة، جاء في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أَنَا أولُ شفيع في الْجَنَّةِ**»

النوع الثامن: شفاعته في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث، وقد خفي ذلك على الخوارج والمعتزلة فخالفوا في ذلك جهلاً منهم بصحة الأحاديث.

وهذه الشفاعة يشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضاً، وهذه الشفاعة تتكرر منه ﷺ أربع مرات اهـ.

وإليك بعض الأحاديث في الشفاعة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ **في دَعْوَةٍ** (وليمة) **فَرُفِعَ إليه الذراعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنهَا نَهْسَةً** (أخذ قليلا منها بأطراف أسنانه) وقال: «**أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ. هل تَدْرُونَ مِمَّ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ الأَوَّلِينَ والآخَرِينَ في صَعِيدٍ واحِدٍ فَيُبْصِرُهُمْ النَّاظِرُ وَيُسْمِعُهُمُ الداعِي، وتَدْنُو مِنْهُمُ الشمْسُ، فَيَبْلُغُ الناسَ مِنَ الغَمِّ والكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ ولاَ يَحْتَمِلُونَ، فيقولُ النَّاسُ: أَلاَ تَرَوْنَ إلى مَا أَنْتُمْ فيه وإلى مَا بَلَغَكُمْ؟ ألا تَنْظُرونَ مَن يشْفَعُ لكُمْ إلى رَبِّكُمْ؟ فيقول بَعْضُ الناسِ لِبَعْضٍ: أَبُوكُمْ آدم، فيأتونه فيقولُونَ: يا آدمُ أَنْتَ أبو الْبَشَر، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وأمرَ الملائكَةَ فَسَجَدوا لَكَ، وأَسْكَنَكَ الجَنَّةَ، أَلاَ تَشْفَعُ لَنَا إِلى رَبِّكَ؟ أَلاَ تَرى مَا نَحْنُ فِيهِ وما بَلَغنَا؟، فَقَالَ: إنَّ رَبِّي غَضِبَ اليومَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَه مِثْلَه، وإنهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ،**

نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، إذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، إذهَبُوا إلى نُوحٍ، فيأتونَ نوحاً فيقولونَ: يا نوحُ أَنْتَ أولُ الرُسُلُ إلى أهْلِ الأَرْضِ، وقد سمَّاك اللهُ عَبْداً شَكُوراً، ألا تَرَى إلى مَا نَحْنُ فيهِ؟ ألا تَرَى إلى مَا بلَغنَا، ألا تَشْفَعُ لَنَا إلى رَبِّك؟ فيقول: إنَّ رَبِّيَ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَباً لَمْ يغضَبْ قبلَه مِثْلَه ولَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وإنه قد كانَ لِي دَعْوَةٌ دعوتُ بِهَا عَلى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذهبوا إلى غَيْري، اذهبوا إلى إبْراهِيمَ، فيأتونَ إبراهيمَ فيقولونَ: أنتَ نبيُّ اللهِ وخليلُه من أهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لنا إلى رَبِّك، ألا ترى إلى ما نحنُ فيه فيقول لهم: إن رَبِّي قد غَضِبَ اليومَ غضباً لم يغْضَبْ قبْله مثْله، ولَنْ يغضَبَ بَعْدَه مِثْله، وإنِي كنتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كذباتٍ، فذكَرَهَا، نَفْسِي نفسي نفسي، إذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى مُوسىٰ، فَيأتون مُوسى فيقولون: أنْتَ رسولُ اللهِ فَضَّلَكَ الله برسالاتِه وبكلامِهِ على الناسِ، اشْفَعْ لَنَا إلى ربِّك أما ترى إلى ما نحنُ فيهِ؟ فيقول: إن ربِّي قد غضِبَ اليومَ غضبا لم يغضب قبلَهُ مثله ولن يَغْضَبَ بَعْدَهُ مثلَه، وإني قد قتلت نفساً لم أومَرْ بِقَتْلِها، نفسي نفسي نفسي إذهبوا إلى غَيْري. إذهَبُوا إلى عِيسَى، فيأتونَ عِيسَى فيقولُونَ: يا عِيسَى أَنْتَ رسولُ اللهِ وكلمَتُهُ أَلْقَاهَا إلى مَرْيَمَ ورُوحٌ مِنْهُ، وكَلمتَ النَّاسَ في الْمَهْدِ، اشْفَعْ لَنَا إلى رَبِّكَ ألا ترى إلَى مَا نَحنُ فِيهِ؟ فيقولُ عِيسىٰ: إن ربي قد غضِبَ اليومَ غضباً لم يغضَبْ قبلَه مثلَه، ولن يغضَبَ بعدهُ مثلَه ولم يذكُرْ ذَنْباً نفسِي نفسِي نفْسِي إذهبوا إلى غيري، إذهَبُوا إلى محمد ﷺ، فيأتُونِي فَيَقُولُونَ: يا محمد. أنت رسول الله وخاتَمُ الأَنْبِياءِ وقَدْ غفَرَ اللهُ لَكَ ما تقدَّمَ من ذَنْبك ومَا تَأَخَّرَ، إشْفَعْ لَنَا إلَى رَبِّك، ألا تَرَى إلى ما نحنُ فيه؟ فأنطلق فَآتي تحتَ العرشِ، فأقعُ سَاجِداً لربِّي، ثم يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ من مَحَامِدِه وحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْه على أحدٍ قَبْلِي، ثم يُقَالُ: يا مُحَمَّد ارفَعَ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ، فأرفعُ رأسِي فأقولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي يا ربُّ أمتي يا ربُّ، فيقال: يا محمد. أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الْجَنَّةِ،

وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيما سِوَى ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ، ثم قال: والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ (نصفي الباب) من مَصَارِيعِ الجَنَّةِ كما بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ، أو كما بين مكة وبُصْرَى» رواه البخاري ومسلم.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «اشْفَعُ لِأُمَّتِي حتى ينادِيَنِي رَبِّي تَبَارَكَ وتعالى فيقولُ: أَقَدْ رَضِيتَ يَا مُحَمَّدُ؟ فأقُولُ: اي ربِّ قَدْ رَضِيتُ» رواه البزار والطبراني وإسناده حسن إن شاء الله. كذا قال المنذري

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي» رواه أبو داود والبزار والطبراني وابن حبان في صحيحه والبيهقي.

وعن عبدالله بن عمر عن النبي ﷺ قال:

«خُيِّرتُ بَيْنَ الشفاعَةِ أو يَدْخُلَ نصفُ أمَّتِي الْجَنَّةِ،فاختـرْتُ الشفاعَةَ لأَنها أعَمُّ وَأَكْفَى، أما إنها لَيسَتْ لِلمُؤْمِنِينَ المُتَقَدِّمِينَ، ولكنها للمُذْنِبِينَ الخَطّائِينَ المُلَوَّثِينَ» رواه أحمد والطبراني واللفظ له وإسناده جيد. كذا قال المنذري

وعن أنس في حديث جاء في آخره قوله ﷺ:

«فَشَفَعْتُ في أمَّتِي أن أُخْرِجَ من كُلِّ تِسعَةٍ وتِسْعِينَ إنسَاناً وَاحِداً. قال فما زِلْتُ أَتَرَدَّدُ على رَبِّي فَلاَ أَقُومُ فِيهِ مَقَاماً إلا شَفَعْتُ حتى أَعْطَانِي اللهُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ قَالَ: أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ من خلقِ اللهِ مَنْ شَهِد أن لا إلهَ إلا اللهُ يَوْماً وَاحِداً مُخْلِصاً وَمَاتَ عَلَى ذَلِكَ» رواه أحمد، ورواته محتج بهم في الصحيح.

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: أصبح رسول الله ﷺ ذات يوم فصلى الغداةَ (الصبح) ثم جلس حتى إذا كان من الضحى ضَحِكَ رسولُ الله ﷺ وجلَس مكانَه حتى صلى الأولى (الظهر) والعصرَ والمغربَ، كلُّ ذلك لا

يتكلَّمُ حتى صلى العِشَاءَ الآخِرَةَ ثم قامَ إلى أهْلِه، فقال الناسُ لأبي بكر رضي الله عنه:

سل رسول الله ﷺ ما شَأْنُهُ؟ صَنَعَ اليَوْمَ شَيْئاً لَمْ يَصْنَعْهُ قَطُّ فقال: نَعَمْ عُرِضَ عَلَيَّ ما هُوَ كَائِنٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا والآخِرَةِ فَجُمِعَ الأَوَّلونَ والآخِرُون بِصَعِيدٍ واحِدٍ حتى انْطَلَقُوا إلى آدَمَ، ثم ذكر نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام كالحديث السابق إلى أن قال: فينطلقونَ إليَّ، ثم يذكر سجوده لربه ودعاءه إلى قوله: أَيْ رَبِّ جَعَلْتَنِي سَيِّدَ وَلَدِ آدَمَ ولا فَخْرَ، وَأَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ يَوْمَ القيامَة ولا فَخْرَ حتى إِنَّهُ لَيَرِدُ على الْحَوْضِ أكْثَرُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَة، ثم يقالُ: ادعوا الصِّدِّيقِينَ فَيَشْفَعُونَ، ثم يقال: ادعوا الانبياء فَيَجِيءِ النبي معه العِصابة، والنبيُ مَعَهُ الخَمْسَةُ أَوْ السِّتَّةُ، والنبيُّ لَيْسَ مَعَه أَحَدٌ ثم يقالُ: ادعوا الشُّهَدَاءَ فَيَشْفَعُونَ فِيمَنْ أَرادُوا، فإذَا فَعَلَتْ الشهداءُ ذَلِكَ يَقُولُ اللهُ جَلَّ وَعَلاَ، أَنَا أَرْحَمُ الراحِمِينَ، أَدْخِلُوا جَنَّتِي مَنْ كَانَ لاَ يُشْرِكُ بِي شَيْئاً، فَيَدْخُلُونَ الجنَةَ، ثم يقول الله تبارك وتعالى: انظروا في النارِ هَلْ فِيهَا مِنْ أَحَدٍ عَمل خَيْراً قطُّ؟ فَيَجِدُونَ في النارِ رَجُلاً فيقالُ لَهُ: هَلْ عمِلْتَ خَيْراً قَطُّ؟ فيَقُولُ: لا. غيْرَ أَنّي كُنْتُ أُسَامِحُ الناسَ في البَيْعِ، فيقولُ اللهُ: اسْمَحُوا لِعَبْدِي كإِسْمَاحِهِ إلى عَبِيدِي، ثم يُخْرَجُ من النارِ آخَرُ فيقَالُ له: هل عَمِلْتَ خيراً قطُّ؟ فيقولُ: لا. غير أني كنتُ أمرتُ وَلَدي إذا مِتُّ فأحْرِقوني بالنارِ ثم اطْحَنُونِي حتى إذا كنْتُ مثلَ الكُحْل إذهَبُوا بي إلى البَحْرِ فَذَرُّونِي في الرِّيحِ، فقال الله لِمَ فَعَلْتَ ذلكَ؟ قال: من مَخَافَتِكَ، فيقولُ: انظُرْ إلى مُلْك أَعْظَمِ مَلِكٍ فإن لَكَ مِثْلَهُ وَعَشْرَةَ أَمْثَالِه، فيقول: لِمَ تَسخَرُ بِي وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟ فذالك الذي ضحِكْتُ بِهِ مِنَ الضُّحَى» رواه أحمد والبزار وأبو يعلى وابن حبان في صحيحه وقال: قال إسحاق يعني ابن إبراهيم: هذا من أشرف الحديث. وعن أبي أُمَامَةَ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَةِ رَجُلٍ لَيْسَ بِنَبِيٍّ مِثْلُ الْحَيَّيْنِ (القبيلتين) رَبِيعَةَ

ومُضَرَ، فقال رجل يا رسول الله أمَا رَبِيعَةُ مِنْ مُضَر؟ قال: إنما أقولُ ما أقولُ. رواه أحمد بإسناد جيد.

وعن عثمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « يَشْفَعُ يومَ القِيَامَة ثَلاَثَةٌ: الأنبياءُ، والعُلَماءُ، والشُّهَدَاءُ » رواه ابن ماجة وهو حسن.

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الرجُلَ لَيَشْفَعُ للرَّجُلَيْنِ والثَّلاَثَةِ » قال المنذري: رواه البزار ورواته رواة الصحيح.

وجاء في فضل الشهيد أنه « يشفع في سبعين من أهل بيته ».

مكانة النبي محمد ﷺ يوم القيامة

قال ابن كثير في تفسيره وقد ذكر بعض أحاديث شفاعات النبي ﷺ يوم القيامة وأطال في ذلك. قال: لرسول الله ﷺ يوم القيامة تشريفات لا يَشْركه فيها أحد، وتشريفات لا يساويه فيها أحد.

١- فهو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة.

٢- ويبعث راكباً إلى المحشر.

٣- وله اللواء الذي آدم فمن دونه تحته.

٤- وله الحوض الذي ليس في الموقف أكثر وارد منه.

٥- وله الشفاعة العظمى عند الله ليأتي لفصل القضاء بين الخلائق.

٦- ومن ذلك أنه يشفع في أقوام قد أمر بهم إلى النار فيردون عنها.

٧- وهو أول الأنبياء يقضي بين أمته.

٨- وأولهم إجازة على الصراط بأمته.

٩- وهو أول شفيع في الجنة كما ثبت في صحيح مسلم، وفي حديث الصور أن المؤمنين لا يدخلون الجنة إلا بشفاعته.

١٠- وهو أول داخل إليها هو وأمته قبل الأمم كلهم.

١١- ويشفع في رفع درجات أقوام لا تبلغها أعمالهم.

١٢- وهو صاحب الوسيلة التي هي أعلى منزلة في الجنة لا تليق إلا له اهـ جـ ٣ ص ٥٥

الخالدون في جهنم عند أهل السنة

تظاهرت الأدلة الصريحة القطعية من الكتاب والسنة على أن من مات كافراً فهو مخلد في النار لا يخرج منها أبداً، وأن من مات مؤمناً صالحاً فهو مخلد في الجنة لا يخرج منها أبدا، وأن من مات موحداً يشهد بصدق وإخلاص أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويؤمن بكل ما علم من الدين بالضرورة ولكنه عاص بفعل ما نهى الله عنه، أو ترك ما أوجب الله فعله فإن أمره إلى الله تعالى إن شاء عذبه ثم أدخله الجنة، وإن شاء غفر له وأدخله الجنة، فهو من أهل الجنة على أي حال. وعلى هذا إجماع السلف والخلف من أهل السنة والجماعة.

قال تعالى:

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ النساء ٤٧

وقد جاءت أحاديث كثيرة في البخاري ومسلم وغيرهما تفيد أن من قال لا إله إلا الله فمات عليها دخل الجنة وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر، وجاءت أحاديث كثيرة في البخاري ومسلم وغيرهما ذكرت عذاب الله لمن فعل ذنوباً معينة، وأن هذا العذاب يكون في القبر ويكون في الآخرة إن لم ينته في القبر. فيجاب عن الاشتباه الواقع بسبب هذين النوعين بالاحاديث الكثيرة

الواردة في البخاري ومسلم وغيرهما والتي بلغت حد التواتر المعنوي وأفادت أن من الناس من لا حسنة له يوم القيامة سوى التوحيد ومع ذلك يغفر الله له ويدخله الجنة، ومن الناس من يعذب في النار ثم يشفِّعُ الله فيه النبي ﷺ والعلماء العاملين والشهداء والصالحين ليخرجوهم من النار حتى يخرج من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان فيحدث التوفيق بين النوعين من الأدلة بالنوع الثالث منها، ويكفي عن ذلك كله الآية السابقة. فإن قيل: فما هي العقيدة التي تنجي من الخلود في النار؟

أجيب بأنها الإعتقاد الجازم الذي لا شك فيه بوجود الله تعالى، وبصفاته وأسمائه الحسنى، وبأنه تعالى متصف بكل كمال، ومنزه عن أي نقص لا يليق بجلاله تعالى. والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، والإيمان بوجوب الصلاة والصيام والزكاة والحج وكل ما صار معلوماً بالبداهة والضرورة بحيث لا يحتاج إلى نظر وبحث مثل حُرْمة القتل والزنى وشرب الخمر والربا وغير ذلك. ويشترط ألا يقول أو يفعل ما يناقض هذه العقيدة، فإن فعل فقد كفر وإن صلى وصام وحج مائة مرة. فمن اعتقد عقيدة التوحيد ثم احتقر أي نوع من تشريع الله ورسوله وهو يعلم أنه تشريع الله ورسوله، أو سخر منه، أو استهزأ بفاعله من أجل فعله إياه، أو اعتقد أن دين الله لا يصلح نظاماً وقانوناً لسعادة البشر، أو لم يرض بشريعة الله أن تحكم الناس، أو لم يرض بالإسلام منهج حياة، ونظام تعامل بين الناس فإنه كافر مخلد في النار بإجماع المسلمين، ومثله من حارب الشاب المسلم لأنه مسلم، أو الفتاة المسلمة لأنها مسلمة متمسكة بدينها، أو أجبر من يرعاهم ويتولى أمرهم على التخلي عن دين الله ومتابعة التقاليد الجاهلية من يهودية أو نصرانية أو شيوعية.

أو ارتضى شعبه الحكم بما أنزل الله ولكنه أجبره على الحكم بغير ما أنزل الله، أو أعان الشيوعيين واليهود والنصارى على تكفير المسلمين، أو محاربتهم

بسبب دينهم الحق وشريعتهم الكاملة شريعة النبي محمد ﷺ، إن الأمر جد خطير، وإن المسلمين لبعدهم عن المفاهيم الصحيحة، وانغماسهم في المفاهيم التقليدية صار الكفر بينهم عادة مألوفة، أو فكرة مقبولة، أو عادة سائدة حتى مُسِخَت شخصيتهم مسخاً لم يحدث من قبل.

فعلى العلماء والدعاة والوعاظ أن يتنبهوا لهذه الأخطار ويبينوا للناس خطرها وآثارها المدمرة في الدنيا والآخرة.

وبهذه المناسبة أحذر إخواني وأخواتي المسلمين والمسلمات من التغالي والتزيد في دين الله وأحكامه، فإن من كفَّر مسلماً أو فسَّقه بغير وجه حق، وبدون دليل صحيح صريح ليس أقل ذنباً ممن تهاون في دين الله فاعتبر الكافر مسلماً والشيوعي مؤمناً واليهود أو النصراني أخا في الدين يناصره ويساعده ضد أولياء الله المؤمنين الصالحين.

حقيقة إن الإيمان الشرعي الكامل هو عقيدة بالقلب ونطق باللسان بالشهادتين وعمل بالجوارح في أركان الإسلام وفرائض الله.

وهذه هي العبودية الحقة، وهي الحقيقة الكاملة لمعنى الإيمان والإسلام، ولمعنى لا إله إلا الله، محمد رسول الله. ولكن الله تعالى لم يجعل فعل المعصية والوقوع في الذنب غير الشرك مخرجاً من الإيمان أو الإسلام، ولم يحكم الله تعالى ولا رسوله ﷺ على أحد من أهل القبلة ممن رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً بالخروج من الإسلام أو الإيمان بسبب وقوعه في معصية، بل نزل تشريع الله تعالى بالنسبة للعصاة من أهل لا إله إلا الله بأنهم يُحَدُّون بحدود معلومة إن سرقوا، أو زنوا أو حاربوا، أو قذفوا المحصنات، أو قطعوا الطريق، ولم يعتبرهم كافرين مرتدين.

ولم يقل أحد من أهل السنة سلفهم وخلفهم: إن مقتضى قول: لا إله إلا الله ألا يقع القائل في معصية أو ذنب، فإن وقع فقد ناقض لا إله إلا الله

وخرج عليها، هذا قول مبتدع ومخترع، وهو تزَيّدٌ على الكتاب والسنة، وانحراف شنيع في الفكر الإسلامي، وتيئيس للناس من رحمة الله تعالى فهو من الكبائر التي يجب على الواقعين فيها سرعة التوبة، وخلع ثوب الجهل والغرور، وإلا فالويل لهم من الله تعالى.

والذين ينسبون هذا القول إلى المرحوم سيد قطب ظالمون له ولأنفسهم، فإن من قرأ كلامه أوله وآخره أدرك أنه مع أهل السنة ثم يشذ عنهم، وإن كانت بعض تعابيره لا يفهم السطحيون منها ذلك أحياناً.

إن الرجل عالج قضية عصره بالنسبة لمعرفته بالقائمين على الأمر في ذلك الوقت، وأي إنسان رأى ما رآه هذا العالم الجليل لا يسعه إلا أن يقول ما قال وأكثر منه، رحمه الله من عالم فاضل صادق جليل، كان في الناس أمة وحده.

ولكي يستنير القاريء بأراء علماء الأمة في هذا الموضوع فإني أنقل إليه بعض ما قاله العلماء الأئمة الأفاضل من آراء قائمة على واضح الأدلة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

قال شارح الطحاوية في ص ٢٢٣ وما بعدها:

واعلم رحمك الله وإيانا أن باب التكفير وعدم التكفير باب عظمت الفتنة والمحنة فيه، وكثر فيه الافتراق وتشتيت الأهواء والآراء، وتعارضت فيه دلائلهم، فالناس فيه في جنس تكفير أهل المقالات والعقائد الفاسدة المخالفة للحق الذي بعث الله به رسوله في نفس الأمر والمخالفة لذلك في اعتقادهم على طرفين ووسط، من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائرِ العملية.

فطائفة تقول: لا نكفر من أهل القبلة أحد فتنفى التكفير نفياً عاماً مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع، وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم وهم يتظاهرون بالشهادتين، وأيضاً فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أنكر

الواجبات الظاهرة المتواترة، والمحرمات الظاهرة المتواترة ونحو ذلك فإنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً، والنفاق والردة مظنتهما البدع والفجور كما ذكره الخلال في كتاب السنة بسنده إلى محمد بن سيرين أنه قال: إن أسرع الناس ردة أهل الأهواء ،وكان يرى هذه الآية نزلت فيهم «وَإِذَا رَأَيْتَ الذين يخوضُونَ في آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ».

ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنا لا نكفر أحداً بذنب، بل يقال: لا نكفرهم بكل ذنب كما تفعله الخوارج، وفرق بين النفي العام ونفي العموم، والواجب إنما هو نفي العموم مناقضة لقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب ولهذا قال الشيخ الطحاوي رحمه الله «ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله» وفي قوله: ما لم يستحله: إشارة إلى أن مراده من هذا النفي العام لكل ذنب من الذنوب العملية لا العلمية... إلى أن قال: وفي كلام الشيخ رد على المرجئة فإنهم يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فهؤلاء في طرف، والخوارج في طرف، فإنهم يقولون: يكفر المسلم بكل ذنب، أو بكل ذنب كبير، وكذلك المعتزلة الذين يقولون: يحبط إيمانه كله بالكبيرة، فلا يبقى معه شيء من الإيمان، لكن الخوارج يقولون: يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر، والمعتزلة يقولون: يخرج من الإيمان ولا يدخل في الكفر وهذه المنزلة بين المنزلتين، وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود في النار.

وطوائف من أهل الكلام والفقه والحديث لا يقولون ذلك في الأعمال، لكن يقولونه في الاعتقادات البدعية وإن كان صاحبها متأولا، فيقولون: يكفر كل من قال هذا القول لا يفرقون بين المجتهد المخطىء وغيره، أو يقولون: يكفر كل مبتدع. وهؤلاء يدخل عليهم في هذا الإثبات العام أمور عظيمة فإن النصوص المتواترة قد دلت على أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان، ونصوص الوعد التي يحتج بها هؤلاء تعارض نصوص الوعيد التي يحتج

بها أولئك. وسيأتي كلام الشيخ (الطحاوي) «وأهل الكبائر لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون»... إلى أن قال: ولكن بقي اشكال هنا يرد على كلام الشيخ رحمه الله (يقصد الشيخ الطحاوي) وهو أن الشارع قد سمى بعض الذنوب كفراً قال الله تعالى:

«وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُون»

وقال ﷺ «لاَ تَرْجعُوا بَعْدِي كُفَّاراً يضْربُ بعضُكُمْ رِقابَ بَعْضٍ وإذا قال الرجلُ لأخيهِ يا كافر فقد باءَ بها أحدُهُما» وقال: «سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وقِتالُهُ كفر» متفق عليهما من حديث ابن عمرو رضي الله عنه، وقال ﷺ: «أربَعٌ مَنْ كنَّ فيهِ كان مُنَافقاً خالِصاً، ومن كانت فيه خَصْلَةٌ منْهُن كانت فيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النفَاقِ حتى يدَعَها، إذا حدَّث كذَبَ، وإذا وَعَدَ أخْلَف، وإذا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذا خَاصَمَ فجر» متفق عليه، وقال ﷺ: «لا يَزْنِي الزَّاني حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، ولا يسرقُ السارقُ حِينَ يَسْرقُ وهُوَ مُؤْمِنٌ، ولا يشربُ الخَمْرَ حينَ يَشْرَبُهَا وهو مؤمن والتوبة مَعْرُوضَةٌ بعْدُ» وقال ﷺ: «بَيْنَ الْمُسْلِمِ وبينَ الكُفْر تَرْكُ الصلاة» رواه مسلم. وقال ﷺ: «من أتى كاهِناً فصدَّقَهُ فَقَدْ كفر بما أُنْزِلَ على محمد» وقال: «ثِنْتَانِ في أمتي هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ في الأَنْسَابِ والنِّياحَةُ على المَيِّت» ونظائر ذلك كثيرة، والجواب: أن أهل السنة متفقون كلهم أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرا ينقل عن الملة بالكلية كما قالت الخوارج، إذ لو كفر كفرا ينقل عن الملة بالكلية لكان مرتداً على كل حال، ولا يقبل عفو ولي القصاص في القتل، ولا تجري الحدود في الزنا، والسرقة وشرب الخمر، وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام، ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام، ولا يدخل في الكفر، ولا يستحق الخلود في النار مع الكافرين كما قالت المعتزلة، فإن قولهم باطل أيضاً، إذ قد جعل الله مرتكب، الكبيرة من المؤمنين، قال تعالى:

«يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ في القَتْلى»

إلى ان قال: «فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فاتِّبَاعٌ بالْمَعْرُوفِ»
فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا، وجعله اخا لولي القصاص، والمراد أخوة الدين بلا ريب.
وقال تعالى: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا»
إلى أن قال: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ»

ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل، بل يقام عليه الحد، فدل على أنه ليس بمرتد، وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال:

«مَنْ كَانَتْ عِنْدَه لأَخيه الْيَوْمَ مَظْلَمَةٌ مِنْ عِرْضٍ أو شيءٍ فليتَحَلَّلْه منه اليومَ قبلَ أن لا يكونَ دِرهمٌ ولا دينارٌ، إن كان له عَمَلٌ صالحٌ أُخِذَ منه بِقَدْرِ مظلمته، وان لم يكن له حَسَناتٌ أُخِذَ من سَيِّئَاتِ صَاحِبِه فطُرِحَتْ عليهِ ثم أُلْقِيَ في النارِ» أخرجاه في الصحيحين، فثبت أن الظالم يكون له حسنات يستوفي المظلوم منها حقه إلى أن قال: والمعتزلة موافقون للخوارج هنا في حكم الآخرة، فإنهم وافقوهم على أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار: قالت الخوارج: نسميه كافرا، وقالت المعتزلة: نسميه فاسقا، فالخلاف لفظي بينهم وأهل السنة أيضا متفقون على أنه يستحق الوعيد المترتب على ذلك الذنب كما وردت به النصوص لا كما يقول المرجئة «لا يضر مع الإيمان معصية» إلى أن قال:

ثم بعد هذا تبين أن أهل السنة اختلفوا خلافا لفظيا لا يترتب عليه فساد وهو أنه: هل يكون الكفر على مراتب؟ كفرا دون كفر؟ كما اختلفوا: هل يكون الإيمان على مراتب أيضاً؟ إيمانا دون إيمان؟

وهذا الاختلاف نشأ من اختلافهم في مسمى الإيمان هل هو قول وعمل يزيد وينقص أم لا؟ بعد اتفاقهم على أن من سماه الله تعالى ورسوله كافرا نسميه كافرا، إذ من الممتنع أن يسمى الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافرا،

ويسمى رسوله من تقدم ذكره كافرا ولا نطلق عليهما اسم الكفر، ولكنْ من قال: إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص قال: هو كفر عملي لا اعتقادي، والكفر عنده على مراتب: كفر دون كفر كالإيمان عنده.

ومن قال إن الإيمان هو التصديق ولا يدخل العمل في مسمى الإيمان، والكفر هو الجحود، ولا يزيدان ولا ينقصان قال: هو كفر مجازي غير حقيقي، إذ الكفر الحقيقي هو الذي ينقل عن الملة.. إلى أن قال:

وهنا أمر يجب أن يتفطن له وهو: أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرا ينقل عن الملة، وقد يكون معصية كبيرة أو صغيرة، ويكون كفرا إما مجازيا وإما كفرا أصغر على القولين المذكورين، وذلك بحسب حال الحاكم، فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم فهذا كفر أكبر، وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا عاص، ويسمى كافرا كفراً مجازيا أو كفرا أصغر. ا هـ ملخصا وراجع شرح النووي على مسلم جـ ١ ص ٢١٧

وبذلك عرفنا أن مرتكبي الكبائر ليسوا كفارا خارجين عن الملة وان سمي بعضهم كافرا فالمراد أنه كافر كفرا مجازيا أو كفرا أصغر لم يخرج صاحبه من ملة الإسلام ولا يعتبر به مرتدا باتفاق أهل السنة.

بقي سؤال تجدر الإجابة عنه وهو: ما هي الكبائر التي لا يكفرها إلا التوبة ولا ينجو صاحبها الذي لم يتب منها قبل موته من عذاب الله يوم القيامة إلا أن يشاء الله أن يغفر له ويعفو عنه؟

وإليك الجواب استكمالا للموضوع السابق.

التحقيق العلمي في معنى الكبيرة

تكلم في هذا الموضوع كثيرون من المفسرين وشراح الحديث وعلماء التوحيد والفقهاء وغيرهم. كل أدلى بدلوه واستدل بما انقدح في ذهنه من الأدلة وسأحاول أن أختصر لك الأمر بعد بسط سريع خفيف.

الأصل في موضوع الكبائر أن الله تعالى ذكرها في القرآن مبينا أن اجتنابها يكفر الصغائر وكذلك ذكرها النبي ﷺ في أحاديث عديدة مبينا أن العبادات تكفر الذنوب إذا اجتنبت الكبائر، لذلك صار أمر الكبائر في غاية الأهمية بالنسبة للمسلم الذي يخاف الله تعالى ويرجو رحمته، كما أن الكبائر هي التي كانت مثار خلاف بين أهل السنة من جهة، وبين المعتزلة والخوارج من جهة، وقد مر ذلك في الباب قبله.

والآيات التي ذكرت الكبائر هي قوله تعالى:

إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا النساء ٣٠

والمعنى: إن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ الأمور التي نهاكم الله عنها فإن الله تعالى بفضله ورحمته يكفر عنكم سيئاتكم وهي الصغائر ويدخلكم مدخلا كريما هو الجنة. فأفادت الآية أن ما نهانا الله عنه منه ما هو كبائر، ومنه ما هو صغائر... وأن اجتناب الكبائر مكفر للصغائر.

وقال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ النجم ٣٢

قال في تفسير الجلالين: اللمم هو صغار الذنوب كالنظرة والقبلة واللمسة، فهو استثناء منقطع، والمعنى: لكن اللمم يغفر باجتناب الكبائر

وفي الصحيحين أنه ﷺ قال:

« الصلواتُ الخَمسُ والجُمْعَةُ إلى الْجُمْعَةِ ورمضانُ إلى رمضانَ مُكَفِّراتٌ لما بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبائِرِ »

وفي الصحيح عنه ﷺ قال:

« أَلاَ أُنبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبائِرِ؟ قلنا: بلى يا رسول الله فقال: الإشراكُ باللهِ، وعقوقُ الْوَلِدَايْن وشهادَةُ الزُّورِ »

وروى في الصحيح عنه ﷺ أنه قال:

« اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ، قِيلَ وما هُنَّ يا رسول الله؟ قال: الإشراكُ بالله، والسِّحْرُ وقتلُ النفسِ التي حَرّمَ اللهُ إلا بالحق، وأكلُ مال اليَتيم، وأكْلُ الرِّبَا، والتوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلاَتِ الْمُؤْمِنَاتِ »

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه سئل:

« أَيُّ الذَّنْبِ أَكْبَرُ عِنْدَ اللهِ؟ قَال: أَنْ تَجعَلَ للهِ نداًّ وهُو خلَقَكَ. قيل: ثُمَّ أيٌّ؟ قال: أن تَقْتُلَ وَلَدَكَ مَخَافَةَ أَنْ يَطْعَمَ معَكَ قِيلَ: ثم أيٌّ؟ قال: أَنْ تُزَانِي بِحليلَةِ جارِكَ » فأنْزَلَ اللهُ تعَالىٰ تصديقها:

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ﴾ الفرقان ٦٢

قال ابن القيم: واختلف الناس في الكبائر هل لها عدد يحصرها؟ على قولين. ثم الذين قالوا بحصرها اختلفوا في عددها فقال عبد الله بن مسعود إنها أربعة وقال عبد الله بن عمر: هن سبعة، وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: هي تسعة. وقال غيره: هي إحدى عشرة. وقال آخر: هي سبعون وقال أبو طالب المكي: جمعتها من أقوال الصحابة فوجدتها أربعة في القلب وهي: الشرك بالله، والإصرار على المعصية، والقنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله، وأربعة في اللسان وهي: شهادة الزور، وقذف المحصنات، واليمين الغموس، والسحر وثلاثة في البطن وهي: شرب الخمر، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، واثنتان في اليدين وهما: القتل والسرقة، واثنتان في الفرج وهما: الزنى واللواطة، وواحدة في الرجلين وهي: الفرار من الزحف، وواحدة في جميع الجسد وهن: عقوق الوالدين.

والذين لم يحصروها بعدد منهم من قال: كل ما نهى الله عنه في القرآن فهو كبيرة، وما نهى عنه الرسول ﷺ فهو صغيرة. ومنهم من قال: ما اقترن بالنهي عنه وعيد من لعن أو غضب أو عقوبة في النار فهو كبيرة، وما لم يقترن به من ذلك شيء فهو صغيرة. وقيل: كل ما رتب عليه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة فهو كبيرة وما لم يترتب عليه لا هذا ولا هذا فهو صغيرة. وقيل: كل ما اتفقت الشرائع على تحريمه فهو كبيرة، وما كان تحريمه في شريعة دون شريعة فهو صغيرة. وقيل: كل ما نهى الله عنه من أول سورة النساء إلى آية إن تجتنبوا كبائر الخ فهو كبيرة، ا هـ من الجواب الكافي ص ١٤٣ وما بعدها. وذكر شارع الطحاوية في الكبائر والصغائر أقوالا كالتي ذكرها ابن القيم واختار رأياً فيها وهو أن الصغيرة ما ليس فيها حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة، والمراد بالوعيد الوعيد الخاص بالنار أو اللعنة أو الغضب، فإن الوعيد الخاص في الآخرة كالعقوبة الخاصة في الدنيا أعني المقدرة، فالتعزير في الدنيا نظير الوعيد بغير النار أو اللعنة أو الغضب، قال وهذا الضابط يسلم من القوادح

الواردة على غيره، فإنه يدخل فيه كل ما يثبت بالنص أنه كبيرة كالشرك والقتل والسحر والزنا والقذف ونحو ذلك كالفرار من الزحف وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وعقوق الوالدين، واليمين الغموس، وشهادة الزور، وأمثال ذلك.

وترجيح هذا القول من وجوه.

أحدها أنه هو المأثور عن السلف كابن عباس وابن عيينة وابن حنبل وغيرهم .الثاني: أن الله تعالى قال: « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما » فلا يستحق هذا الوعد الكريم من أُوعِد بغضب الله ولعنته وناره، وكذلك من استحق أن يقام عليه الحد. الثالث: أن هذا الضابط مرجعه إلى ما ذكره الله ورسوله من الذنوب، فهو حد مُتَلَقًّى من الشرع. الرابع: أن هذا الضابط يمكن الفرق به بين الكبائر والصغائر بخلاف تلك الأقوال انتهى ص ٢٧١

وهذا التعريف للكبيرة والصغيرة الذي ذكره شارح الطحاوية ترتاح النفس إليه كثيراً لأنه يعطي تحديدا شاملا جامعا كأنه استوعب كل ما قاله غيره.

وقريب منه في اطمئنان النفس إليه وكأنه تفسير لهذا الذي قاله شارح الطحاوية ما ذكره الإمام النووي في شرح مسلم عن الإمام الجليل أبي محمد بن عبد السلام رحمه الله تعالى في كتابه « القواعد » حيث قال ابن عبد السلام: إذا أردت معرفة الفرق بين الصغيرة والكبيرة فاعرض مفسدة الذنب على مفاسد الكبائر المنصوص عليها، فإن نقصت عن أقل مفاسد الكبائر فهي من الصغائر، وإن ساوت أدنى مفاسد الكبائر أو رَبَت (زادت) عليه فهي من الكبائر.

فمن شتم الرب سبحانه أو رسوله ﷺ، أو استهان بالرسل، أو كذب واحدا منهم، أو لوث الكعبة بالعذِرة أو ألقى المصحف في القاذورات فهي من

الكبائر الشركية ولم يصرح الشرع بأنها من الكبائر، وكذلك لو أمسك امرأة محصنة لمن يزني بها، أو أمسك مسلما لمن يقتله، فلا شك أن مفسدة ذلك أعظم من مفسدة أكل مال اليتيم مع كونه من الكبائر، وكذلك لو دل الكفار على عورات المسلمين مع علمه أنهم يستأصلون بدلالته، ويسبون حرمهم وأطفالهم، ويغنمون أموالهم، فإن نسبته إلى هذه المفاسد أعظم من توليه يوم الزحف بغير عذر مع كونه من الكبائر، وكذلك لو كذب على إنسان كذبا يعلم أنه يقتل بسببه، أما إذا كذب عليه كذبا يؤخذ منه بسببه تمرة فليس كذبه من الكبائر، قال: وقد نص الشرع على أن شهادة الزور وأكل مال اليتيم من الكبائر، فإن وقعا في مال خطير فهذا ظاهر، وإن وقعا في مال حقير فيجوز أن يجعلا من الكبائر فطاماً عن هذه المفاسد كما جعل شرب قطرة من الخمر من الكبائر وإن لم تتحقق المفسدة، ويجوز أن يضبط ذلك بنصاب السرقة.

قال: والحكم بغير الحق كبيرة، فإن شاهد الزور متسبب والحاكم مباشر، فإذا جعل السبب كبيرة فالمباشرة أولى. قال: وقد ضبط بعض العلماء الكبائر بأنها كل ذنب قرن به وعيد أو حد أو لعن، فعلى هذا كل ذنب علم أن مفسدته كمفسدة ما قرن به الوعيد أو الحد أو اللعن أو أكثر من مفسدته فهو كبيرة، ثم قال: والأولى أن تضبط الكبيرة بما يشعر بتهاون مرتكبها في دينه إشعار أصغر الكبائر المنصوص عليها. والله أعلم. هذا آخر كلام الشيخ أبي محمد بن عبد السلام.

قال العلماء رحمهم الله: والإصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة، وروي عن عمرو ابن عباس وغيرهما: «لا كبيرة مع استغفار، ولا صغيرة مع إصرار» معناه أن الكبيرة تمحى بالاستغفار، والصغيرة تصير كبيرة بالإصرار قال الشيخ أبو محمد بن عبد السلام في حد الإصرار: هو أن تتكرر منه الصغيرة تكرارا يشعر بقلة مبالاته بدينه إشعار ارتكاب الكبيرة بذلك

قال: وكذلك إذا اجتمعت صغائر مختلفة الأنواع بحيث يشعر مجموعها بما

يشعر به أصغر الكبائر ا هـ من شرح مسلم للنووي حـ ٢ ص ٨٥- ٨٧

هذا. وقد أطلت في موضوعي الخلود في النار، وتعريف الكبائر بسبب ما ظهر في عصرنا من تكفير وتفسيق بعض المسلمين لبعض بدون علم، وبدون بحث وروية، وبدون اعتماد على فهم صحيح من عالم عامل، أو كتاب واضح، أو دليل خالص من المعارضة.

وكذلك أطلت لأن المتهاونين في أمور الدين كثروا كثرة مخيفة، وبعدوا عن الإسلام بعداً شاسعاً وصل إلى الزندقة والإلحاد والكفر، ومع ذلك يتمشدقون باسم الإسلام، ويتمسحوّن فيه، ويتهمون المؤمنين المخلصين بتهم شنيعة هم بريئون منها براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام فيتهمونهم بالرجعية، والتعصب الأعمى، والجمود المدمر، والعودة إلى عهود الظلام والتأخر إلى آخر ما هنالك

وفي غيبة العلماء العاملين، والرجال المخلصين والمنصفين ضاعت حقائق كثيرة وظهرت فتن كبيرة، وتشتتت مفاهيم الأمة، وأبعدت عن الكتاب والسنة إبعادا جعلها تعيش في أحمق جاهلية عرفتها البشرية. فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله. وبارك الله في العلماء العاملين الصادقين.

حوار اليائسين يوم القيامة من رحمة الله

في يوم القيامة يبحث كل إنسان عن أي وسيلة مهما كانت ضعيفة واهية لعلها تصلح سببا لنجاته من غضب الله تعالى وعذابه، لذلك تكثر المناقشات والمحاورات بين الأبناء والآباء، وبين الأزواج والزوجات، وبين الحكام والمحكومين، وبين الكبار المتسلطين والصغار التابعين لهم، وبين الأغنياء الجبارين والفقراء المنافقين الذليلين، كل يحاول إلقاء التبعة على غيره، ويتبرأ من تسلطه على غيره وتجبره، ومن تزعمه بالأفكار المنحلة والمفاسد المضلة على الذين صفقوا له وهللوا لتفاهته وجرائمه.

كما تبرأ الزوجة من زوجها ومن أبيها وأخيها وتطلب من الله تعذيبهم وإنقاذها، فهم الذين أدخلوا عليها العادات الجاهلية، والأخلاق المنحطة والشهوات الدنسة، والحيوانية الهابطة وأجبروها على الخضوع لها والتمسك بها وسموها مدنية، وعصرية، وتقدمية، وحضارة، وسلخوها من فضائل دينها ومبادىء ربها، واتباع نبيها والصالحات القانتات السابقات لها، هم الذين جلبوا لها الخمر وقالوا لها اشربي، وألبسوها ثياب السفور وقالوا لها اقتدي، وخلطوها بالرجال في غير حشمة وقالوا تمدني، وفتحوا لها دور الخَيَّالة والمسارح وقالوا تبهرجي، وأخذوها إلى المراقص وقالوا: هنا ارتعي، وطالبوها بكل رذيلة وقالوا تمتعي، وحاربوها في الصلاة وفي الصيام وقالوا تقدمي، وعلموها فحش الغناء وقالوا تمايعي.

كذلك يبرأ الولد من أبيه الذي علمه كل شيء إلا كلمة الله، وفتح له جميع

أبواب الحياة الدنسة وأغلق دونه باب الله، وقص عليه قصص أبطال الجريمة والفحشاء والظلم والضلال ولم يعلمه كلمة عن رسول الله

ودار به على بلاد الكفر والانحلال وبيوت الدعارة والغواية وحرم عليه بيت الله.

وعلمه حتى نال أرقى الشهادات وهو يجهل الفاتحة وسورة الإخلاص وأسماء الله.

وأنفق عليه بسخاء في كل منكر، ولم يعلمه يوما أن يمد يده بالعطاء والرحمة لعباد الله.

وجعل منه المدير النابه والوزير الكبير، والقائد المثير. والطبيب المشهور، والأستاذ العظيم، والمهندس الناجح، والفارس المغوار.. ولكنه مع كل ذلك هو الفاجر الفاسق الظالم العاصي لربه، المفسد أينما وجد الفاعل لكل ما يغضب الله.

كذلك يبرأ المحكومون من الحاكمين ويطلبون من الله أن يعذبهم شديد العذاب وأن يلعنهم لعنات لا تفارقهم أبداً، وأن يذلهم ولا يجدون مرارته وعذابه في كل موقف ومستقر. إنهم رفضوا أن يحكموهم بما أنزل الله فجلبوا عليهم الشقاء والهوان والصغار والهلاك. واستأثروا بالمال لهم ولأقربائهم، ومحاسيبهم فحرموا المحتاجين واغنوا اللصوص والأشقياء والأدنياء وتاجروا في عرق الشعب ومال الشعب وحرية الشعب وكرامة الشعب حتى صار الشعب هملا كالأنعام، أو كخراف افترستها ذئاب الغابات ووحوش الصحراء.

وجلبوا على شعوبهم عادات أعداء الله وتقاليدهم وسموم أفكارهم، وأبعدوا كل علم يمت بصلة إلى دين الله وكتابه.

واستبدوا في الحكم لحساب أهوائهم وشهواتهم فدمروا معنويات الأمة، وحطموا كبرياءها، وسلموا أمورها لأعداء الله وأعداء رسله، وأعداء الإنسانية.

وفتحوا السجون للأحرار والمعتقلات للأبرار، والخمارات للفجار، وبيوت

الدعارة للشباب والشواب حتى ينشأ جيل الخلاعة والدعة والميوعة والسكر والرقص والخنوع لكل ظالم جبار. وحاربوا الصلاة ومنعوا الزكاة، ومزقوا كتاب الله، وأمروا بانتهاك الأعراض، وأختلاط الفتيان بالفتيات في الجامعات والمدارس والرحلات وحين تطفأ الأنوار في المراقص والمسارح والخيالات.

وقدموا المجرمين والمنافقين والمستغلين في الوظائف والمناصب وأخروا المؤمنين الصادقين، وأبعدوهم عن مثل هذه المجالات وغير هؤلاء وهؤلاء. كل أمام الله يوم القيامة يبرأ من عمله ويلصقه بغيره ممن كان سببا أوله أدنى صلة بانتشار الفساد وإبعاد الناس عن رب العالمين في دار الدنيا.

اسمع إلى ما يقوله القرآن الكريم عن محاولات هؤلاء وأولئك يوم القيامة قال تعالى:

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ (أي مكرمكم بنا في الليل والنهار) إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ سبأ ٣١ - ٣٣

والمراد بالذين استضعفوا هم التابعون لغيرهم، والمراد بالذين استكبروا هم المتبوعون الرؤساء سواء كانوا حكاما، أو أغنياء متسلطين، أو كبراء بالمناصب أو أزواجا، أو غيرهم.

وقال تعالى:

﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً (عودة الى الدنيا) فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ البقرة ١٦٧ - ١٦٨

وقال تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا﴾ الفرقان ٢٧ - ٢٩

وآيات سورة الصافات تكشف فضائح الأتباع والمتبوعين كشفا تاما، فإن الله تعالى يأمر الملائكة أن يأخذوا أهل النار إليها، فإذا وصلوا إلى الصراط أمر الله الملائكة أن تحبسهم قبله ليسألهم لماذا لا ينصر بعضهم بعضا كما كانوا في الدنيا؟ ثم يخبر أنهم أذلاء مستسلمون لأمر الله حيث لا يستطيعون غير ذلك، ثم يبدأ التخاصم بين الصغار والكبار، فيتهم الصغار الكبار بأنهم كانوا يضلونهم بالحَلِفِ بالأيمان أنهم على حق فيجب أن يعذبوا العذاب الأشد، فيرد عليهم الكبار بأنهم (أي الكبار) لم يخرجوكم من إيمان إلى كفر ولكنكم كنتم كافرين وضالين فاستعمل الكفار أساليبهم في إغوائكم لتتبعوهم ولا تتبعوا أنبياءكم ولذلك اشترك الجميع في عذاب الله، ولن ينفع أحدا منهم تلاوم أو تخاصم يوم القيامة ثم ختم الله الآيات بهذا القانون الثابت والحكم الإلهي النافذ (**إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ** » فالعذاب منصب على كل مجرم سواء كان تابعا أو متبوعا. إن لكل عقلا وكل مسئول عن نفسه أولا أمام الله، وقد جاءه من الله كتاب ورسول فلا عذر له: أقرأ الآيات في ذلك وهي:

قال تعالى:

﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۝ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ۝ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ۝ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ۝ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ۝ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾

الصافات ٢٢ - ٣٤

التحذيرات الربانية من عذاب جهنم

قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ التحريم ٦

يحذر الله تعالى المؤمنين من الوقوع فيما يستوجبون به النار يوم القيامة، ويأمرهم أن يبعدوا أهليهم ومن يعولونهم عن أسباب الوقوع في هذه النار التي حطبها جثث الناس والأحجار التي كانوا يعبدونها والتي عليها ملائكة قساة القلوب ينفذون أوامر الله ولا تعرف الرحمة إلى قلوبهم سبيلا.

وقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾

الحج ١

وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا ۚ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ لقمان ٣٣

وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ (بالبعث والحساب والجنة والنار وغيرها) ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (الشيطان) ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾

فاطر ٥ - ٧

تحذيرات الرسول ﷺ من عذاب جهنم

عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ، قال: وأشَاحَ (أي خافها كأنه ينظر إليها) ثم قال: «اتقُوا النارَ» ثم أعْرضَ وأشاحَ ثلاثا حتى ظَنَنَّا أنه يَنظُرُ إلَيْها، ثم قال: «اتقوا النَّارَ ولَوْ بِشِق تَمْرةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِد فَبِكَلِمةٍ طيِّبة» رواه البخاري ومسلم. والمراد اجعلوا بينكم وبين النار ساترا يحجبها عنكم، وذلك بفعل الخير ولو كان تصدقا بنصف تمرة، فمن لم يجد نصف تمرة فإنه يقدر أن يقول كلمة طيبة تحميه من عذاب الله تعالى.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لَمَّا نَزَلَتْ هذه الآية: «وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ» دعا رسول الله ﷺ قريشا فاجتمعوا فعَمَّ وخصَّ فقال: «يَا بَنِي كَعْب بن لُؤَيٍّ أَنْقِذُوا أنفسكُم من النار، يا بَنِي مُرَّةَ بن كَعْبٍ أَنْقذُوا أنفسكم من النارِ، يا بني هاشِمٍ أَنْقذوا أنفسكم مِنَ النارِ، يا بني عَبْدِ المطَّلب أنقذُوا أَنْفُسكُمْ مِنَ النَّارِ، يا فاطمةُ أَنْقذِي نفسَكِ من النارِ فإني لاَ أَمْلكُ لكَم مِنَ الله شَيْئاً» رواه مسلم واللفظ له والبخاري والترمذي.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يخطُب يقول: «أَنْذَرْتكُمُ النَّارَ، أنذرتكُمُ النار، حتى لَوْ أَنَّ رجُلا كان بالسوقِ لَسَمِعَه من مَقَامِي هٰذَا حتَّى وقعَتْ خَمِيصَةٌ (ثوب خز أو صوف معلم) كانَتْ عَلَى عَاتِقِهِ (صفحة عنقه) عِنْدَ رِجْلَيْهِ» رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إنما مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَاراً (أشعلها) فَجعَلتِ الدَّوَابُ والْفَرَاشُ يَقَعْنَ فيهَا، فَأَنَا آخُذُ بِحُجَزِكُمْ وأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهَا (تقعون في النار) رواه البخاري ومسلم.

وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «والذي نَفْسِي بَيدِهِ لو رَأَيْتُم ما رأيتُ لضحِكتُم قلِيلاً ولبكَيتُم كثيراً، قالوا: وما رأيْتَ يا رسولَ الله» قال: «رأيتُ الجنةَ والنَّارَ» رواه مسلم وأبو يعلى.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ والنَّارَ أَرْسَلَ جبريلَ إلى الجنة، فقال: أَنْظُرْ الَيْها وإلىٰ مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِها فيها، قَالَ: فَجَاءَ فنظر إلَيْهَا وإلىٰ مَا أَعدَّ اللهُ لأَهْلِها فيها. قال: فرجَعَ إليه قال: وَعِزَّتِكَ لا يَسْمَع بها أَحَدٌ إلا دَخلَهَا، فَأَمَر بِهَا فَحُفَّتْ بالمكارِه (الشدائد)، فَقَال: ارجعْ إلَيْهَا فانْظُرْ إلى مَا أَعَددْتُ لِأَهْلها فِيهَا، قال: فرَجع إلَيْهَا، فإذا هِيَ قَدْ حُفَّتْ بالمكَارِه، فَرَجَعَ إلَيه فَقَال: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفتُ أَلا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، وقال: اذهَبْ إلى النارِ فانظُر إلَيْها وإلى مَا أَعْدَدْتُ لِأَهْلِها

فِيهَا، قَالَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا فإِذَا هِيَ يركَبُ بَعْضُهَا بَعْضاً، فَرجعَ إِلَيْهِ فقال: وَعِزَّتِكَ لاَ يَسْمَع بِهَا أَحَدٍ فَيَدْخُلَها فَأُمِرَ بِهَا فَحُفَّتْ بالشَّهوَاتِ، فقال: ارْجِعْ إِلَّيها، فَرجَعَ إِلَّيها فَقَال: وعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَلا يَنْجُوَ مِنهَا أَحَدٌ إلا دَخَلها» أبو داود والنسائي والترمذي واللفظ وقال حسن صحيح.

شدة العذاب في جهنم

قال تعالى:

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا جَزَآءً وِفَاقًا إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا النبأ ٢١ - ٣٠

والمعنى: إن جهنم طريق يمر عليه الكافرون والطغاة فيقعون فيها، وهي مرجع كل كافر، يلبثون فيها أبد الدهر لا يذوقون فيها نوما يريحهم ولا شرابا يطفيء ظمأهم، لكن يشربون ماء حارا يحرق باطنهم، وصديدا من صديد أهل النار يضاعف عذابهم، وقد جوزوا بذلك جزاء وفاقا لما عملوه من كفر وطغيان.

وقال تعالى:

كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ

المعارج ١٥ - ١٨

والمعنى أن المجرم يود يوم القيامة النجاة من غضب الله وعذابه ولو أن يفتدي نفسه من عذاب الله ببنيه، وصاحبته وأخيه، وعشيرته التي تؤويه وتحميه، ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه الله، فيردُّ عليه بأن كل ذلك لا يفيدك، وليس من حقك طلب ظلم غيرك لنجاة نفسك، فارتدع عن قولك وادخل نار جهنم، إنها لظى تتلهب على الكفار وتلفهم في لهبها الأسود شديد الحرارة ومن شدة حرها تنزع الشوى وهي أطراف الإنسان، ثم تعود مرة أخرى، وهي تنادي من أدبر عن الإيمان وتولى عن طاعة الله، تقول إليَّ، كما تدعو من جمع المال فأوعى أي أمسكه في وعائه ولم يؤد حق الله فيه.

وقال تعالى:

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم (احترقت) بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا

النساء ٥٥

قال تعالى:

وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝ سَرَابِيلُهُم (قمصهم) مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ۝ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ابراهيم ٤٩ - ٥١

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «نَارُكُمْ هٰذِهِ مَا يُوقِدُ بَنُوا آدَمَ جُزْءٌ وَاحِدٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءاً من نارِ جَهَنَّمَ، قالوا: واللهِ إِنْ كانَتْ لَكَافِيَةً قال: إنها فُضِّلَتْ (زادت) عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وسِتِّينَ جُزْءاً كُلُّهُنَّ مِثْلُ حَرِّهَا» رواه مالك والبخاري ومسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ هٰذِهِ النارَ جُزْءٌ مِنْ مِائَةِ جُزْءٍ مِنْ جَهَنَّمَ» رواه أحمد ورواته رواة الصحيح. وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أُوْقِدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ

سَنَةٍ حَتَى احْمَرَّتْ، ثُمَّ أُوْقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حتى ابْيَضَّتْ، ثم أُوْقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَتْ، فهِيَ سَوْدَاءُ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ » رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي.

طعام أهل النار وشرابهم

قال تعالى:

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ (القيامة التي تغشى الخلائق بأهوالها) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ (ذليلة) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ تعمل وتتعب في جر السلاسل والأغلال وصعود جبال النار) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ (شديدة الحرارة) لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (نوع من الشوك لا تأكله دابة لخبثه) الغاشية ١ - ٦

وقال تعالى:

إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ۝ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ۝ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ۝ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ۝ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ الدخان ٤٣ - ٤٩

الزقوم: شجرة من أخبث الشجر المر نبتها الله في جهنم ويطعمها أهل النار

المهل: وردي الزيت الأسود يؤتى به شديد الحرارة ليشربه أهل النار فتتقطع بسببه أمعاؤهم. اعتلوه إلى سواء الجحيم: خذوه بشدة إلى وسط النار عذاب الحميم: عذاب الماء الحار شديد الحرارة.

وقال تعالى:

إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا (ما أحاط بها) وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟

يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ (الزيت الأسود العكر) يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا الكهف ٢٩

وقال تعالى:

فَلَيْسَ لَهُ (أي لمن أخذ كتابه بشماله) ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ (قريب ينفعه) وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ (اسم شجر في النار أو هو صديد أهل النار) لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ (الكافرون) الحاقة ٣٥ - ٣٧

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن الْحَميمَ لَيُصَبُّ على رُؤوسِهم فَيَنْفُذُ الحميمُ حتى يَخْلُصَ إلى جَوْفِه فيَسْلُتَ ما في جَوْفه (يقطعه ويخرجه) حتى يَمْرُقَ من قَدَمَيْهِ، وهو الصَّهْر، ثم يُعادُ كما كان» رواه الترمذي والبيهقي وقال الترمذي حديث حسن صحيح. وعن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى «وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ» قال: يُقَرَّبُ إلى فِيهِ فيكْرَهُه فإذا أُدْنِيَ مِنهُ شَوَى وجْهَهُ ووَقَعتْ فَرْوَةُ رَأْسِه، فاذا شَرِبَ قَطَّعَ أَمْعاءَهُ حَتَّى يَخْرُجَ من دُبُرِه، قال الله عز وجل، (وسُقُوا ماءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعاءَهُمْ) ويقول (وإنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِماءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ) رواه أحمد والترمذي والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (طَعَاماً ذا غُصَّة) قال: شَوْكٌ يَأْخُذُ بالْحَلْقِ لاَ يَدْخُل ولا يَخرج» رواه الحاكم موقوفا وقال: صحيح الإسناد.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قرأ هذه الآية (اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُون) فقال: «لَوْ أنَّ قَطْرَةً من الزَّقوم قَطَرَتْ في دَارِ الدنيا لأفْسَدتْ على أهل الدنيا مَعَايِشَهُمْ فكَيْفَ بِمَنْ يكُونُ طَعَامَه؟ رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي: حديث حسن صحيح، وقال الحاكم: صحيح على شرطهما.

الملائكة تزيد أهل النار حزنا ويأسا من رحمة الله

قال تعالى:

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝ الزمر ٧٠ - ٧١

وقال تعالى:

وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۝ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ ۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْ ۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝ غافر ٤٩ - ٥٠

وقال تعالى:

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ (أي لا يرفع عنهم) وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (آيسون من أي خير أو رحمة) ۝ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ

عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ
الزخرف ٧٤ - ٧٨

قال ابن عباس: في رد مالك رئيس خزنة النار على الكافرين: مكث ألف سنة ثم قال: إنكم ماكثون: رواه ابن أبي حاتم.

وقال تعالى:

وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا (أي تقول لهم الملائكة ذلك) فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ (الهوان) بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ الأحقاف ٢٠

وقال تعالى:

وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ الملك ٦ - ١١

شهيقاً: صوتاً منكراً كصوت الحمار.
وهي تفور: تضطرب اضطرابا شديدا شبيهاً باضطراب الماء أثناء الغليان.
تكاد تميز من الغيظ: تكاد النار تتقطَّع بسبب شدة غيظها من الكفار.
فسحقا لأصحاب السعير: فبعداً لهم عن رحمة الله تعالى فإنها لا تنالهم أبدا

الجبار يخاطب أهل النار ويناقشهم

قال تعالى:

قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ (النار) لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ (في الضلال) حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا (الحق بعضهم بعضا) قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ (الأتباع للمتبوعين) رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا (مضعفا) مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ (تعالى) لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ (بسبب كفركم لأنكم كفرتم باختياركم) فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ (يدخل الجمل في ثقب الإبرة، وبما أنه غير ممكن فدخول الكافرين الجنة غير ممكن) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ (فراسن) وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ (أغطية من النار) وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ الاعراف ٣٧ -

وقال تعالى: «ومَنْ خفَّتْ موازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذينَ خسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جهَنَّم خالِدونَ، تَلْفَحُ وُجُوهَهُم النَّارُ (تحرقها) وَهُم فِيهَا كَالحُونَ (شُمِّرت شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم) أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ هذه مقالة الله لهم) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوماً ضَالِّينَ (هذا

ردهم) رَبَّنَا أَخرِجْنَا مِنهَا فإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمونَ (هذا طلبهم ورجاؤهم) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا (كونوا أذلاء معذبين في النار) وَلاَ تُكلِّمُونِ، إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادي يَقُولُونَ رَبنَا آمنّا فَاغفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ، فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا (تسخرون منهم) حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ، إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنهمْ هُمْ الْفَائِزُونَ (هذا رد الله عليهم).

ثم قال تعالى مبينا لهم أن ما خلقوا له لم يعيروه اهتماماً، وشغلوا أنفسهم بالباطل والزيف) قَالَ كَمْ لَبِثْتُم فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ؟

قَالُوا لَبِثْنَا يَوماً أَوْ بَعْضَ يَوْم فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ.
قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلاً لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ.
أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ؟
فَتَعَالَى اللهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلهَ إِلا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ».

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: إن أهل النار يدعون مالكا فلا يجيبهم أربعين عاما، ثم يقول: إنكم ماكثون، ثم يدعون ربهم فيقولون: ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون، فلا يجيبهم مثل الدنيا، ثم يقول: (اخسئوا فيها ولا تكلمون) ثم ييأس القوم فما هو إلا الزفير والشهيق تشبه أصواتهم أصوات الحمير أولها شهيق وآخرها زفير» رواه الطبراني موقوفا ورواته محتج بهم في الصحيح والحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

وقال تعالى:

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ (فيرد الله عليهم) أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ

فاطر ٣٦- ٣٧

روى البخاري بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَعْذَرَ اللهُ عز وجل إلى امْرِئٍ عَمَّرَهُ حتى بَلَغَ سِتِّين سَنَةً».

وجاء في حديث حسن رواه الترمذي وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَعْمارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إلى السَّبْعِينَ، وأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ».

وقال تعالى ذاكرا ما يقال للكفار يوم القيامة:

وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (انفصلوا عن المؤمنين لتنالوا جزاءكم من عذاب الله) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ .(نزل ذلك في كتاب الله الذي هو عهد بين الله وعباده) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا (خلقا) كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ

يس ٥٩ - ٦٤

الشيطان يحاضر أهل النار

قال تعالى:

وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ (التابعون) لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا (للمتبوعين) إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ

وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ (لأن وعوده تغرير وتضليل وتكذيب) وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ (قوة أجبركم بها) إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ (مغيثكم) وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

ابراهيم ٢١ - ٢٢

يجب أن يدرك المنحرفون عن دين الله اتباعا وتقليدا لغيرهم من الضالين أنهم يوم القيامة سيكون موقفهم مع من قلدوهم وأتبعوهم أنهم يتبرؤون منهم كما تبرأ الشيطان من أتباعه ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله.

أصحاب الجنة

فيما سبق عرفنا أهوال الموقف والناجين من هذه الأهوال.

وعرفنا ما في النار من شدائد وأنواع من التعذيب لا يتصورهاإنسان ،وقد عرفنا فيما سبق الأعمال الموبقة في النار والأعمال المنجية منها.

والآن نبدأ في الكلام عن الجنة وأوصافها وما فيها من نعيم ومتعة وسعادة لا توصف ، وللجنة أهلها الذين وفقهم الله تعالى وهداهم إلى خالص الايمان وصالح العمل ،وقد ذكر الله تعالى في كتابه أوصافاً جامعة لأهل الجنة ، جاءت أحياناً في صورة أوامر ، وأحياناً في صورة أخبار ،وأحياناً في صورة أوصاف ، وأحياناً في صورة شرط وجزائه ، وأحياناً في صورة ذكر أهلها بأعمالهم وأخلاقهم الخ ما هنالك مما لا يتسع المجال لذكره. وأحاول أن أقدم لك بعض

الآيات والأحاديث في أعمال أهل الجنة وأخلاقهم وما جعله الله سبباً في رضائه والتمتع بنعيمه، وإليك ذلك.

قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ التحريم ٧ - ٩

وقد جاء في الأحاديث الصحيحة أن التوبة تَجُبُّ ما قبلها (أي تكفره) وأن الهجرة تَجُبُّ ما قبلها وأن الحج يَجُبُّ ما قبله، فالتوبة الصادقة المستوفية لأركانها بداية الطريق الصحيح

وقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ (صوابا) ﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾

وقال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ

مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ (المجاهدون أو الصائمون) ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْأَمِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ

التوبة ١١١ - ١١٢

وقال تعالى:

إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ (المطيعين) وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا الأحزاب ٣٥

وقال تعالى:

قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ المؤمنون ١ - ١١

وقال تعالى:

وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا (بسكينة وتواضع) وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ۝ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝ **وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ** وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (عقوبة) يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ۝ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ۝ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ۝ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝ **أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا** الفرقان ٦٣ - ٧٦

أخي القارىء: إننا لن نشعر بروح السعادة وجمال الحياة وعظم الثقة، واستقرار النفس إلا إذا اتصلنا بالله تعالى إيماناً به، وحباً له، وخوفاً منه، وتوكلاً عليه، إن الله تعالى وحده هو خالقنا وهو القادر على أن يمنحنا ذلك كله وأكثر منه وهو أعلم بنا من علمنا بأنفسنا، فاتباع تعاليمه والوقوف عند أمره ونهيه، وقراءة آياته بحب وتدبر وتمتع، وعرض المسلم نفسه على هذه الآيات ليعلم أين هو منها؟ وهل هو واقف عند أوامر الله ونواهيه أو غافل عن ذلك كله ومتبع هواه بدون أن يشعر؟ ومأسور في سجن التقاليد والعادات الجاهلية بدون وعي منه وهو يزعم أنه يحسن صنعاً؟ إن الرجوع إلى مثل الآيات السابقة هو الذي يفهمك أين أنت من رضوان الله تعالى وقربه.

وإليك بعض الأحاديث في نفس الموضوع، فإنها تبيان للكتاب وشرح له وهي نور من عند الله تعالى حيث إنها وحي يوحى، كما أنها روح نوراني يهدي به الله من شاء من عباده وصدق الله القائل: « مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فقَدْ أَطَاعَ اللهَ » عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: متى السَّاعَةُ؟ قال: « وَمَا أَعْدَدْتَ لَها؟ قال: لاَ شَيْءَ إلا أَني أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَه. قال: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ (أي في الجنة) قال أنس: فما فَرِحْنَا بِشيءٍ فَرِحَنا بقول النبي ﷺ: أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ قال أنس: فأنا أُحِبُّ النبي ﷺ وأبا بكر وعُمَرَ وأرجو أن أكونَ مَعَهم بِحُبِّي إيَّاهُمْ » رواه البخاري ومسلم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « إنَّ فِي الْجَنَّةِ مَائَةَ دَرجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ للمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ » رواه البخاري. وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبّاً، وبالإِسْلاَمِ دِيناً، وبمحمد ﷺ رسُولاً، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةَ فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ فَقَالَ: أَعِدْها عَلَيَّ يَا رَسُولَ الله، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ، ثم قَالَ: وَأُخْرَى يَرْفَعُ اللهُ بِهَا لِلْعَبْدِ مِائَةَ دَرجَةٍ فِي الْجَنَّةِ مَا بِيْنَ كُلِّ دَرجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّماءِ والأرضِ، قال: وما هي يا رسول الله؟ قال: « الجِهَادُ في سَبِيل

الله » رواه مسلم وأبو داود والنسائي. وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: اعْبُدوا الرَّحمنَ، وأَطعِموا الطعامَ وأَفْشوا السَّلامَ تَدْخُلوا الجنَّةَ بِسَلامٍ » رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هكَذَا وَأَشَارَ بالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطى، وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا » رواه البخاري وأبو داود

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « السَّاعِي عَلَى الأرملَةِ والمِسْكين كالمجَاهِدِ في سبيلِ الله، وأحسَبه قال: « وكالقائِمِ لاَ يَفْتَرُ وكالصائِمِ لاَ يُفْطِر » رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: « مَنْ عَادَ مريضاً أو زَارَ أخاً له في الله ناداهُ مُنَادياً بأن طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وتبوَّأْتَ مِنَ الجنةِ مَنْزِلاً » رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن. وعن جابر قال: أتى النبي ﷺ النعمانُ بنُ قَوْقَل فقال يا رسول الله أَرَأَيْتَ (آخبرني) إذَا صليتُ المكْتوبَةَ وحَرَّمتُ الحرامَ وأحْلَلْتُ الحَلاَلَ أَأَدْخُلُ الجنة؟ فقال النبي ﷺ: « نَعَمْ » رواه مسلم. قوله حرمت الحرام وأحللتُ الحلال: ذكر النووي أن ابن الصلاح رحمه الله قال في معناها: الظاهر أنه أراد بتحريم الحرام أمرين: الأول اعتقاد أنه حرام، والثاني ألا يفعله بخلاف تحليل الحلال فإنه يكفي فيه مجرد اعتقاده حلالا. وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « من يضمَنْ لي ما بين لِحْيَيْهِ (اللسان والفم فلا يقول شيئاً ولا يدخل جوفه حراماً) وما بين رجليه (فرجه) أضمن له الجنة » رواه البخاري والترمذي. وجاء في حديث رواه مسلم: « مَنْ أَحَب أن يُزَحْزَح عن النارِ ويُدْخَل الجنةَ فَلْتَأْتِه مَنِيَّتُهُ وهو يُؤْمِنُ باللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ، ولْيَأْتِ إلى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ »

وروى البخاري في صحيحه عن جابر قال: جَاءَتْ مَلاَئكةٌ إلى النبي ﷺ

فقال بعضُهُم إنه نائِمٌ، وقال بعضهم: العَيْنُ نائِمَةٌ والقَلبُ يقظانُ، فقالوا إن لِصاحِبكُم هذا مَثَلاً فاضْرِبُوا لَهُ مَثَلاً، فقالوا: مَثَلُهُ مَثَلُ رجُلٍ بَنَى داراً وَجعَلَ فيها مأْدُبَةً وبَعَثَ داعِياً، فمن أجابَ الداعي دَخَلَ الدَّارَ وأكَلَ مِنَ المأدُبَةِ، ومَنْ لَمْ يُجِبْ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ ولم يأكُلْ من المَأْدُبَةِ، فقالوا: أَوِّلُوهَا لَه يَفْقَهْها، فقال بعضُهم: إن العينَ نائِمَةٌ والقلبَ يَقْظَانُ، الدارُ الجَنَّةُ، والداعِيَ مُحَمَّدٌ فمن أطاعَ مُحَمَّداً فَقَدْ أَطاعَ اللهَ، ومن عَصَىٰ محمداً فقد عصى اللهَ، ومحمد فَرْقَ بيْنَ النَّاسِ،

وعن عبد الله بن مسعود قال: صلى رسول الله ﷺ العِشاءَ، ثم انْصَرَفَ فأَخَذَ بِيَدِي حَتَّى خَرَجَ إلىٰ بَطْحاءِ مَكَّةِ، فأجلسني ثم خَطَّ عليَّ خطا ثم قال: لا تبْرحَنَّ خطكَ فإنه سَينْتهي إليكَ رجالٌ فلا تكَلِّمْهُم فإنهم لا يُكلمونَك، ثم مَضَى رسولُ الله ﷺ حيثُ أراد، فبَيْنَا أنا جالسٌ في خطِّي أَتاني رِجَال كأنهُمُ الزُّطُّ (جيل من السودان طوال الأجسام مع نحافة) أشعارهم وأجسامهم، لا أرىٰ عورَةً ولا أرى بَشَرا، وينتهون إليَّ لا يجاوِزونَ الخط ثم يَصْدُرُونَ إلى رسول الله ﷺ حتى إذا كانَ آخِرُ الليْلِ لكنَّ رسول الله ﷺ قد جاءَني وأنا جالسٌ فقال: لقد رآني مُنذُ اللَّيْلَة، ثم دَخلَ عليَّ فِي خطِّي فتوَسَّدَ فَخذِي فَرَقَدَ، وكانَ رسول الله ﷺ إذا رقَدَ نَفخَ، فبَيْنَا أنا قَاعِدٌ ورسولُ الله ﷺ متَوَسِّدٌ فخِذِي، إذَا بِرِجَالٍ عليهم ثيابٌ بيضٌ اللهُ أَعْلَمُ مَا بِهِمْ مِنَ الْجمَالِ، فانْتَهَوْا إليَّ فَجلَسَ طائفَةٌ مِنْهُم عِندَ رَأْسِ رسول الله ﷺ وطائفَةٌ عند رِجْلَيْهِ ثم قالوا: مَارَأَيْنَا عَبْداً قَدْ أوتِيَ مِثلَ مَا أوتِيَ هٰذَا النبيُّ، إن عَيْنَيْه تنامَانِ وقَلْبُهُ يقظانُ: اضرِبوا لَهُ مثلا، مَثَل سَيِّدٍ بَنَى قَصْراً ثم جَعَلَ مأْدُبَةً فدعَا الناسَ إلى طعَامه وشَرابه، فمنْ أجابَه أكل من طعَامِه وشَرِبَ مِنْ شَرابِهِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبْهُ عاقَبَهُ، أو قال عذَّبَه، ثم ارْتفعُوا، واستيْقَظَ رَسولُ اللهِ ﷺ عند ذلك فقال: سمعتَ ما قالَ هؤلاء؟ وهل تَدْري مَنْ هُمْ؟ قلتُ اللهُ ورسولُهُ أعلم، قال: هُمْ المَلائِكَةِ، فَتَدْرِي مَا المثل الذي ضربوه؟ قلتُ: الله ورسوله

أعلم، قال: الرحْمنُ بَنَى الجنَّة وَدعَا إليْها عبادَهُ فمَنْ أجَابه دَخَل الجنةَ وَمَنْ لَمْ يُجِبْه عذَّبَهُ » رواه الترمذي وصححه:

قال الشاعر:

فَحَيَّ على جناتِ عَدْنٍ فإنها منازلُك الأولى وفيها المُخَيَّم
ولكننا سَبْيُ العدوِّ فَهلْ تُرى نعودُ إلى أوطانِنَا ونُسَلِّمُ

وقال الآخر:

لا تركَنَنَّ إلى الدنيا وما فيها. فالموتُ لاَ شَكَّ يُفْنينا ويُفْنيها
واعمل لدار الْبَقا رِضْوانُ خازنُها. والجارُ أحمدُ والجبارُ بانِيها

سلامة العقيدة أساس دخول الجنة

يجب أن يعلم كل مسلم أن العقيدة السليمة هي الأساس من أجل النجاة من الخلود في النار وأن الشرك أخفى من دبيب النمل، وأن التقاليد والعادات والمواريث الجاهلية ربما أبعدت المسلم عن دينه وأوقعته فيما يعتبر شركا أو كفرا صراحا وهو يحسب أنه يحسن صنعاً. فعلى كل مسلم أن يراجع نفسه من وقت لآخر وأن يعرض عقيدته على الكتاب والسنة، وأن يتعلم ما يتنافى مع عقيدة التوحيد حتى يحذره ويتحاشاه، ثم يتدارس أسباب قبول العمل الصالح، وأسلوب تربية النفس وتهذيبها حتى يكون على بينة من دينه، وعلى نور من ربه، وعلى صراط سوي وعلى سنة النبي ﷺ في كل صغيرة وكبيرة.

ومن باب التذكير والتنبيه أحب أن أبين هنا أشياء وقع فيها كثير من الناس فأخرجتهم من العقيدة السليمة ومن حزب الله وأسلمتهم إلى حزب الشيطان وهو لا يشعرون فأقول: كل من أنكر معلوما من الدين بالضرورة والبداهة فقد كفر. ومن حرم حلالا معلوم الحل فهو مشروع بغير أذن من الله وقد كفر. ومن أحل

ما حرم الله وهو يعلم أنه حرام فقد كفر. ومن شرع للناس قانوناً مضاداً لدين الله ليحرم ما أحل الله أو يحل ما حرم الله فقد كفر. ومن شارك في ذلك وهو يعلم أن ما يفعله عكس دين الله فقد كفر. ومن سخر من شعيرة من شعائر دين الله وهو يعلم أنها من شعائر الدين فقد كفر. ومن استهزأ بسنة من سنن النبي ﷺ وهو يعلم أنها سنة النبي فقد كفر. ومن كره إنساناً بسبب تمسكه بالسنة فقط كفر بشرط أن يعلم أن ما يفعله سنة. ومن أهان امرأة مسلمة بكلمة أو فعل أو إشارة بسبب تمسكها بدين الله فقد كفر. ومن أهان المصحف عامداً أو سخر منه أو من آية من آياته فقد كفر. ومن لم يرض الحكم بما أنزل الله فقد كفر. ومن لم يعتبر الإسلام نعمة من الله على عباده ورحمة منه لهم فقد كفر. ومن لم يعتبر الإسلام تشريعاً كاملاً يسع البشرية كلها ويصلح لها في كل زمان ومكان فقد كفر. ومن حارب الفتاة المسلمة والشباب الإسلامي بسبب تمسكه بدينه والتزامه بإسلامه فقد كفر. ومن وجه إهانة أو احتقاراً أو سخرية إلى النبي محمد ﷺ أو إلى أي نبي وهو يعلم أنه نبي فقد كفر. ومن استهزأ بحديث من أحاديث الرسول ﷺ وهو يعلم أنه حديثه فقد كفر. ومن قال قولا بلسان أو بكتابته يفهم منه تنقيص قدر الصحابة واحتقارهم جميعاً فقد كفر.

ومن تنقص صحابيا بعينه ثبت أن الله أثنى عليه وأن النبي ﷺ شهد له بالجنة وبالفضل فقال هذا القائل عكس ما ثبت عن الله ورسوله في هذا الصحابي فقد كفر.

ومن والى الكافرين وساعدهم على المؤمنين ليعذبوهم بسبب إيمانهم وتمسكهم بدينهم فقد كفر.

والأدلة على ذلك كله كثيرة من الكتاب والسنة، وعسى أن توجد فرصة مناسبة لإخراج كتاب في كل ما يكفر ويخرج المسلم من دينه خصوصاً في عصرنا هذا. حيث بعد الناس عن الدين وانساقوا في تيار المدنية المعاصرة، وأخذوا يلهثون وراءها ويهملون كل ما عداها حتى أنساهم ذلك دينهم وجعل الدين غريباً بينهم.

وقد أعجبني ابن القيم (وأنا دائم الإعجاب به) كل الإعجاب حين أراد أن يتكلم عن الجنة وما فيها من نعيم مقيم في كتابه «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» حيث ذكر أصول العقيدة الإسلامية في مقدمة كتابه هذا وعلل ذلك بقوله: ليكون الكتاب مؤسساً على معرفة من يستحق البشارة المذكورة (البشارة بالجنة) وأن أهل هذه المقالة (مقالة العقائد) هم أهلها (أهل الجنة) وبالله التوفيق انتهى كلامه. والمقالة التي جمعت العقائد الإسلامية وارتضاها ابن القيم ووضعها بكاملها في كتابه هذا هي لأبي الحسن الأشعري الذي يزعم مدعو السلفية وأتباعهم ممن لم يحرِّروا المسائل وليس لهم في العلم طائل أنه (أي الأشعري) بعيد عن الحق، وقال غير ما قال السلف وخرج على النهج السليم... وكم للجاهلين في العالمين من مقولات كلها زور وبهتان وافتراء بغير وجه حق. ولا يقفون عنه القول في أنفسهم، بل ينشرون إفكهم وزورهم وضلالهم على الناس، ويدعون أتباعهم إلى اعتناق ضلالهم وظلمهم، حتى يصير ذلك في الناس الذين حولهم عقيدة يتقربون إلى الله بها،... يا للخسارة والضياع والتمزق الذي أصاب المسلمين بسبب الجهلة بالدين، وبسبب المتعالمين وأنصاف المتعلمين.

ولو رجع هؤلاء إلى آخر ما كتبه الأشعري في العقيدة لعرفوا أنه سلفي من خيرة السلف.

وإليك المقالة بكاملها منقولة من كتاب «حادي الأرواح» ص ١١ وما بعدها. قال ابن القيم: قال أبو الحسن الأشعري في كتابه «مقالات الإسلاميين واختلاف المضللين» جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة:

الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئاً، وأن الله تعالى إله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولاولدا، وأن محمداً عبده ورسوله.

وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور.

وأنه تعالى على عرشه كما قال: « الرَّحمنُ على العَرشِ اسْتَوى » وأن له يدين بلا كيف كما قال: « خَلَقْتُ بِيَدَيَّ » وكما قال « بَلْ يَدَاهُ مَبْسوطَتَانِ » وأن له أعينا بلا كيف كما قال: « تجْرِي بأعْيُنِنَا » وأن له وجها كما قال: « وَيَبْقَى وجهُ رَبِّك ذُو الجلالِ والإكرام ».

وأن أسماء الله تعالى لا يقال إنها غير الله كما قالت المعتزلة والخوارج.

وأقروا أن الله علما كما قال: « أنزَلَهُ بِعِلْمه »، وكما قال: « وما تَحْمِلُ مِنْ أُنثَى وَلاَ تَضَعُ إلاَّ بِعِلْمهِ ».

وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن الله كما تعتقد المعتزلة

وأثبتوا الله القوة كما قال: « أولَمْ يَرْوا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنهُم قُوَّةً ».

وقالوا: إنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء الله، وأن الأشياء تكون بمشيئة الله كما قال تعالى: « وَمَا تَشَاءُونَ إلا أَنْ يَشَاءَ اللهُ » وكما قال المسلمون: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

وقالوا: إن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله، أو يكون أحد يقدر أن يخرج عن علم الله أو أن يفعل شيئاً علم الله أنه لا يفعله.

وأقروا أنه لا خالق إلا الله تعالى، وأن أفعال العباد يخلقها الله تعالى، وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً.

وأن الله تعالى وفق المؤمنين لطاعته وخذل الكافرين، ولطف بالمؤمنين، ونظر لهم وأصلحهم، وهداهم، ولم يلطف بالكافرين ولا أصلحهم ولا هداهم، ولو أصلحهم لكانوا صالحين، ولو هداهم لكانوا مهتدين، وأن الله تعالى يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين ولكنه خذلهم وأضلهم وطبع على قلوبهم.

وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره، ويؤمنون بقضاء الله وقدره خيره وشره، حلوه ومره.

ويؤمنون أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله كما قال. ويُلْجِئون أمرهم إلى الله، ويثبتون الحاجة إلى الله في كل وقت، والفقر إلى الله في كل حال.

ويقولون إن القرآن كلام الله غير مخلوق، والكلام في الوقف واللفظ، فمن قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق، ولا يقال غير مخلوق.

ويقولون: إن الله تعالى يُرى بالأبصار يوم القيامة كما يُرى القمر ليلة البدر، ويراه المؤمنون ولا يراه الكافرون، لأنهم عن الله محجوبون، قال الله تعالى: « **كَلاَّ إِنَّهُمْ عن رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ** »

وأن موسى عليه السلام سأل الله سبحانه وتعالى الرؤية في الدنيا، وأن الله تعالى تجلى للجبل فجعله دكا، فأعلمه بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة ولا يُكَفِّرون أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر، وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر، والإيمان عندهم هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره، حلوه ومره، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم، وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم.

والإسلام هو أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله كما جاء في الحديث، والإسلام عندهم غير الإيمان. ويقرون بشفاعة رسول الله ﷺ وأنها لأهل الكبائر من أمته، وبعذاب القبر، وأن الحوض حق، والصراط حق، والبعث بعد الموت حق، والمحاسبة من الله لعباده حق، والوقوف بين يدي الله حق. ويقرون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق. ويقولون: أسماء الله هي الله تعالى. ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار، ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله تعالى ينزلهم حيث شاء، ويقولون: أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم

ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قوماً من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ. وينكرون الجدال والمراء في الدين، والخصومة في القدر، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل، ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة، ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلا عن عدل حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ، ولا يقولون كيف؟ ولا لِمَ؟ لأن ذلك بدعة. ويقولون: إن الله لم يأمر بالشر، بل نهى عنه، وأمر بالخير، ولم يرض بالشرك وإن كان مريداً له. ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، ويأخذون بفضائلهم ويمسكون عما شجر بينهم، صغيرهم وكبيرهم. ويقدمون أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم عليا رضي الله عنهم، ويقرون بأنهم الخلفاء الراشدون المهديون، وأنهم أفضل الناس كلهم بعد رسول الله ﷺ

ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مستغفر؟ كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ

ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى «**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ والرَّسُولِ**»

ويرون اتباع من سلف من أئمة الدين، وأن لا يتبعوا في دينهم ما لم يأذن به الله. ويقرون أن الله تعالى يجيء يوم القيامة كما قال: «وَجَاءَ رَبُّكَ والْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً» وأن اللهَ تعالى يقرُب من خلقه كيف شاء كما قال: «**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**» ويرون العيدين والجمعة والجماعة خلف كل إمام برٍّ أو فاجر. ويثبتون المسح على الخفين سنة ويرونه في الحضر والسفر. ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث الله نبيه محمد ﷺ إلى آخر عصابة تقاتل الدجال. وبعد ذلك يرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، وأن لا يُخرجَ عليهم بالسيف، وأن لا يقَاتَلُوا في الفتنة. ويصدقون بخروج الدجال، وأن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله. ويؤمنون بمنكر ونكير والمعراج والرؤيا في المنام، وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل

إليهم. ويصدقون أن في الدنيا سحرة وأن الساحر كافر كما قال تعالى «**ولكنَّ الشياطينَ كَفَروا يُعَلِّمُونَ الناسَ السِّحْرَ**» وأن السحر كائن موجود في الدنيا.

ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم.

ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان، وأن من مات مات بأجله، وكذلك من قُتِلَ قُتِلَ بأجله.

وأن الأرزاق من قبل الله تعالى يرزقها عباده حلالا كانت أو حراماً.

وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويخبطه (يصرعه)

وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم الله تعالى بآيات تظهر عليهم.

وأن السنة لا تُنْسَخُ بالقرآن.

وأن الأطفال أمرهم إلى الله، إن شاء عذبهم وإن شاء فعل بهم ما أراد.

وأن الله تعالى عالم ما العباد عاملون، وكتب أن ذلك يكون، وأن الأمور بيد الله تعالى.

ويرون الصبر على حكم الله، والأخذ بما أمر الله تعالى، والانتهاء عما نهى الله عنه. واخلاص العمل لله، والنصيحة لكل مسلم، ويدينون بعبادة الله في العابدين، والنصيحة لجماعة المسلمين، واجتناب الكبائر والزنا وقول الزور والمعصية والفخر والكبر والازدراء على الناس والعجب. ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن، وكتابة الآثار، والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الأذى، وترك الغيبة والنميمة والسعاية، وتفقد المآكل والمشارب. فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه، وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب وما توفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل، وبه نستعين وعليه نتوكل، وإليه المصير. اهـ كلام الأشعري. ثم قال ابن القيم بعد ذلك مباشرة وفي نفس الباب.

والمقصود حكايته عن جميع أهل السنة والحديث أن الجنة والنار مخلوقتان وسقنا جملة كلامه ليكون الكتاب مؤسساً على معرفة من يستحق البشارة

المذكورة وأن أهل هذه المقالة هم أهلها وبالله التوفيق. اهـ. كلام ابن القيم.
أقول: فماذا في قول الأشعري مما يعاب عليه ولم يقله سلفنا الصالح وخيار أئمة المسلمين؟ وماذا يقول الجاهلون بعد قول ابن القيم في مقالة الأشعري: «وأن أهل هذه المقالة هم أهل الجنة؟» الحقيقة أنه لا يعرف أقدار العلماء إلا العلماء، ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا ذووا الفضل.

الجنة والنار موجودتان الآن

قال شارح الطحاوية: اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ولم يزل على ذلك أهل السنة حتى نبغت نابغة المعتزلة والقدرية فأنكرت وجودهما الآن وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة: اهـ ص ٣١٥ وقد دفعهم إلى هذا القول تحكيمهم العقل في شرع الله تعالى وأحكامه وأفعاله حتى تورطوا فشبهوا الله تعالى بخلقه وقالوا ينبغي أن يفعل الله كذا وألا يفعل كذا، على طريقة الفلاسفة والمنحرفين من علماء الكلام، كما قالوا: إن خلق الجنة قبل يوم القيامة عبث لأنها لا يدخلها أحد قبل ذلك والعبث على الله تعالى محال. فصاروا بذلك معطلة أيضاً لأنهم عطلوا الأخذ بالنصوص المثبتة لوجود الجنة والنار الآن. وإليك بعضها.

قال تعالى:

وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ آل عمران ١٣٣

وقال تعالى:

سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ الحديد ٢١

وقال تعالى:

﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ آل عمران ١٣٢

فقوله تعالى: «أُعِدَّتْ» فعل ماض مبني للمجهول، ولم يذكر الفاعل الذي أعد الجنة والنار لأنه معلوم لكل ذي عقل أنه لا يقدر على إعدادهما الا الله سبحانه وتعالى كما جاءت بذلك آيات وأحاديث، وكونهما أعدتا في الماضي يدل على وجودهما الآن، وقد صرحت الأحاديث الصحيحة بذلك ومنها حديث أنس في الصحيحين حيث قال ﷺ في آخره:

«ثم انْطَلَقَ بي جبريلُ حتى أَتَى سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى فَغَشِيَها أَلْوانٌ لا أدري مَا هِيَ؟ قال ثم دخلتُ الجنةَ فإذا هِيَ جَنَابِذُ اللؤلؤ، وإذا تُرابُها المِسْك»

وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: **«إن أحَدَكُم إذا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْه مَقْعَدُهُ بالغَداةِ والْعَشِيِّ إنْ كانَ من أَهْلِ الْجَنَّةَ فَمنْ اَهْلِ الجنَّةِ، وإنْ كانَ مِنْ أَهْلِ النارِ فَمِنْ أهْلِ النَّارِ، يقال: هذا مَقْعَدُكَ حتى يَبْعَثَكَ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»**

وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن عبد الله بن عباس قال: انخَسَفتِ الشَّمْسُ عَلىٰ عَهْدِ رسولِ الله ﷺ. فذكر الحديث وفيه: فقالوا يا رسول الله رَأَيْنَاكَ تَكَعْكَعْتَ (تأخرت) فقال: «إني رَأيتُ الجنةَ وتناوَلْتُ عُنقوداً ولو أصَبْتهُ لأكلْتُم مِنْهُ ما بَقِيَت الدُّنيا، ورأيتُ النَّار، فلم أرَ مَنْظَراً كالْيَوْمِ قَطُّ أَفْظَعَ، ورأيتُ أكثر أهلها النساءُ، قالوا بِمَ يا رسولَ الله؟ قال: بِكُفْرِهِنَّ، قيل أَيَكْفُرنَ بالله؟ قال يَكْفُرنَ العَشِير، وَيَكفرن الإحسَانَ، لَوْ أحْسَنْتَ إلى إحداهُنَّ الدَّهْرَ ثم رأتْ مِنْكَ شيئاً قالت: ما رأيْتُ خيراً قطُّ»

وفي صحيح مسلم من حديث أنس **«وايْمُ الذي نفْسَي بِيَدِهِ لَوْ رأيتم ما رأيتُ لَضَحِكْتُمْ قَليلاً وَبَكَيْتُمْ كثيراً، قالوا وما رأَيْتَ يا رَسولَ الله؟ قال: «رأيتُ**

الْجَنَّةَ والنَّارَ

هذه أدلة يقينية كافية في إثبات وجود الجنة والنار الآن، ولا ينكر ذلك إلا مكابر حكم عقله المريض في شرع الله ولم يحكم شرع الله في عقله.

الجنة والنار خالدتان لا تفنيان

من فضل الله تعالى وكرمه أنه جعل الجنة خالدة خلوداً أبدياً بحيث لا يعتريها فناء على الإطلاق وكذلك جعل أهلها الذين كتب لهم أن يدخلوها وينعموا بما فيها مما هو فوق تصور البشر، والأدلة على ذلك كثيرة جداً منها قوله تعالى:

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ البينة ٧ - ٨

وقال تعالى:

وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ
التغابن ٩

والأحاديث في ذلك كثيرة جدا منها ما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إِذَا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ ينادي منادٍ: انَّ لكم أن تصِحُّوا فلا تَسْقَموا أبداً، وإنَّ لكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فلا تموتوا أبداً، وإنَّ لكم أنْ تشِبُّوا فَلاَ تَهْرموا أبداً، وان لكم أَنْ تَنعمُوا فلاَ

تَبْئَسُو أبداً، وذلك قول الله عز وجل: «ونُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجنةُ أُورِثْتُمُوها بِمَا كُنتُمْ تَعْملونَ»

وروى البخاري ومسلم عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: «يُدْخِلِ اللهُ أَهلَ الجنةِ الجنة وأهلَ النارِ النارَ، ثم يقومُ مُؤَذِنٌّ بَيْنَهُم فيقول: يا أَهْلَ الجنةِ لاَ مَوْتَ ويا أَهْلَ النَّارِ لاَ مَوْتَ، كُلٌّ خَالِدٌ فيمَا هُوَ فِيهِ»

ولم يقل بفناء الجنة إلا الجَهْمُ بن صفوان إمام المعطلة، وليس له سلف قط لامن الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المسلمين ولا من أهل السنة، وأنكر هذا القول عليه أهل السنة وكفروه به وصاحوا به وبأتباعه من أقطار الأرض مستنكرين عليهم هذا القول الشنيع المخالف للأدلة القطعية من الكتاب والسنة، والتي تدل صراحة على خلود الجنة وخلود أهلها وعدم فنائها.

وأما قوله تعالى:

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ هود ١٠٦

فإن الاستثناء هنا في الآية ليس معناه أن الجنة تفنى في وقت من الأوقات، لأن آخر الآية دل على أبدية نعيمها وعطاء الله لأهلها في قوله: «عَطاء غير مجذوذ» أي غير مقطوع، فإذا كان عطاء الله لأهل الجنة غير مقطوع فهي إذا خالدة أبدية، ويكون معنى «إلا ما شاء الله» أن خلودها ليس أمراً واجباً بذاته، بل هو أمر موكول إلى مشيئة الله، وقد شاء أن تكون خالدة، وأن يكون عطاؤه فيها غير مقطوع. أو يكون المعنى «أن أهل الجنة يدخلونها مخلدين فيها إلا الذين عصوا ربهم من المسلمين فأدخلوا النار ثم أُخرجوا منها وأدخلوا الجنة، وهناك أجوبة أخرى لا داعي لذكرها. هذه خلاصة ما يتصل بخلود الجنة وخلود أهلها نقلتها من تفسير زاد المسير وتفسير ابن كثير وكتاب

«شرح الطحاوية» لابن أبي العز وكتاب «حادي الأرواح» لابن القيم باختصار.

وأما النار وخلودها وخلود أهلها فيها فللعلماء فيها ثمانية أقوال، ذكرها ابن أبي العز وابن القيم وغيرها وإليك هذه الأقوال ثم ذكر الراجح منها

القول الأول: أن من دخلها لا يخرج منها أبد الآباد، وهو قول الخوارج والمعتزلة القائلين بأن مرتكب الكبيرة مخلد في النار مثل الكافر وسبق الرد عليه بأدلة قطعية.

الثاني: أن أهلها يعذبون فيها، ثم تنقلب طبيعتهم وتتحول إلى الطبيعة النارية فيتلذذون بالنار بعد هذا التحول لموافقتها لطبعهم، وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربي، وهو ظاهر الفساد كالقول الذي قبله فإن مثل هذا يحتاج إلى دليل ولا دليل.

الثالث: أن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود، ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون وهذا القول حكاه اليهود للنبي ﷺ فأكذبهم فيه، وقد أكذبهم الله في القرآن فيه قال تعالى:

﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ البقرة ٨٠- ٨١

الرابع: أن المعذبين فيها يخرجون منها وتبقى ناراً على حالها ليس فيها أحد يعذب، وستأتي أدلة هذا القول في ذكر أدلة القول السابع فإنهما متقاربان.

الخامس: أنها تفنى بنفسها لأنها حادثة، وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه، وهذا قول جهم وشيعته، ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار، والجواب

للرد عليه سهل فإن بقاء الجنة والنار ليس من ذواتها إنما هو من الله تعالى ، والله يفعل ما يريد ، وما كتب عليه الفناء فإنه يفني وهو الذي يفنيه ، وما قدر له البقاء الأبدي وهو الذي يبقيه ، وهذا أمر بديهي .

السادس: قول أبي هذيل العلاف هو أن أهل النار تفنى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جماداً لا يتحركون ولا يحسون بألم ويرى أن مصير أهل الجنة كذلك مستبد لا بدليل عقلي وهو امتناع حوادث لا نهاية لها ، والرد عليه كالرد على سابقه وهو أن ذلك ممتنع لو كانت الحوادث اكتسبت ذلك من ذاتها ، أما إذا كان الله هو الذي أراد ذلك وقدره فلا مجال لمثل هذا القول الشاذ .

السابع : قول من قال: إن النار يفنيها ربها وخالقها بعد أن يخرج منها من يشاء كما ورد في الحديث فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه . قال شيخ الإسلام: وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وغيرهم. قال ابن كثير ، وقد روى عن أبي مجلز والشعبي وغيرهما من التابعين ، وعن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وإسحاق بن راهويه وغيرهما من الأئمة.

أقول ورجح هذا القول ابن القيم في كتابه « حادي الأرواح » وساق لذلك خمسة وعشرين دليلاً أو وجهاً كما سماها ، بعض هذه الأوجه وجيه وأكثرها لا يصلح للاعتماد عليه عند النظار من العلماء ، ولا داعي لذكرها هنا ولكني أسوق إليك أهم ما استند إليه القائلون بهذا القول مع العلم بأن كبار المفسرين لم يقل أحد منهم بهذا القول سوى عبد بن حميد في تفسيره المشهور ، بل اعتبر ابن كثير هذا القول غريباً لا دليل عليه وسبقه إلى ذلك ابن جرير الطبري وغيره من المنكرين لهذا القول. وإليك بعض أدلة القائلين بهذا الرأي. قال تعالى: أولاً :

قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ (منزلكم) خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ

إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ الأنعام ١٢٢

وقال:

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ هود ١٠٦ - ١٠٧

قالوا لم يأت بعد هذين الاستثناءين ما أتى بعد الاستثناء المذكور لأهل الجنة وهو قوله تعالى (عطاء غير مجذوذ) فدل ذلك أن النار خالدة إلا حين يشاء الله إفناءها فيفنيها.

ثانياً: استدلوا بقوله تعالى: «**لاَ بِثِينَ فِيهَا أَحْقَاباً**» أي دهوراً، قال ابن مسعود في هذه الآية: ليأتين على جهنم زمان وليس فيها أحد بعد ما يلبثون فيها أحقاباً، وعن أبي هريرة مثله. حكاه البغوي عنهما. فأصحاب هذا الرأي يقولون: إن الأبد لا يقدر بالأحقاب، فذكر الأحقاب دليل الفناء بعد انتهاء الأحقاب المقدرة لها عند الله.

ثالثاً: قالوا النار موجب غضبه سبحانه والجنة موجب رحمته ومقتضاها، وقد ثبت في الصحيح أن رحمته تعالى سبقت غضبه، وفي رواية تغلب غضبه تعالى، ومقتضى هذا أن لا يكون العذاب في جهنم مؤبداً، وأن يكون مصير هؤلاء إلى الجنة بعد عذابهم أحقاباً.

رابعاً: قالوا: إن الله سبحانه يخبر عن العذاب أنه (عذاب يوم عظيم- وأليم- وعقيم) ولم يخبر ولا في موضع واحد عن النعيم أنه نعيم يوم. مما يدل على أن النعيم أبدي وأن العذاب غير أبدي.

خامساً: قالوا: إن الله تعالى يقول: «**ورحمتي وسعت كل شيء**» فلا بد أن تسع رحمته هؤلاء المعذبين، فلو بقوا في النار والعذاب إلى ما لا نهاية لم تسعهم رحمته.

سادساً: قالوا ما ورد من الخلود في النار، والتأبيد فيها، وعدم الخروج

منها ، وأن عذابها مقيم ، وأنه غرام (لازم) كله لا نزاع فيه وهو يقتضي الخلود في دار العذاب ما دامت باقية ، فإذا فنيت فلا بقاء فيها لأنها غير موجودة وهناك فرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس كما يخرج الموحدون من النار وهي موجودة وبين من يخرج من الحبس بسبب خراب الحبس وانتقاضه.

القول الثامن قول عامة العلماء وجمهورهم من السلف والخلف وأئمة المسلمين وعامتهم. وهو أن النار أبدية لا تفنى وأن الكفار معذبون فيها عذاباً أبدياً لا ينتهي ، والأدلة على ذلك كثيرة ومستفيضة لا تحتاج إلى ذكرها هنا وقد مر بعضها. وفي هذا القدر كفاية... والرأيان الأخيران هما المعتمدان عند العلماء.

وصف عام للجنة

قال تعالى:

وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ آل عمران ١٣٣

وقال تعالى:

لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ

آل عمران ١٥

وقال تعالى:

هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ مُتَّكِـِٔينَ

﴿فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۝ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۝ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ ص ٤٩ - ٥١

وقال تعالى:

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ۝ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ۝ وَكَأْسًا دِهَاقًا ۝ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ۝ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ النبأ ٣١ - ٣٦

وأخرج الطبراني بسند جيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: لما خَلَقَ اللهُ جنةَ عدْنٍ خلق فيها ما لا عينٌ رأَتْ ولا أُذُنٌ سمِعَتْ ولا خطر على قلبِ بَشَر ثم قال لها: تكلمي، قالت: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ».

وأخرج ابن ماجة وابن حبان والبيهقي والبزار عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«ألا هَلْ مُشَمِّرٌ لِلْجَنَّةِ؟ فإن الجنة لاَ حَظْرَ لها (لا منع منها) هِيَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلأْلأُ، وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ، وقَصْرٌ مَشِيدٌ، ونَهْرٌ مُطَّرِدٌ، وثَمَرَةٌ نَضِيجَةٌ، وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ، وحُلَلٌ كَثِيرَةٌ، ومُقَامٌ في أَبَدٍ في دارٍ سليمة، وفاكِهَةٌ وخُضْرَةٌ، وحَبْرَةٌ، ونِعْمَةٌ في مَحِلَّةٍ عَالِيَةٍ بَهِيَّةٍ، قالوا يا رسول الله، نحنُ المشَمِّرونَ لَهَا، قال: قُولوا إنَ شَاءَ اللهُ، فقال القوم: إن شاء الله».

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَوْضِعُ سَوْطٍ في الجنةِ خيرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». أخرجه البخاري ومسلم

وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ:

«يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ في النار صَبْغَةً ثم يقال: يا ابنَ آدمَ هل رأيتَ خيراً قطُّ؟ هل مَرَّ بِك نَعِيمٌ قَطُّ؟ فيقولُ: لا واللهِ يا ربِّ، ويؤتى بأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْساً في الدنيا من أهْلِ الجنةِ، فيُصْبَغ في

الجنة صَبغة، فيقال له: يا ابنَ آدمَ هل رأيتَ بُؤساً؟ هل مَرَّ بك شدَةٌ قط؟ فيقول: لا واللهِ يا ربِّ، ما مَرَّ بي بؤسٌ قطُّ ولا رأيتُ شِدَّةً قطُّ » أخرجه‌مسلم. هذه هي الدار التي تستحق أن يعمل الإنسان لها آناء الليل وأطراف النهار، ولذلك قال الحسن: إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة.

وقال وهيب بن الورد: إن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل. واقرأ في وصف الجنة سورة الرحمن والواقعة والحاقة والنبأ وغيرها من السور ويكفي في ذلك ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل:

« أعددتُ لِعباديَ الصَّالِحينَ ما لاَ عَيْنٌ رَأَتْ وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، اقْرَءُوا إن شِئْتُمْ فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ».

قال ابن القيم في وصف الجنة ونعيمها:

فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران. وإن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن. وإن سألت عن مِلاطها فهو المسك الأذفر (أطيب المسك). وإن سألت عن حَصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر. وإن سألت عن بنائها فلَبِنَة من فضة ولبنة من ذهب. وإن سألت عن أشجارها فما فيها من شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة. وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال، ألين من الزبد وأحلى من العسل. وإن سألت عن أوراقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل. وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى، وأنهار من ماء غير آسن. وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون. وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور. وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير. وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها. وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام. وإن سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من

درة لجوفة طولها ستون ميلا من تلك الخيام. وإن سألت عن علاليها فهي غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار. وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الدري الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار. وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب. وإن سألت عن فروشها فبطائنها من استبرق (حرير) مفروشة في أعلى الرتب. وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر. وإن سألت عن أسنانهم (أعمارهم) فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبي البشر. وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين، وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين، وأعلى منها خطاب رب العالمين. وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلَّدون، كأنهم لؤلؤ مكنون. وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهي الكواكب الأتراب اللاتي جرى في أعضائهن ماء الشباب، تجري الشمس في محاسن وجهها إذا برزت، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت رحبها فقل ما تشاء في تقابل النيِّرَيْن، يرى وجهه في صحن خدها كما يرى في المرآة التي جلاها صيقلها، ويرى ساقها من وراء اللحم والعظم، لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحاً، ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلا وتكبيرا وتسبيحاً، ولتزخرف لها ما بين الخافقين، ولأغمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم ،ولآمن من على ظهرها بالحي القيوم .ونصيفها (خمارها) على رأسها خير من الدنيا وما فيها، لا تزداد على طول الأحقاب إلا حسناً وجمالاً، مبرأة من الحبل والولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق والبول وسائر الأدناس، لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها، ولا يخلق ثوب جمالها، ولا يُمَل طيبُ وصالها، قد قصرت طرفها على زوجها فلا تطمح لأحد سواه، وقصر طرفه عليها فهي غاية أمنيته وهواه وهو معها في غاية الأمن والأمان، لم يطمثها قبله إنس ولا جان. هذا وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد، ورؤية وَجهه المنزه عن التشبيه والتمثيل كما ترى

الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر ليس دونه سحاب فاستمع يوم ينادي المنادى يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم (يطلبكم لزيارته) فحيَّ على زيارته، فيقولون: سمعاً وطاعة، حتى إذ انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جُعِل لهم موعداً، وجمعوا هناك فلم يغادر الداعي منهم أحداً، أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك، ثم نصبت منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، وجلس أدناهم (أقلهم منزلة) وما فيهم دنيء على كثبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا، حتى إذا استقرت بهم مجالسهم، واطمأنت بهم أماكنهم، ونادى المنادي: يا أهل الجنة: إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة، ويزحزحنا عن النار؟ فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة، فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه قد أشرف عليهم من فوقهم، وقال: يا أهل الجنة سلام عليكم فلا ترد هذه التحية بأحسنَ من قولهم: اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام، فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ويقول: يا أهل الجنة فيكون أول ما يسمعون منه تعالى: أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني؟ فهذا يوم المزيد، فيجتمعون على كلمة واحدة أن قد رضينا فارض عنا، فيقول يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي فاسألوني، فيجتمعون على كلمة واحدة هي أرنا وجهك ننظر إليه، فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى ألا يحترقوا لاحترقوا، ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى إنه ليقول: يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا؟ يذكره ببعض غدواته في الدنيا، فيقول يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول: بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه.. فيا لذة الاسماع بتلك المحاضرة، ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجهه الكريم في الدار الآخرة.. وجوه

يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة. اهـ من كتاب « حادي الأرواح » لابن القيم ص ١٩٣ وما بعدها.

صور أهل الجنة وأشكالهم

إن كل ما ذكر عن أهل الجنة وصورهم وأشكالهم وأصواتهم وجمالهم إنما هو تقريب إلى الأذهان، وإلا فإن كل ما في الجنة هو فوق تصور البشر، وكذلك كل من فيها من إنسان وولدان وملائكة وحُور عين ولحوم وفواكه وأنهار وأشجار ومراكب وسعادة. أتذكر مرة أنك خلوت بربك فناجيته وناديته ودعوته ذليلا راجياً متضرعاً ثم فجأة شعرت بلذة معرفتك به، وخضوعك له وسعادتك بحبه وقربه وذكره. إن هذه السعادة حينئذ تقربك إلى سعادة أهل الجنة. وما يعقلها إلا العالمون، ولا يدركها إلا المجربون، وساعة رضا من الله تعالى تعدل الدنيا والآخرة وما فيها. ولذا لا يطمئن أهل الجنة على حياتهم الأبدية الناعمة إلا إذا سمعوا من الله تعالى قوله: « رضيت عنكم فلا أسخط عليكم بعد ذلك أبداً » وإليك بعض الأدلة التي تكشف لنا عن جمال من يدخله الله الجنة.

قال تعالى:

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ۝ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ الحجر ١٤٨

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **لَيَدْخُلَنَّ الجنةَ مِن أمتي سبعونَ ألفاً، أو سبعُمائَة ألفٍ، متماسِكونَ، آخذٌ بَعْضُهُمْ بِبِعْضٍ، لا يدخل أَوَّلُهُمْ حتى يدخلَ آخرهم (بأن يدخلوا دفعة واحدة) وجوهُهُم على**

صورةِ القمَر ليلةَ البَدْرِ » رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إن أَوَّلَ زُمْرةٍ يَدْخُلُونَ الجنةَ على صورةِ القمرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، والذين يلُونهُمْ على أشدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ في السَّماءِ إضاءَةً، لا يبُولُونَ ولا يتغوَّطون ولا يَمْتَخِطُونَ، ولا يتفِلُونَ، أَمْشاطُهُمُ الذَّهَبُ، ورَشحُهُم المِسْك، ومجامِرُهُم الأَلُوَّة، أَزْواجُهُمْ الحورُ العِينُ، أخلاقُهُمْ على خُلُقِ رجُلٍ واحِدٍ، على صُورَةِ أبِيهِمْ آدَمَ، سِتُونَ ذِراعاً في السَّماءِ ». وفي رواية قال رسول الله ﷺ: « أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الْجَنَّةَ (تدخلها) صُوَرُهُمْ على صُورَةِ الْقَمرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لا يَبْصُقُونَ فيها، ولا يَمْتَخِطُونَ ولا يتغوطون، آنِيَتُهُمْ فيها الذهبُ، أمشاطهم من الذهبِ والفِضةِ، ومجامِرُهُمْ الأَلُوَّةَ (نوع من العود الذي يتبخر به) ورشحُهُم المسك لِكلِّ واحدٍ منهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا من وراءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لا اخْتِلافَ بَيْنَهُمْ (لا شقاق ولا تنافر) ولا تَباغُضَ، قُلُوبُهُم قَلْبُ واحِدٍ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكرَةً وعَشِيًّا » رواهما البخاري ومسلم. وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « يدخلُ أهلُ الجنةِ الجنةَ جُرْداً (لا شعر على أبدانهم) مُرْداً (لا لحية لهم) مُكَحَّلِينَ، بَنِي ثَلاثٍ وثلاثين » رواه الترمذي وحسنه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: يدخلُ أهلُ الجنةِ الجنةَ جرداً مرداً بِيضاً جعاداً (أخلاقهم حسنة) مكحَّلين، أبناءَ ثلاثٍ وثلاثين، وهم على خَلْقِ آدَمَ، سِتُّونَ ذِراعاً في عَرْضٍ سَبْعَةِ أَذْرُعٍ » رواه أحمد وغيره

وعن المقداد رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: « مَا مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ سِقْطاً (أي من نزل من بطن أمه قبل تمامه وهو مستبين الخلق) ولا هَرِماً (شيخاً كبيراً ضعيفاً)- وإنَّمَا الناسُ فيما بَيْنَ ذلِكَ- إلا بُعِثَ ابنَ ثَلاثٍ وثلاثينَ سنةً، فإن كانَ من أهل الجنةِ كانَ على مَسْحَةِ آدَمَ (هيئته في الخلق) وصورَةِ يوسفَ (في الجمال) وقلبِ أيوبَ (في النقاء والصفاء) ومن كان من أهل النارِ عَظُمُوا

وفخُمُوا كَالجِبَالِ » رواه البيهقي بإسناد حسن اهـ من الترغيب جـ ٤ ص ٥٠٠

وجاء في حديث علي الذي رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي وغيرهما وقال فيه المنذري: الأصح أنه موقوف على علي وهو حديث صحيح ومثله لا يكون من قبل الرأي: قال علي كرم الله وجهه: يساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زُمَراً، حتى إذا انتَهَوْا إلى باب من أبوابها وجدوا عندَه شجرةً يخرجُ من تحت ساقها عينانِ تجريان، فعَمَدوا (قصدوا) إلى إحداهما كأنما أمروا بها فشربوا منها فأذهبَتْ ما في بطونهم من أذًى أو قذًى، أو بَأْسٍ ، ثم عَمَدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرَتْ عَلَيْهِمْ بِنَضْرةِ النَّعِيمِ ، فَلَنْ تَتَغَيَّرَ أَبْشَارُهُم (جلودهم) تَغَيُّراً بَعْدَهَا أَبَداً، وَلن تشعَثَ أَشْعَارُهُمْ، كأنما دُهِنُوا بالدِّهان، ثم انتهوا إلى خزَنَةِ الجنة فقالوا: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين.. إلى آخر الحديث الموقوف على علي. وقد ظهر من هذا الحديث متى يحصل التغيير في خلقة المؤمنين بحيث يصيرون في صورهم وأشكالهم وأخلاقهم صالحين لسكنى الجنة.

أول من تفتح له أبواب الجنة

الأمة المحمدية الإسلامية هي آخر الأمم ظهوراً على مسرح الحياة الإنسانية، وقد أعطاها الله تعالى من الخصائص والميزات ما لم يعطه غيرها، وقد كتب في خصائص هذه الأمة كثيرون، ولا مجال هنا لذكر هذه الخصائص، غير أن المقام يستدعي ذكر بعضها من ذلك: أنها أمة قليلة العمل كثيرة الثواب تفضلاً من الله عليها.

ومنها أنها: جعلت لها الأرض مسجداً وطهوراً. ومنها أنها: أحلت لها الغنائم ولم تحل لأحد قبلها. ومنها أنها: أرسل إليها أفضل رسول وهو محمد ﷺ. ومنها أنها: أنزل عليها أكمل كتاب وهو القرآن الكريم. ومنها أنها خاتمة الأمم

صاحبة الرسالات. ومنها أن رسولها خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبي بعده ولا رسول.

ومنها أنها تشهد يوم القيامة على جميع الأمم ولا يشهد عليها إلا رسولها ﷺ.

ومنها أن الله ائتمن علماءها على رسالة نبيها وجعل الصادقين منهم كأنبياء بني إسرائيل.

في تبيان الكتاب، وتطبيق شريعة الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حراسة للعقيدة والشريعة.

ومنها أنها أول الأمم دخولاً الجنة يوم القيامة.

ومنها أن الجنة لا تفتح أبوابها لأحد قبل نبيها ورسولها محمد ﷺ.

فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**آتي بابَ الجنَّةِ يومَ القيامةِ فأَسْتَفْتِح، فيقول الخازنُ: من أنْتَ؟ فأقول: محمدٌ. فيقول: بِكَ أمِرْتُ لا أفْتَحُ لأحد قَبْلَكَ**» رواه مسلم. وأخرج الطبراني بسند حسن عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال: «**الجنةُ حرِّمَتْ على الأنبياء حتى أدخُلَها، وحرِّمَتْ على الأمَمِ حتى تدخُلَها أمَّتي**» وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أولُ مَنْ يَفْتَحُ بابَ الجنةِ إلاّ أني أَرى امرأةً تُبَادِرُني فأقول لَهَا: مَالَكِ؟ ومن أنْتِ؟ فتقولُ: أَنَا امرأةٌ قَعَدْتُ عَلَى أيْتَامِي**» رواه أبو يعلى والأصبهاني.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نَحْنُ السابِقُونَ الأولوْنَ يَوْمَ القيامَةَ بَيْدَ (غير) أنهُم أوتوا الكِتَابَ من قَبْلِنَا، وأوتيناهُ من بَعْدِهِمْ**» رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فأختلفوا، فهدانا اللهُ لما اخْتَلَفُوا فيهِ من الحقِّ بإذْنِه**» رواه مسلم

قال ابن القيم: فهذه الأمة أسبق الأمم خروجاً من الأرض، وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف، وأسبقهم إلى ظل العرش، وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم، وأسبقهم إلى الجواز على الصراط، وأسبقهم إلى دخول الجنة اهـ من حادي الأرواح ص ٧٧ هذا: وأبو بكر رضي الله عنه أول من يدخل الجنة من أمة محمد ﷺ لقوله ﷺ: «في حديث»: «**يا أبا بكر أنت أول من يدخل الجنة من أمتي**» رواه أبو داود في سننه، وما جاء من أن عمر أول من يصافحه الحق، وأول من يسلم عليه وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة فهو حديث منكر جداً لأن فيه داود بن عطاء قال فيه البخاري: منكر الحديث وقال فيه الإمام أحمد: ليس بشيء اهـ.

السابقون إلى الجنة من أمة محمد ﷺ

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«**يَدْخلُ فقراءُ المسلمين الجنةَ قبلَ أغنيائِهم بِنِصفِ يوم وهو خَمْسُمِائَةِ عام**» رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح.

وعن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«**فقراءُ المهاجرين يَسْبِقون الأغنياءَ يَوْمَ القِيامَةِ بأرْبَعِينَ خَرِيفاً (سنة)**» رواه مسلم.

ويجاب عن الاختلاف بين الحديثين في مدة سبق الفقراء الأغنياء بأن ذلك راجع إلى حال الفقراء والأغنياء، فمنهم من يسبق بأربعين، ومنهم من يسبق بخمسمائة كما يتأخر مكث العصاة في النار بحسب أحوالهم- كذا قال ابن القيم- وقال: ولكن ههنا أمر يجب التنبيه عليه وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم

في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة وإن سبقه غيره في الدخول، والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب، وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم، والغني إذا حوسب على غناه فوجد قد شكرا الله تعالى فيه، وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذي سبقه في الدخول ولم يكن له تلك الأعمال، ولا سيما إذا شاركه الغني في أعماله وزاد عليه فيها، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا، فالمزية مزيتان: مزية سبق ومزية رفعة، وقد يجتمعان وينفردان، فيحصل لواحد السبق والرفعة وبعدمهما آخر، ويحصل لآخر السبق دون الرفعة، ولآخر الرفعة دون السبق اهـ ص ٨١ من حادي الأرواح.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

«عُرِضَ عليَّ أولُ ثلاثةٍ من أمتي يدخلون الجنةَ وأولُ ثلاثةٍ يدخلون النارَ، فأما أولُ ثلاثةٍ يدخلون الجنةَ فالشهيدُ، وعبدٌ مملوكٌ لم يَشْغَلْه رِقُّ الدُّنيا عَنْ طَاعَةِ رَبِّه، وفقيرٌ مُتَعَفِّفٌ ذوُ عِيالٍ، وأولُ ثلاثةٍ يدخلون النارَ فأَمِيرٌ مُسَلَّطٌ، وذو ثَرْوَةٍ مِنْ مالٍ لا يُؤَدِّي حَقَّ اللهِ مِنْ مالِه، وفقيرٌ فَخُورٌ» رواه الإمام أحمد

مُلك أقلِّ الناس عملا في الجنة

عن المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ:

«أن موسى عليه السلام سأل رَبَّه: ما أدْنى (أقل) أهل الجنَة، منزلةً؟ فقال: رجلٌ يجيءُ بعد ما دَخَل أهْلُ الجنةِ الجنةَ، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: رَبِّ كيفَ وقد نَزَل الناسُ منازِلَهُم، وأخذوا أخَذَاتِهِم؟ (درجاتهم)

فيُقَال له: أتَرْضىٰ أن يكون لَكَ مثلُ مَلِكٍ من ملُوكِ الدنيا؟ فيقول: رضِيتُ ربِّ، فيقول له: لَكَ ذلكَ ومثلُه ومثلُه ومثلُه،، فقال في الخامسة: رضيتُ ربِّ، فيقول: هذا لَكَ وعَشْرةُ أمْثالِهِ، ولَكَ ما اشْتَهَتْ نفْسُكَ ولَذَّتْ عَيْنُكَ، فيقول: رَضِيتُ رَبِّ. قال: ربِّ فأعلاهُم مَنْزِلَةً؟ قال: أولئكَ الذينَ أرَدْتُ، غَرَسْتُ كرامَتَهُمْ بِيَدي، وخَتَمْتُ عَلَيْها، فلم تَرَ عَيْنُ، وَلَمْ تسمعْ أذُنٌ، ولَمْ يَخْطُرْ على قلبِ بَشَر» رواه مسلم

وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن أسفَلَ أهلِ الجنةِ أجمعين دَرَجةً لَمَنْ يقومُ على رأسِهِ عَشْرةُ آلافِ خادِمٍ بِيَدِ كلِّ واحدٍ صَحْفتان، واحدةٌ مِنْ ذهبٍ والاخرى من فِضةٍ، في كل واحدة لوْنٌ ليْسَ في الأخرى مِثْلهُ، يأكلُ من آخِرِها مثلَ ما يأكُلُ من أوَّلِها، يَجِدُ لآخِرِهَا مِنَ الطيبِ واللذةِ مِثلَ الذي يَجِدُ لأوَّلِها، ثم يكونُ ذَلِكَ ريحَ المِسْكِ الأذْفَرِ (طيب الرائحة) لا يُبولُونَ ولا يتَغوَّطونَ ولا يَتَمخِطُونَ، إخواناً على سُرُرٍ متقابلين» رواه ابن أبي الدنيا والطبراني واللفظ له ورواته ثقات. كذا قال الترمذي.

وأخرج مسلم عن ابن مسعود قلل: قال رسول الله ﷺ:

«إني لأعلَمُ آخرَ أهلِ النارِ خروجاً منها، وآخرَ أهلِ الجنةِ دخولا الجنةَ، رجلٌ يَخْرج من النارِ حَبْواً، فيقول اللهُ له: اذهب فادخلِ الجنةَ، فيأتيها فيُخَيَّلُ إلَيْه أنها مَلأى، فَيْرجعُ فيقول: يا ربِّ وجدْتُها مَلْأى، فيقولُ اللهُ لَهُ: إذهَبْ فادْخُلِ الجنة، فيأتيها، فيخيَّلُ إليه أنها مَلْأى فيرجع، فيقول: يا ربِّ وجدتُها ملأى، فيقول اللهُ له: اذهَبْ فادخلِ الجنة، فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى فيرجع، فيقول، يا ربِّ وجدتها ملأى فيقول اللهُ له: اذهب فإن لك مثل الدنيا وعشْرَة أمثالِها فيقول: أتَسْخَرُ مِنِّي وأنتَ المَلِك؟ فلقد رأيتُ رسول الله ﷺ ضَحِك حتى بَدَتْ نواجذُه، فكان يقال: ذلك أدْنى أهلِ الجنةِ منزلةً.

وأخرج مسلم أيضا عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال:

«آخِر من يدخلُ الجنةَ رجُلٌ، فهو يَمْشي مرَّةً، ويكبُو أُخْرى، وتسْفَعه النارُ مرَّة، فإذَا جَاوزَها التفَتَ إلَيْهَا فقال تبارك الذي نجَّانِي مِنْك، لقد أعْطانيِ اللهُ شيئاً ما أَعْطاهُ أحَداً من الأَوَّلِينَ والآخرين، فترفعُ لَهُ شَجَرَةٌ فيَقُولُ: أيْ ربِّ أدْنِني (قربني) من هذِه الشجرةِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّها وأشْرَبَ مِنْ مَائِها، فيقولُ اللهُ: يا بْن آدم: لَعَلْيَ إن أعطَيْتُكها، أنْ تسألَنِي غيرَها؟ فيقول: لا يا ربِّ،ويعاهِدُهُ ألا يسألَهُ غيرَها، وربُّه يَعْذِرُه، لِأَنه يَرَى مَا لاَ صَبْرَ لهُ عَلَيْه، فيَدْنيهِ مِنها، فيْستظِلُ بِظِلِّها، ويَشْرَبُ مِنْ مَائِها، ثم تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الأُولىٰ، فيقول أي ربِّ أدْنِنِي من هذِهِ الشَّجَرَةِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا وأسْتَظِلُ بِظِلِّهَا، لا أَسْأَلُكَ غيرها فيقول: يا بْنَ آدَمَ ألم تعاهِدْني ألاّ تَسْأَلَني غيْرَها؟ فَيُدْنِيه مِنْهَا، ثم تُرْفَعُ له شجرة عند باب الجنة، هي أحْسَنُ من الأُولَيَيْنَ، فيقولُ أيْ رَبِّ أدْنِنِي من هذه لا أسأَلُك غيْرَها، فيقول: ألم تُعَاهِدْني ألا تسأَلَني غيْرَها؟ فيُدْنِيه منها، فإذَا أدْنَاهُ مِنْها سَمِعَ أصْوَاتَ أهْلِ الجَنَّةِ، فيقولُ أيْ رَبِّ أدْخلْينها، فيقول: أيُرْضيك إن أعطيتك الدنيا ومثلها معها؟ قال يا رب أتَسْتَهْزِيءُ بِي وأنتَ ربُّ العالمين؟ فيقول: «إني لا أستهْزِئُ منْك ولكِني على مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»

عدد أبواب الجنة ونصيب كل مؤمن منها

سبق أن عرفنا أن أبواب النار سبعة، لكل منها عدد معين وجزء مقسوم من أهل النار، أما الجنة فأبوابها ثمانية، فمن الناس من يدعى منها كلها، وذلك لأنه وفَّى حق ربه في كل جانب من جوانب الشريعة، ولكنه لا يدخل إلا من باب واحِدٍ، وهو الباب الذي كان العمل الصالح الخاص به أكمل وأوفر،

ومن الناس من يدعى من أكثر الأبواب، ومنهم من يدعى من باب واحد فقط، لأن كل شيء في الآخرة موزون بميزان الإيمان والعمل الصالح، فمن صدق إيمانه وحسن عمله وكثر فله الكثرة من فضل الله تعالى ورضوانه وجنته، ومن ضعف إيمانه وقل عمله فله على قدر ذلك فضلا من الله ورحمة. ونداء الأبواب الثمانية تشريف وتكريم للمنادى، علما بأنه لا يحتاج في دخول الجنة إلا إلى واحد فقط. ومن فضل الله على أصحاب الجنة أن يأمر الملائكة فتفتح الأبواب قبل وصول أهلها إليها، وذلك للترحيب بهم، ولئلا يقفوا على الأبواب وقوف السائلين، ولكي يشموا رائحة الجنة ويروا جمالها عن بعد كما يرى الذاهب إلى عرس أنواره المتلألئة عن بعد فيسر ويفرح.

قال تعالى في ذلك:

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ﴾

الزمر ٧٣

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«فِي الْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ، فيها بابٌ يُسَمّى الرَّيَّانَ، لا يدخُلُه إلا الصائمون» أخرجه البخاري ومسلم

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال:

«من أنفَقَ زَوْجَيْنِ من مالِه في سَبِيلِ اللهِ دُعِيَ من أبْوابِ الجنةِ، وللجنة أبْوابٌ، فمن كانَ من أهلِ الصلاةِ دعِيَ من باب الصَّلاةِ، ومن كان من أهلِ الصيام دعي من باب الصيام، ومن كان من أهلِ الصدقةِ دُعِي من باب الصدقةِ، ومن كان من أهل الجهادِ دعي من باب الجهاد، فقال أبو بكر: يا رسولَ الله، ما على أحَدٍ ضَرُورة دُعِيَ منْ أيُّهَا دُعِيَ، فهل يَدْعى أحدٌ منها كلِّها؟ قال: «نعم وأرجوا أن تكونَ منهم» أخرجه الشيخان

وعن عمر بن الخطاب أن رسول الله ﷺ قال:

« ما مِنْكُمْ مِنْ أحدٍ يتوضأ فيُسْبِغُ الوُضوء، ثم يقولُ: أشهد أن لا إلٰه إلا اللهُ وحْده لا شَرِيك له وأشهدُ أن محمدا عبده ورسولُه إلا فتِحتْ له أبوابُ الجنةِ الْثمانيةُ يدخلُ من أيِّها شاء » أخرجه مسلم

وعن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله ﷺ:

« إذا صَلَّتْ المرأةُ خَمَسها، وصامت شهرَها وخفِظَتْ فَرْجَها، وأطاعَتْ زَوْجَهَا قيل لها: ادْخُلِي من ايِّ أبْوابِ الْجنةِ شِئتِ » أخرجه أحمد والطبراني وإسناده حسن

وصف حوائط الجنة وترابها وحصبائها

لا يحتاج الأمر في ذكر ذلك أكثر من ذكر الأحاديث التي أوضحت ذلك إيضاحا كافيا منها:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال:

« لبنَةٌ ذهب ولبنة فضة، وملاَطُها (ما يجعل بين اللبنة واللبنة) المِسكُ، وحَصْباؤُها اللؤلؤُ والياقوتُ، وترابُها الزعْفَرانُ من يدخلُها يُنعَّم ولا يَبْأَسُ (يشقى) ويَخْلُدُ لاَ يَمُوتُ، لا تبلى ثيابُه، ولا يفنى شبابُه » رواه أحمد والترمذي وغيرها وروى مثله ابن أبي الدنيا بسنده عن ابن عمر. وإسناده حسن

وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ:

« خلق الله جنةَ عَدْنٍ بيدهِ، ودلَّى فيها ثمارَها، وشق فيها أنهارَها، ثم نظرَ إليها فقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلَحَ المؤمنون، فقال: وعزتي لا يجاوِرُني

فيكِ بَخيلٌ » رواه الطبراني في الكبير والأوسط بإسنادين أحدهما جيد. كذا قال المنذري.

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: «كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال:

« **أُدْخِلتُ الجنَّةَ فإذا فيها جَنَابِذُ (قباب) اللؤلؤ، وإذا ترابُها المِسْكُ** » **وهو قطعة** من حديث المعراج

وروى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ سأل ابن صائد عن تربة الجنة فقال:

« **دَرْمَكَةٌ بيضاءُ (خبز صاف لين ناعم) مسكُ خالصٌ** » **فقال رسول الله ﷺ: صَدَقَ**

فهذه ثلاث صفات في تربتها لا تعارض بينها، وخير توفيق بينها أن يقال: إن تراب الجنة يكون زعفرانا باعتبار اللون مسكا باعتبار الرائحة، وهذا أحسن شيء، بحيث تكون البهجة والإشراق في لون الزعفران، والرائحة في رائحة المسك وهذا ينطبق مع تشبيهها بالدرمكة.

وقيل في التوفيق: إن تربة الجنة متضمنة للنوعين المسك والزعفران.قال في اللطائف في قوله ﷺ لأبي هريرة حين سأله عن بناء الجنة فقال: «لبنة من ذهب ولبنة من فضة» يحتمل أن المراد حوائط قصورها ودورها، ويحتمل أن يراد بناء حائطها وسورها المحيط بها وهو أشبه.ومما يدل على ذلك أنه جاء في أحاديث كثيرة أن قباب الجنة من زبرجد وياقوت ولؤلؤ، كما جاء أن المقربين لكل منهم جنتان من ذهب وأن أصحاب اليمين لكل منهم جنتان من فضة الخ ا هـ من كتاب «حادي الأنام إلى دار الاسلام»

كذلك جاء أن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، وأن الإنسان يكون في قصر من قصوره ويرى جميع القصور وجميع من

فيها من الحور والولدان، والحق الذي يجب أن يقال: إن كل ما ذكر ويذكر في وصف الجنة ما هو إلا تشبيه للتقريب إلى الأفهام، أما الحقيقة فهي فوق الوصف وفوق كل مدركات البشر كما جاء في الكتاب والسنة. والله أعلم.

درجات الجنة

قال تعالى:

لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا النساء ٩٥- ٩٦

وقال تعالى:

أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ
آل عمران ١٦٢ - ١٦٣

وقال تعالى:

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:
« مَنْ آمنَ باللهِ ورسوله، وأقامَ الصلاة، وصامَ رمضانَ فإن حقا على اللهِ أن يُدْخلَهُ الجنة، جاهَدَ في سبيلِ الله أوْ جلَسَ في أرْضهِ التي وُلِدَ فيها، قالوا يا رسول الله نُنْبِئُ الناسَ بِذلِكَ؟ قال: « إنَّ في الْجَنَّةِ مائَةِ دَرجَةٍ أعدها اللهُ لِلْمُجَاهِدِين في سبيلِه مَا بَيْنَ كلِّ دَرجَتَيْن كما بَيْن السماءِ والأرض، فإن سألتم الله فاسألوه الفردوسَ؛ فإنه وسَطُ الجنةِ وأعلى الجنةِ، وفوقَهُ عرش، الرحمن، ومنه تَفَجَّرُ أنهارُ الجنة »

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:
« إن العبدَ ليتكلمُ بالكلمة من رِضْوان الله لا يُلْقِي لها بالاً يرفعهُ الله بِها دَرَجَاتٍ، وإن العبدَ ليَتكلمُ بالكلِمَة مِنْ سخَطِ اللهِ لاَ يُلْقِي لَهَا بَالاً يَهْوِي بها في نارِ جهنم »

وأخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:
« ألا أدلكم على ما يَمْحُو اللهُ به الخطايا ويرفعُ الدرجاتِ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال: « إسباغُ الوضوء على المكارِه، وكثرةُ الخُطا إلى المَساجِدِ، وانتظارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصلاةِ، فَذَلكُمُ الرِّبَاطُ

وأخرج أبو يعلى بسند جيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:
« إن الرجلَ لتكونُ له عند الله المنزلةُ الرفيعةُ فما يبلغها بِعَمَلٍ، فما يزالُ الله يبتليهِ بما يكرهُ حتى يَبْلُغَها »

وهكذا نرى أيها القارىء أن الدرجات عبارة عن منازل رفعة، ومقامات عند الله تعالى يبلغ بها المؤمن من النعيم ما لا يبلغه غيره ممن ليس له مثل درجاته، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، وليتسابق المتسابقون، ولذا قيل

لبعض السلف: طاب الموت، فقال: لا تقل ذلك: لساعة تعيش فيها تستغفر الله خير لك.

وبكى معاذ عند موته وقال: إنما أبكي على ظمأ الهواجر، وقيام ليل الشتاء، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر.

وقال بعض السلف كل يوم يعيش فيه المؤمن غنيمة ا هـ من «حادي الأنام» ولا يعلم عدد درجات الجنة إلا الله، والمائة المذكورة في الحديث ضمن درجات الجنة، وليست هي كل درجات الجنة فإن درجاتها لم يأت نص بحصرها. ا هـ.

غرف الجنة وقصورها ومساكنها

قال تعالى:

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ الزمر ٢٠

وقال تعالى:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ التوبة ٧٢

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

« إن أهلَ الجنةِ ليَتَرَاءوْنَ أهلَ الغُرَفِ من فوقِهم كما يتراءونَ الكَوْكبَ الدُّرِّيَّ الغابِرَ (الذاهب) في الأفقِ مِنَ الْمَشْرِقِ والمغرب لِتَفاضُلِ (تفاوت) ما بينهم ، قالوا: يا رسول الله تلك منازلُ الأنبياءِ لاَ يَبْلُغُها غَيْرُهُمْ، قال: بلى والذي نفسي بِيَدِه رجالٌ آمنوا باللهِ وصدَّقوا المرسلين » رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:
« إن للمؤمنِ في الجنة لخيمةً من لؤلؤةٍ واحدةٍ مجوَّفة طولُها في السماء ستون مِيلاً، لِلْمؤمن فيها أهلونَ، يطوفُ عليهم المؤمِنُ، فلا يرى بَعْضُهُم بَعْضاً » رواه البخاري ومسلم

وعن عثمان بن عفان عن النبي ﷺ قال:
« مَنْ بَنَى للهِ مَسْجِداً يبتغي به وجهَ اللهِ تعالى بنى اللهُ لَهُ بَيْتاً في الْجنَّة » أخرجه الشيخان.

وعن أم حبيبة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
« مَنْ صَلَّى اثِنْتَيْ عشرةَ ركَعَةً تَطوُّعا في يَوْمٍ ولَيْلةٍ بُنَي ِ لهُ بَيْتٌ في الجنة » رواه مسلم

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:
« إن في الجنة غُرَفاً يُرى ظاهرُها من باطِنِها وباطِنُها مِنْ ظاهِرِها. فقال أبو مالك الأشعريُّ: لِمَنْ هِيَ يا رسولَ اللهِ؟ قال لِمَنْ أطَابَ الكلاَمَ، وأطعَم الطعامَ، وبات قائما والناسُ نِيامٌ » رواه الطبراني والحاكم، وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم.

وعن ابن عباس (حور مقصورات في الخيام) قال: الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب » رواه البيهقي وابن أبي الدنيا.

أنهار الجنة وعيونها وشراب أهلها

قال تعالى:

مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ القتال ١٥

وقال تعالى: الإنسان ٥ و٦

إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا

وقال تعالى:

وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا

الإنسان ١٧ - ١٨

أخبر تعالى أن الأبرار يشربون في الجنة من خمر ممزوجة بالكافور الذي يجعل رائحتها طيبة، والكافور عين في الجنة يشرب ويتلذذ بها عباد الله الأبرار، هذه العين تجري معهم حيث شاءوا متفجرة طيعة لهم.

كما أخبر تعالى أن الأبرار يسقيهم الولدان خمرا ممزوجة بالزنجبيل، وهو

عين تسمى سلسبيلا فسميت بالزنجبيل لطيب رائحتها ، وسميت بالسلسبيل لعذوبة هذه المياه وسهولة مساغها .

وقال تعالى:

إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۝ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ۝ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ۝ وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ ۝ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ المطففين ٢٢ - ٢٨

وعن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ:

« الكوثرُ نهرٌ في الجنةِ حافتاهُ مِنْ ذهب ومجْراهُ على الدرِّ والياقوتِ، تُرْبَتُه أطيبُ من المسك، وماؤه أحلى من العَسَل، وأبيضُ من الثلجِ » رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح.

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال:

« بَيْنا أنا أسيرُ في الجنة إذَا أنا بنَهْرٍ حافتاه قِبَابُ اللؤلؤ المُجَوَّفِ، فقُلْتُ ما هَذَا يا جِبْرِيلُ؟ قال: هذا الكَوْثَرُ الْذِي أعطاك ربُّك، قالَ: فضَرَبَ الملَكُ بِيَدِهِ فإذا طينُهُ مِسْكٌ أذْفَر (طيب الرائحة) رواه البخاري.

وعن سماك أنه لقي ابن عباس بالمدينة بعد ما كُفَّ بصره فقال: يا بن عباس ما أرض الجنة؟ قال مَرْمَرَةٌ بيضاءُ من فضة كأنها مرآة، قلت ما نورها؟ قال: ما رأيت الساعة التي يكون فيها طلوع الشمس؟ فذلك نورها إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير، قال: قلت فما أنهارها، أفي أُخدود؟ قال: لا ولكنها تجري على أرض الجنة مُسْتَكَفَّةً (محاطة بمن ينال منها) لا تفيض هاهنا ولا ها هنا، قال الله لها كوني فكانت، قلت فما حلل الجنة؟ قال: فيها شجرة فيها ثمر كأنه الرمان فإذا أراد ولي الله منها كسوة انحدرت إليه من غصنها فانفلقت له عن

سبعين حلة الوانا بعد ألوان ثم تنطبق فترجع كما كانت » رواه ابن أبي الدنيا موقوفا بإسناد حسن

أشجار الجنة وثمارها

قال تعالى:

وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ الواقعة ٢٧ - ٣٣

السدر المخضود: شجر النبق الذي لا شوك فيه. الطلح المنضود: شجر الموز الذي نضد بالحمل من أسفله إلى أعلاه فليست له ساق بارزة. الظل الممدود: المنبسط كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس. الماء المسكوب: الجاري بغير حدود أو شواطىء

وقال تعالى في الجنة:

قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ الحاقة ٢٣ - ٢٤

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

« إن في الجنةِ لَشجرةً يسير الراكبُ في ظلها مائةَ عامٍ ما يقطعُها، اقرءوا إن شئتم « وظِلٍّ ممْدُودٍ » أخرجه الشيخان.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

« مَا فِي الجَنَّةِ شَجَرةٌ إلا وساقُهَا مِنْ ذَهَبٍ » رواه الترمذي وحسنه وابن حبان.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق قدر ما يسير الراكب الجدُّ في ظلها مائة عام في كل نواحيها فيخرج أهلُ الجنة أهلُ الغرف وغيرهم فيتحدثون في ظلها، قال فيشتهي بعضهم، ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحا من الجنة، فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا » رواه ابن أبي الدنيا موقوفا من طريق زمعة بن صالح عن سلمة بن وهرام، وقد صححها ابن خزيمة والحاكم وحسنها الترمذي. كذا قال المنذري في الترغيب حـ ٤ ص ٥٢٠.

وعن البراء بن عازب في قوله: « **وذُلِّلَتْ قُطوفُها تَذْليلاً** » قال: « **إن أهلَ الجنة يأكلون من ثمارِ الجنة قياما وقعوداً ومضطجعين** » رواه البيهقي وغيره موقوفا وحسنه المنذري.

أكل أهل الجنة وشربهم ولباسهم

قال تعالى:

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ (آنية لاعروة لها ولا خرطوم) وَأَبَارِيقَ (آنية لها عروة وخرطوم) وَكَأْسٍ (وقدح فيه شراب) مِّن مَّعِينٍ (خمر تجري من العيون) لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا (لا يحدث لهم صداع ناشىء عنها وبسببها) وَلَا يُنزِفُونَ (لايسكرون) وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ الواقعة ١٧ - ٢١

وسبق قول الله في نعيم أهل اليمين من السورة نفسها

وقال تعالى:

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ (يطلبون)

يس ٥٥ - ٥٧

وقال تعالى:

يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ فاطر ٣٣

وقال تعالى:

عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا الإنسان ٢١

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يأكلُ أهلُ الجنةِ ويشربون، ولا يمتخطون ولاَ يَتَغَوطون، ولا يبولون، طعامُهم ذلك جُشاءٌ (هواء يخرج من المعدة عن طريق الفم) يُلْهَمون التسبيحَ والتكبيرَ كما يُلهمونَ النَّفَس» رواه مسلم وأبو داود.

وعن زيد بن أرقمَ رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال: يا أبا القاسم تزعمُ أن أهلَ الجنةِ يأكلونَ ويشربون؟ قال: نعم والذي نفسُ محمدٍ بيده إن أحدَهم ليُعْطى قوةَ مائةِ رجلٍ في الأكل والشربِ والجماعِ، قال: فإن الذي يأكل ويشربُ تكون له الحاجةُ، وليسَ في الجنة أذىً، قال: «تكون حاجة أحدهم رشحا يَفيضُ من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه (بدون بول أو غائط). رواه أحمد والنسائي. ورواته محتج بهم في الصحيح ورواه الطبراني بإسناد صحيح.

وعن أنس بن مالك برفعه قال: إن أسفلَ أهلِ الجَنةِ أجمعينَ من يقومُ على رأْسِهِ عشرةُ آلافِ خادِمٍ، مع كل خادِمٍ صُحْفَتان، واحدةٌ من فضةٍ وواحدةٌ من ذهب، في كلِّ صحفة لونٌ ليسَ في الأخرى مثلُه، يأكلُ من آخِره كما يأكلُ من أوَّله، يجدُ لآخِرِه من اللذةِ والطعْمِ ما لا يَجِدُ لأوله، ثم يكونُ فوقَ ذلك رشْحُ مِسْكٍ وجشاءُ مِسْك، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون» رواه ابن أبي الدنيا واللفظ له والطبراني، ورواته ثقات اهـ من الترغيب جـ٤ ص ٥٢٦

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن طيرَ الجنة كأمثالِ البُخْتِ ترعى في شجر الجنةِ**: فقال أبو بكر يا رسول الله إنها تَطْيرُ ناعِمَة، فقال: أَكَلَتُها أنْعَم منها، قالها ثلاثاوإني لأرجو أن تكون مِمَّن يأكُلُ مِنْها،» رواه أحمد بإسناد جيد والترمذي وقال: حديث حسن. والبخت: هي الإبل الخراسانية المشهورة.

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**من يَدْخُلُ الجنةَ يُنَعَّم ولاَ يَبْأَسُ، لا تبلى ثيابُه، ولا يفنى شبابُه، في الجنة ما لا عينٌ رأَت ولا أُذُن سمِعتْ ولا خَطَر على قَلْبِ بَشَرٍ**» رواه مسلم.

وعن شريح بن عبيد رضي الله عنه قال: قال كعب: «**لو أن ثوبا من ثياب أهل الجَّنةِ لُبِس اليومَ في الدنيا لَصِعَق مَنْ يَنْظُرُ إلَيْهِ وما حَمَلَتْهُ أَبْصَارُهُمْ**» رواه ابن أبي الدنيا وجاء في حديث أنس المرفوع في وصف حور الجنة «**ولَنَصيفُها (خمارها) على رَأْسِها خَيْرٌ من الدنيا ومَا فيها**» رواه البخاري ومسلم.

وقد عرفت أن كل ما ذكر في وصف الجنة ومآكلها ومشاربها وحللها وحليها ومساكنها وغير ذلك إنما هو من باب التقريب إلى الأذهان، وإلا فالقول الفاصل في الجنة أنها فوق ما يتصور أي إنسان، وأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فهنيئا لأهلها، وهنيئاً للعاملين لها، والدائبين في مرضاة الله تعالى من أهلها، ولو لم تكن الجنة إلا أنها دار الكرامة ودار رضوان الله تعالى على من فيها لكفى، فكيف بمن تحييه الملائكة ويحييه ربه، ويسعد برؤيته تعالى؟ وصدق الله القائل: «**لِمِثْلِ هذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونُ**».

أزواج الجنة

قال تعالى:

﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ آل عمران ١٥

وقال تعالى:

﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ ص ٥٢

وقال تعالى:

﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ الصافات ٤١ - ٤٩

قاصرات الطرف: قصرن طرفهن وبصرهن على أزواجهن.

أتراب: متساويات مع أزواجهن في السن لأنه التحاب بين الأقران أكثر وأثبت.

بكأس: هي الزجاجة فيها الخمر، وتسمى الخمر نفسها كأسا، والأخفش يقول: كل كأس في القرآن فهي الخمر.

من معين: من شراب معين أو من نهر معين وهو الجاري على وجه الأرض الظاهر للعيون.

لا فيها غول: لا تغتال عقولهم وتفسدها كخمر الدنيا.

ولا هم عنها ينزفون: أي لا تسكرهم خمر الجنة.

قاصرات الطرف عين: قصرن أبصارهن على أزواجهن. واسعات الأعين في غاية الجمال.

كأنهن بيض مكنون: شبهن ببيض النعام المصون في البياض والصفاء وشيء من الإحمرار.

وقال تعالى:

وَحُورٌ عِينٌ ۝ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ الواقعة ٢٢ - ٢٣

الحوراء: هي الشابة الحسناء جدا.

وقال تعالى:

إِنَّآ أَنشَأْنَـٰهُنَّ إِنشَآءً ۝ فَجَعَلْنَـٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا الواقعة ٣٥ - ٣٧

عُربا: متحببات إلى أزواجهن. قيل إن هؤلاء هن نساء أهل الدنيا ينشئهن الله انشاء جديدا.

أترابا: مستويات في السن بنات ثلاث وثلاثين سنة، وأزواجهن كذلك.

وقال تعالى:

فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ الرحمن ٥٦ - ٥٨

لَمْ يطمثهن: لم يقربهن للجماع الذي معه نزول الدم، ويكون عند فض البكارة.

الياقوت والمرجان: شبهن بالياقوت في الصفاء وبالمرجان في البياض.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: «وأزواج مطهرة» قال: من الحيض والغائط والنخامة والبصاق» أخرجه الحاكم وصححه.

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «لغدوة في سبيل الله أوروحة خير من الدنيا وما فيها ولقابُ قوس أحدكم أو موضع قيده (يعني سوطه) من الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما (السماء والأرض) ريحا، ولأضاءت ما بينهما، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

النصيف: الخمار. وقاب القوس: من مقبضه إلى رأسه

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «إن أزْوَاجَ أهلِ الجنةِ ليُغَنِّينَ أزْوَجَهُن بأحسَن أصواتٍ سمِعَها أحدٌ قطُّ، إن مما يغنين به: نحن الخيِّرات الحِسان، أزواجُ قوم كرام، ينظرون بقُرَّةِ أَعْيَانٍ، وإن مما يغنينَ به: نحنُ الخالِداتُ فلا نَمُتْنَه، نحن الآمِنَاتُ فلا نَخَفْنَهْ، نحن المقيماتُ فلا نظعَنَّهْ» رواه الطبراني في الأوسط والصغير ورواتها رواة الصحيح.

وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ: في قوله: «كَأَنَّهُنَّ اليَاقُوتُ وَالمَرْجَانُ» قال: ينظرُ إلى وجهِه في خدِّها أصفى مِنَ المرآة، وإن أدْنى لؤلؤةٍ عليها لَتُضِيءُ ما بينَ المشرقِ والمغرِب، وإنه ليكونُ عليها سبعون حلةً ينفُذُها بَصرُه حتى يَرى مخَّ ساقِها من وراءِ ذلك» رواه أحمد وابن حبان في صحيحه ا هـ من الترغيب جـ٤ ص ٥٣٤.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّهُمْ تَذَاكَرُوا: الرِّجَالُ أكْثَرُ أهْلُ الْجَنَّةِ أم النِّساءُ؟ فقال: ألَمْ يَقُلْ رسولُ الله ﷺ: «مَا في الْجَنَّةِ أَحَدٌ إلا لَهُ زَوْجَتَانِ؟ إنه ليَرَى مُخَّ ساقِها من وراءِ سبعين حلةً، ما فيها عَزَبٌ» أخرجه الشيخان.

وأخرج الترمذي وصححه عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**يزوَّجُ العبدُ في الجنةِ سبعينَ زوجةً**» قيل يا رسول الله أيُطِيقُها؟ قال: «**يُعْطى قوةَ مائةٍ**».

وأخرج الطبراني والبزار بسند صحيح عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله، هل نَصِلُ إلى نسائنا في الجنةِ؟ فقال: «**إن الرجلَ لَيَصِلِ في اليوم إلى مائةِ عَذراءَ**».

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمنُ إذا اشتهى الوَلَدَ في الجنةِ كان حَمْلُه ووضْعُه وسِنُّه في ساعةٍ كما يشتهى**» أخرجه البيهقي وأبو الشيخ والترمذي وحسنه ا هـ من الترغيب.

وعن عبد الله بن قيس عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ: «**إن للعبدِ المؤمن في الجنةِ لخيمةً من لؤلوةٍ مجوَّفةٍ طولُها ستونَ ميلا، للعبدِ المؤمنِ، فيها أهلُونَ فيطوفُ عليهم لا يرى بعضُهم بَعْضاً**» رواه البخاري ومسلم.

أهل الجنة يتزاورون ويتجالسون

قال تعالى:

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۝ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ الطور ٢٥ - ٢٨

وأخرج البزار والبيهقي وابن أبي الدنيا وأبو الشيخ بسند حسن عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخلَ أهلُ الجنة الجنة اشتاقوا**

إلى الإخوانِ، فيجيءُ سرير هذا حتى يحاذِيَ سريرَ هذا فيتكيءُ هذا ويتكِيءُ هذا ويتحدثان بما كان في الدنيا، فيقولُ أحدُهما لصاحِبه: يا فُلانُ. تَدْرِي يَوْمَ غفَـر اللهُ لنا؟ فيقول صاحبُه: يومَ كنا في موضعِ كذا وكذا فدعونا اللهَ فغفَرَ لنا». وأخرج الطبراني وابن أبي الدنيا عن أبي أيوب عن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة يَتَزَاورُونَ على نَجائِبَ بيض كأنهن الياقوتُ» وما أجمل أن يزور الأخ أخاه في الله، وأن يزور الوالدَ أبناءه، ويزور الأبناء آباءهم وأمهاتهم في الجنة، وأجمل من ذلك كله زيارة المؤمنين للأنبياء والصديقين والعلماء العاملين وعلى رأس الجميع سيد المرسلين محمد ﷺ. وأجمل من كل ذلك أن يزوروا ربهم جل جلاله. وأن يسمعوا خطابه ويروا وجهه. فاللهم بلغنا الآمال وسدد خطانا واغفر لنا وارض عنا. إنك أنت العفو الكريم.

سوق الجنة

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنةِ لسوقا يأتونها كلَّ جُمُعةٍ فتهبُّ ريحُ الشَّمال فَتَحْثو في وجوههم وثيابهم فَيَزْدَادونَ حُسنا وجمالا، فتقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتُمْ بَعْدنا حُسْنا وجمالا، فيقولان: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا» رواه مسلم.

وعن سعيد بن المسيب أنه لقي أبو هريرة فقال أبو هريرة: أسأل الله أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة، قال سعيد: أوَفيها سوق؟ قال: نعم، أخبرني رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنةِ إذا دخلوها نزلوا فيها بفضْل أعمالِهم، فيُؤْذَنُ لهم في مقدارِ يومِ الجُمعَة من أيام الدنيا، فيزورون الله، ويُبْرز لهم عرشَه، ويتَبَدَّى لهم في روضةٍ من رياضِ الجنة، فتوضَعُ لهم منابرُ من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب،

ومنابر من فضة، ويجلسُ أَدْناهم (أقلهم درجة) وما فيهمْ دَنِيء على كُثْبَان المسكِ والكافور ما يَرَوْنَ أنَّ أصحابَ الكراسِيِّ أفضَلُ منهم مجلساً،قال أبو هريرة: قلت يا رسولَ الله هل نرى ربنا؟ قال: «نعم. هل تتمارَوْنَ (تتشككون) في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قلنا: لا، قال: كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم عز وجل، ولا يبقى في ذلك المجلِس أحدٌ إلا حاضَرَه اللهُ مُحَاضَرةً (كلمه كلاما) حتى انه ليقولُ للرجُلِ منكم: ألا تَذكُرُ يا فلانُ يَوْمَ عَمِلت كذا وكذا؟ يُذَكِّرُه بعضَ غَدَرَاتِه (معاصيه) في الدنيا، فيقول: يا ربّ أفلم تغفِرْ لي؟ فيقول: بلى فبِسَعَةِ مغفِرتي بلغتَ منزلتك هذه، فبينما هم كذلك غشيتهم سَحَابةٌ مِنْ فَوْقِهِم فأَمْطَرَتْ عَلَيهِمْ طِيباً لم يجدوا مثلَ رِيحِهِ شيئاً قطُّ، ثم يقول ربُّنَا تبارك وتعالى: قوموا إلى ما أعْدَدْتُ لكم من الكرامةِ فخذوا ما اشتهيتم، قال: فنأتي سوقا قد حَفَّتْ به الملائكةُ فيه ما لم تنظر العيونُ إلى مثله، ولم تِسمع الآذانُ، ولم يخطرْ على القلوب، قال: فيحملُ لنَا ما اشتهينا ليس يُبَاع فيه شيءٌ ولا يُشْتَرى، وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضا، قال فيُقْبِل الرجلُ ذو المنزِلةِ المرتفعةِ فيَلْقى مَنْ دونَه وما فيهم دنِيء فيَرُوعُه (يزعجه) ما يَرَى عَلَيْهِ من اللباسِ فما ينقضي آخرُ حديثه حتى يتمثَّل عليه (يوجد) أحسنُ منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحدٍ أن يحزن فيها، قال: ثم ننصرف إلى منازلنا فتتلقانا أزواجنا فيقلن مرحبا وأهلا، لقد جئت وإن بك مِن الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه فيقول: إنا جالَسْنَا اليومَ رَّبنا الجبارَ عز وجلَّ، وبحقنا أن ننقلِبَ بمثلِ ما انقلبْنا به» رواه الترمذي وابن ماجه وابن أبي الدنيا، ورجال إسناده ثقات.

رؤية أهل الجنة ربهم كما يُرَى القمر ليلة البدر

قال ابن القيم في كتابه «حادي الأرواح ص ١٩٦» هذا الباب أشرف أبواب الكتاب وأجلها قدرا وأعلاها خطرا، وأقرها لعيون أهل السنة والجماعة، وأشدها على أهل البدع والضلالة وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون، وتنافس فيها المتنافسون. وتسابق إليها المتسابقون ولمثلها فليعمل العاملون... اتفق عليها الأنبياء والمرسلون وجميع الصحابة والتابعون. وأئمة الإسلام على تتابع القرون، وأنكرها أهل البدع المارقون، والجهمية المتهوكون والفرعونية المعطلون. والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون، والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون، ومن حبل الله منقطعون، وعلى مسبة أصحاب رسول الله عاكفون، وللسنة وأهلها محاربون، ولكل عدو لله ولرسوله ودينه مسالمون، ثم بدأ يذكر الأدلة من الكتاب والسنة على وقوع رؤية الله تعالى وتحققها في الجنة من هذه الأدلة.

قوله تعالى:

وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ (سواد) وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ يونس ٢٥ - ٢٦

فقد فسر رسول الله ﷺ الزيادة بأنها رؤية الله تعالى.

روى مسلم بسنده عن صهيب قال: قرأ رسول الله ﷺ «للذين أحسنوا

الحسنى وزيادة) قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا، ويريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون الله فما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة». ومنها قوله تعالى:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ القيامة ٢٢ - ٢٣

ذكر ابن مردويه بسنده في تفسيره عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى: «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ» قال من البهاء والحسن «إلى رَبِّهَا نَاضِرة» قال: في وجه الله عز وجل، وقال أبو صالح عن ابن عباس: «إلى ربها ناضرة» قال: تنظر إلى وجه ربها عز وجل..

ومنها ما ثبت في أحاديث كثيرة مشهورة من رؤيته تعالى في الموقف يوم القيامة ومن رؤية المؤمنين له في الجنة، وقد سبق بعضها. قال ابن القيم: دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى في عرَصات القيامة بل والكفار أيضا كما في الصحيحين من حديث التجلي يوم القيامة... وفي هذه المسألة ثلاثة أقوال لأهل السنة (أحدها) أنه لا يراه إلا المؤمنون (الثاني) يراه جميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك (الثالث) يراه المنافقون دون الكفار اهـ كتاب حَادي الأرواح ص ١٩٨.

وإليك بعض الأحاديث في إثبات رؤية الله تعالى

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن ناسا قالوا: يا رسول الله هل نَرى ربَّنا يومَ القيامةِ؟ فقال رسول الله ﷺ: «هَلْ تُضَارُونَ (هل يحصل ضرر أو مانع) في رُؤْيَة القَمرِ ليلَةَ البدْرِ؟ (ليلة الرابع عشر) قالوا: لا يا رسولَ الله، قال: هل تُضَارُونَ في الشمس ليس دُونها سَحَابٌ؟ قالوا: لا. قال: فإنكُمْ تَرْونَه كذا» الحديث رواه البخاري ومسلم.

وعن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنةِ خيمةً من لؤلؤةٍ مُجَوَّفةٍ، عَرْضُها ستُون ميلا، في كل زَاويَةٍ منها أهلٌ ما يَرَوْنَ الآخَرِينَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمُ الْمُؤْمِنْ، وجَنَتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنيتهُمَا ومَا فيهِما، وجنتانِ مِنْ ذَهَبٍ آنيَتُهُما وما فيهما، وما بَيْنَ القوْم وبين أن ينظروا إلى رَبِّهم إلا رداءُ الكِبْرياءِ على وَجْهِه في جناتِ عَدْنٍ» رواه البخاري واللفظ له ومسلم والترمذي.

خلود أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار

قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ البينة ٧-٨

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ ينادي منادٍ: إنَّ لَكُم أن تصِحُّوا فلا تَسْقَموا أبدا، وإن لكم أن تَحْيَوْا فلا تَمُوتوا أبداً، وإن لكم أنْ تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبداً؛ وإن لكم، أن تَنْعَموا فلا تَبْأسوا أبداً، وذلك قولُ الله عز وجل «ونودُوا أَنْ تِلْكُمُ الجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» رواه مسلم والترمذي.

وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: «يُؤتَى بالموتِ كهيئةِ كبشٍ أملح فيُنادِي به منادٍ: يا أهلَ الجنةِ. فيَشْرَئِبُّونَ ويَنْظُرونَ، فيقولُ:

هل تعرِفون هذا؟ فيقولون: نعَم، هذا المَوْتُ، وكلُّهُمْ قدرأهُ، ثم ينادِي منادٍ يا أهلَ النارِ، فيَشْرئِبُّونَ وينْظُرونَ، فيقولُ: هل تعرِفونَ هذا؟ فيقولونَ: نَعَمْ: هذا الْمَوْتُ وكلُّهُمْ قَدْ رآهُ، فيُذْبَحُ بَيْنَ الْجنَةِ والنَّارِ، ثم يقول: يا أهلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ فَلاَ موْتَ، ويَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ فلاَ مَوْتَ، ثم قرأ «وأنذِرهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ اذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ في غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ» وأشار بيدِه إلى الدنيا» رواه البخاري ومسلم والترمذي وفي روايته فيُذْبَحُ وهم ينظرون، فلو أن أحدًا ماتَ فرَحاً لماتَ أهلُ الجنة، ولو أن أحدا ماتَ حُزْنا لمات أهلُ النارِ»

يشرئبون: يمدون أعناقهم لينظروا.

وهكذا يشعر المؤمن وهو يقرأ هذه الآيات والأحاديث في نعيم الجنة وخلود أهلها فيها مع رضوان من الله ورؤية وجهه الكريم أنه لو كان المؤمن يقطع في سبيل ذلك قطعا، ويقضي حياته كلها معذبا لكان ذلك هينا بجانب ما يناله ويحظى به. وما يعقلها إلا العالمون بالله، والعارفون بأسرار تشريعه وتنزيله.

حوار بين أهل الجنة وأهل النار

بعد استقرار أهل الجنة في الجنة ويأس أهل النار من الخروج منها تحدث محاورات ومناقشات بين أهل الجنة وأهل النار مع بعد ما بينهما بعدا شاسعا يزيد على ألوف الأميال، أو مئات الألوف. والله تعالى قادر على كل شيء، ونحن في عصرنا الحديث نرى عن طريق الأقمار الصناعية ما يحدث في جميع أنحاء الكرة الأرضية في وقت حدوثه، فلا غرابة إذا فيما يحدث بين أهل الجنة وأهل النار، ولا داعي للتساؤل، بل علينا الإيمان به كما ورد، ونترك الكيفية

لمشيئة الله تعالى الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وإليك بعض ما ورد في ذلك.

قال تعالى:

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ
تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ
لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ
أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا
مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن
لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۝ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ
كَافِرُونَ ۝ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۚ وَنَادَوْا
أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۝ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ
تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ
رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ
أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا
أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ
أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ۝ الَّذِينَ

ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ

الأعراف ٤٢ - ٥١

حجاب: هو السور المضروب بين الجنة والنار:

فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ الحديد ١٣

الأعراف: هي أعالي الحجاب: ستعير من عرف الفرس وعرف الديك.

رجال: قيل هم من أفاضل المسلمين والمتميزين منهم بالأعمال الجليلة، وقيل: هم من استوت حسناتهم وسيآتهم: يوقفون على الأعراف حتى يأمر الله بهم إلى الجنة

بسيماهم: بعلامتهم، فعلامة المؤمنين نور وجوههم، وعلامة الكافرين سواد الوجوه وزرقة العيون

حرَّمها: منعها.

وأختم الكتاب بقوله تعالى:

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ

وبقوله تعالى: الزمر ٧٣ - ٧٥

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ

فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ يس ٥٥ - ٥٨

خاتمة

أخي القارىء الكريم: أرجو أن أكون قد وفيت بما وعدت من تقديم صورة كافية عن الرحلة إلى الدار الآخرة. «رحلة الخلود» والقدوم على الملك المعبود، وقد كنت سعيدا جدا حين أتممتها، لأني شعرت أني استطعت بتوفيق الله تعالى أن أجمع لإخواني شتات موضوعات كثيرة داخلة في صميم هذه الرحلة، ولا يستغنى عن العلم بها مسلم، صغيرا كان أم كبيرا، رجلا كان أم امرأة وقد حاولت ما استطعت أن أقدم إليك الصحيح الثابت، ونأيت بنفسي وبك عن الضعيف والزائف مما قيل في هذه الرحلة، وهو كثير جدا، وفيه مع الأسف كتب بين الناس مشهورة لها قراء وخطباء ومتحدثون غايتهم التأثير على الناس بالتهاويل والأقاويل التي ما أنزلها الله ولا صحت عن رسوله ﷺ.

وأطلب من كل قارىء انتفع بهذا الكتاب أن يدعو لي ولوالدي وللمؤمنين، أن يغفر الله لنا ذنوبنا، ويثبت على الحق أقدامنا، وأن يتوفانا مسلمين، ويلحقنا بالصالحين، وأن يسبغ علينا رحمته، ويدخلنا جنته مع السابقين.

المؤلف حسن أيوب